



Лада  
LADA

# الجليد

صنع في الاتحاد السوفيتي





# الأعمال الكاملة

[t.me/kotbhm](https://t.me/kotbhm)



الجلد

صنع الله إبراهيم

الطبعة الأولى، 2011م

© حقوق النشر محفوظة

الناشر

دار الثقافة الجديدة

" شركة ذات مسئولية محدودة "

32 ش مبري أبو علم، باب اللوى، القاهرة

ت ولفكس: 23922880

e-mail:

elguindimohamed@hotmail.com

رقم الإيداع: 2011 / 1619

الترقيم الدولي (I.S.B.N):

977 - 221 - 146 - 7

تدقيق لغوي/ حمزة قناوي

تصميم الغلاف/ أحمد مراد

## شكر واجب

للدكتورة نادية محمد يوسف الجندي

والدكتور إيمان يحيى

على ملاحظاتهم عند قراءة المخطوطة

كما يشكر المؤلف الأستاذ عادل الغريوي

على ما بذله من جهد في إعداد الرواية للطبع

صُنِعَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ

الجليل

(رواية)



دار الثقافة الجديدة

موسکو 1973

ظهرت القومندانة قرب الظهر على باب الحجرة بوجهها للمستدير المتجه الذي يجله شعر رمادي. ملأت فتحته بجسدها البدين. قالت إنها ستضم إلينا طالبا روسيا. قلت لها إن هناك ثلاثة أسرة فقط فأشارت إلى واحد مفكوك وملقى فوق للدولاب. قلت: سني 35 ولا أحتمل للتكنس والضجة، ثم إني مفروض أن أقيم في غرفة مفردة كبقية طلاب للدكتوراه. نظرت إلى برهة كأنما تقيس حجمي الضئيل وإذا ما كنت أستحق فعلا غرفة كاملة. قالت: تفاريش (رفيق) شكري، لائنا (حسنا) ستبقون ثلاثة كما أنتم.

أصلح ماريو للبرازيلي بعد انصرافها من وضع تقويم العام 1973 المثبت على الحائط قرب الباب. كان نحيفا في طولي ذا عينين ضيقتين عصبيتين ويرتدي قميصا صوفيا مخططا وينطلونا من الجينز. قال وهو يعث بالحلق المدلى من إحدى أنفيه: إنهم يحرصون على وضع طالب روسي مع الأجانب لينقل أخبارهم. قال جلال الدينوف، الطويل ذو الملامح الآسيوية، ابن جمهورية قرغيزيا، إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي، كأنما يحاول برء الشبهة عنه: ليس هناك ما يستحق النقل.

ارتديت معطفي ووضعت الشابكا (القبعة للصوفية) فوق رأسي، ولففت الكوفية حول عنقي، وارتييت الحذاء المبطن بالفراء ذا النعل المناسب للمشي فوق الجليد. تأكدت من وجود القفاز في جيبتي، هبطت الدرج النظيف إلى الطابق الأرضي ووجهت التحية

إلى الدجورنايا (حارسة الباب) ثم غادرت الأبشجيتي (بيت الطلاب). كانت الشمس قد اختفت وهاجمني الثلج المتساقط والهواء البارد. سألت إفرزات أنفي وأنزلت زائنتي الشايكا اللتين تغطيان الأنين ولرتديت القفاز. مشيت فوق الجليد بحذر. كانت للوجهة الزجاجية للمجازين (الحانوت) مكسة - مثل كل الحوانيت - بأهرامات من العلب المعدنية للبن المركز، ولا شيء غيرها. وتمتد في أعلاها لافتة من القماش تحمل هذه العبارة: "نحن ننفذ الخطة. إلى الأمام نحو الشيوعية". وتجمع عند المدخل عدد من السكارى ضم أحدهم إصبعين فوق ياقة سترته. دعوة للاشتراك مع اثنين آخرين في زجاجة فودكا.

لم يكن الاختيار صعبا بسبب محدودية المعروضات. فوقفت في طابور الشراء أتأمل صورة بريجنيف المعلقة على الجدار. اختفت إحدى البائعات اللاتي يرتدين معاطف بيضاء. وانهمكت أخرى في حديث طويل مع ثالثة. أخذت ليصالا بما أريده. ثم انتقلت إلى طابور آخر للدفع وحسبت للبائعة ثمن مشترياتي على الحاسبة الخشبية: 310 كيبكا بيض، 30 كيغير (البن رائب)، 463 فودكا و80 خبز. دفعت وأخذت ليصالا بالمبلغ ثم انتقلت إلى طابور ثالث لأستلم مشترياتي.

أردت أن انتقي الخبز بيدي المجردة فنهزرتي العاملة في عنف واستخدمت شوكة معدنية في اللقطة للخبز. غادرت الحانوت ووقفت أتفرج على شرطي دفع رجلا إلى الحائط وأخذ يضربه بوحشية بالغة ثم ألقي به في سيارة الشرطة.



تجاوزت عجوزا في معطف أبيض وبوط أسود خلف صندوق  
لفطائر البيروشكي. فتحته لتبيع واحدة فلفحها البخار المتصاعد  
منه. اتجهت إلى كشك السجائر الذي يتولاه عجوز أشيب الشعر.  
عندما أصبحت أمام نافذة الكشك فوجئت بالبائع يغلقها وينهمك في  
مراجعة عدة صناديق من السجائر طبقا لكشف في يده. كان يفعل  
ذلك ببطء شديد ويده ترتجف. راجع محتويات للكشف مرة أخرى  
ثم عد النقود المتحصلة لديه ثم بحث عن شيء ما. خلال ذلك تكون  
طابور خلفي وأخذت أتقافز فوق قنمي لأبث فيهما اللدء. سمعت  
من يقول أن الحرارة تحت للصفر بعشر درجات. وقال آخر:  
العجوز يبحث عن قضيبه. وسأل ثالث: هل وجده؟ أجاب الأول:  
طبعا لا. أخذ البائع يصف أصنافا جديدة من السجائر خلف الزجاج  
ويضع عليها علامات بأسعارها. وانفلتت إحدى العلامات فأعاد  
تنبيتها في بطنه. وأخيرا فتح النافذة. اشتريت علبة سجائر تيو 144  
وعدت إلى الأبشجيتي.

كانت يداي قد تجمدتا من البرد فأسرعت إلى حمام الطابق  
الأرضي ووضعتهما تحت الماء البارد كما نصحت بأن أفعل.  
وشعرت بالألم في أطراف أصابعي عندما بدلت تذب فيهما  
الحرارة.

قابلت القومندانة وأخذت منها ملاءات نظيفة. كنت أصطدم  
بـ فيرا اليهودية التي ترتدي دائما جوبات قصيرة. صعدت إلى  
غرفتي في الطابق الرابع. لم يكن بها أحد. أعددت ثلاث بيضات في

المطبخ المشترك للطابق. أكلتها ثم أعقبتها بكوب من الشاي الجورزيني (الجبوري) الجيد، نسبة إلى جمهورية جورجيا السوفييتية. أشعلت سيجارة و سحبت الدخان بقوة فقفز للفيلتر في فمي. شعرت بالرغبة في النعاس فاستلقيت فوق فراشي القائم في الركن الأيمن مقابل فراش ماريو في الركن الأيسر. وكان سرير جلال الدينوف ملاصقا لسريري يصنع معه خطا مستقيما بحيث يرقد عند أقدامي.

أيقظني جلال الدينوف عند دخوله. استند إلى الدولاب الخشبي الصغير وقال: تفاريش شكري، أعرف أن المصريين كرماء وأنا مسلم مثلك ولأريد معروفا. قلت: تكلم. قال إن له صديقة روسية في بلده ينوي الزواج بها وليس معها تصريح بالإقامة في موسكو، فهل يستطيع إحضارها لتقيم معنا؟ سألته: كيف ستنام؟ قال: في سريري ومنضع ستارة حولنا. سألته: هل أخذت رأي ماريو؟ أجاب: نعم، وافق. أبديت موافقتي فتهلل وجهه وأخذ يعد حقيبته للمفر كي يحضر صديقه.

علمت منه أن ماريو سيسافر بالليل إلى ليننجراد، نزلت إلى الطابق الأرضي ووضعت اثنين من الكاميكات في جهاز التليفون العمومي. تلفنت لـ مادلين في معهد اللغات. انتظرت حتى تم استدعاؤها ثم دعوتها للمجيء في الغد. سألت: وماريو؟ لا أريد أن يراني. قلت: سيسافر الليلة.

خلقت نكتي بالموس السوفييتي الحديدي وأنا أتعجب من أمر السوفييت: يصنعون الصواريخ وعاجزون أو غير مهتمين بصناعة موس آدمي. حملت ملابس نظيفة ونزلت إلى الحمام العام في الطابق الأرضي. استحمت بالمياه الساخنة. صعدت إلى حجرتي فألقيت بالمنشفة فوق الشوفاز الساخن لتجف. وفي الخامسة وفدت مائلين بعد أن تركت بطاقة هويتها لدى الحارسة. كانت برازيلية في منتصف العشرينيات، دقيقة الحجم، سوداء الشعر، أسنانها العلوية بارزة بعض الشيء. وكنت قد تعرفت بها هي وماريو أثناء دراسة اللغة. احتضنتها وأحضرت لبريق الشاي من المطبخ. أرتي في انفعال اسطوانة روبرتو كارلوس البرازيلي الذي يغني بالبرتغالية وأهدتني عطرا رجاليا رشاشا. وضعنا الاسطوانة فوق البيك أب الصغير وأغلقت الباب بالمفتاح. خلعت بنطلوني وبقيت بالسروال الصوفي الداخلي وخلعت هي الكولون السميك الخمري للون. تحسست فخذنها للمبولين. كنت أسألها عادة عن لفترة الأمانة، ونصب الأيام التي انصرفت منذ آخر دورة شهرية. لكنني نسيت هذه المرة وتذكرت وأنا داخلها. سألتها فلم تنزعج. كانت تستسلم لي دائما قائلة إنها تتق في وأنا أعرف كل شيء. حاولت أن أقبلني لكنني أبعدت فمي عنها فلم أكن أحب شفيتها. تجنبت تدييها لأنها لم تكن تشعر بشيء من مداعبتها. قالت بعد لحظة: اضربني. لم أفعل لأنني لم أكن أحب ذلك أيضا.

---

عاودتني الآلام في قضيبتي عندما انتهينا أما هي فقد تهتت في  
أرنياح قاتلة: لم أعد أتألم كما كان يحدث مع صديقي هرمان بسبب  
قضيبه الثخين، يبدو إنني اتسعت من العمران.

### 3

طرق الباب. سألت: كفو تام ؟، من هناك؟ فتحت لـ هانز  
الألماني الوسيم. في الثلاثين من عمره وأطول مني يتلى شعره  
الأشقر للناعم فوق جبهته مفروقا من الوسط وله شفتان  
غليظتان. كان يأتي من ألمانيا الشرقية عدة مرات في السنة ليلقى  
الأستاذ المشرف على رسالته. حياني: بريفييت. قال لي معه طالبتين  
روسييتين من ساكنات الطابق الخامس. سألتني أن أنضم إليهم لأن  
فريد وحميد السوريين اللذين يشاطرانه الغرفة غائبان.

رافقته إلى غرفته حاملا البيك أب واسطوانة الموسيقى  
العربية. كانت الفتاتان في بداية العشرينيات: زويا نحيفة في طولي  
أو أطول قليلا ذات وجه طفولي وعينين زرقاوين وشعر أشقر  
قصير وصدر صغير، متزوجة بمجنّد في الجيش يعسكر في منطقة  
بعيدة. والأخرى شقراء أيضا تدعي تاليا ذات ملامح عادية.

كانت الغرفة تحوي فراشين متقابلين وثالث خلف الخزانة  
الخشبية التي وضعت بعرض الغرفة عند المدخل. وضعت البيك

---

أب فوق المكتب الذي توسط الفراشين أسفل النافذة وأدبرت اسطوانة للموسيقى العربية. أنصتت الفتاتان في وجوم ثم قالت تاليا: ليس لديك موسيقى رقصة؟ أحضرت من غرفتي ثلاث اسطوانات غربية لموسيقى حديثة. وضعت واحدة فصفت زويا.

قدم لنا هاتز فودكا وقطعة جبن وخبزا متجلدا. صب لنا وجرع كأسه قائلا: نأزدروفا (نخب الصحة). رفعت كأسي إلى فمي وأخذت منه رشفة. قالت زويا: ليس هكذا، يجب أن تشرب للكأس كله مرة واحدة. قلت: لا أريد أن أسكر. قالت: سأعلمك كيف تتجنب ذلك: في اللبدلية تسم للفودكا ثم تأخذ رشفة وتبقيها لحظة في فمك، ثم تبتلعها وتجرع للكأس كله وعلى الفور تأكل شيئا. جرعت كأسي حسب تعليماتها ثم تناولت قطعة من الخبز. قالت إن أباها لم يكن يشرب إلا الكحول المركز ويرفض خلطه بالماء أو أي شيء، وللتأكد من تركيزه يملا كأسا ويشعل فيها النار فإذا اشتعلت لطفأها وشرب. قالت تاليا: الخبز للطازج المصنوع من الدقيق النقي يوجد فقط في أماكن محددة: كوتوزوفسكي بروسبكت قرب منزل بريجنيف وحانوت في شارع جوركي وسينما الفنون في الأربط. اعتذرت عن كأس أخرى فقال هاتز: يجب أن ننهي الزجاجة، فلا توجد وسيلة لإغلاقها بعد فتحها. ألزحت زويا خصلة من شعر رأسها تلت فوق عينها وتثبتها خلف أذنها. سألتني عن مصير الأراضي التي احتلتها إسرائيل في البلاد العربية. قلت إنها لن تتحرر إلا إذا تغيرت الأنظمة الحاكمة. قالت: لكن بعضها يؤمن

---

بالاشتراكية؟ قلت: هذا ما يزعمونه. حكيت لهم عن حرب الاستنزاف التي نخوضها منذ سنوات ضد الاحتلال.

كانت زويا تجلس بجوار هاتز فوق فراشه واستلقت تاليا بعرض للفراش المقابل مسندة رأسها إلى الحائط. و جلست أنا على المقعد الوحيد بجوار المائدة. سألتني تاليا عما إذا كنت لستركت في القتال. قلت إني كنت مجندا في أحد المكاتب العسكرية بعيدا عن الجبهة ثم عدت للتدريس في الجامعة وحصلت على منحة من برنامج التبادل الثقافي مع الاتحاد السوفييتي. اقترحت زويا إطفاء النور وأشعلنا شمعة. جذبها هاتز ليرقصا فاستسلمت لأحضانها. لم أتحرك من مكاني. كان بصري معلقا بوجهها وساقها العاريتين. تأملتني تاليا واجمة. سألتني عن وضع المرأة في مصر. قلت إنه تحسن كثيرا بعد الثورة فخلعت البرقع والنقاب وأصبحت تمارس كثيرا من المهن حتى أنها عملت أخيرا محصلة في سيارات الباص. بعد قليل وقفت قائلة: سأذهب لأن عندي دراسة. وخطبت صديقتها: ألن تأتي معي؟ قال هاتز: دعها تبقى قليلا. انصرفت تاليا وواصل الاثنان الرقص. ثم جلسا فوق الفراش. وساد الصمت بيننا. قمت واقفا مستأذنا في الانصراف وحملت البيك أب واسطواناتي ومضيت إلى حجرتي.

لم أجد مياهها ساخنة لحلاقة ذقني فتمتعت ساخطا: يا فتاح يا كريم. عثرت على بيضة وحيدة فأخذتها إلى المطبخ ووضعتها في قليل من المياه علي نار البوتاجاز. عدت إلى الغرفة وأنا أغني: هذه بيضتي أنا. على نسق إحدى الأغاني الوطنية التي تقول: هذه أرضي أنا، وأبي قال لنا مزقوا أعدائنا.

ترجمت لـ ماريو ما قلته بالإنجليزية التي يجيدها. فضحك. سألني ماذا ستفعل الليلة؟ قلت: لم أقرر بعد. وأنت؟ قال إنه سيفضي الليلة مع أبناء جلدته. سألته: ملالين؟ قال: هي وصديقتها إيزادورا وآخرين.

كانت إيزادورا سمراء متجبرة بالأثوثة ذات ملامح أفريقية وكبرياء. وكنت معجبا بها لكنني تهيئتها فاهتمت بصديقتها ملالين. أما هي فارتبطت بشاب من بلدها اسمه هيكتور. كان وسيما ورياضيا ويبدو من أبناء العائلات البورجوازية الذين تتاح لهم أوجه كثيرة من النشاط الاجتماعي والرياضي.

خرج ماريو إلى المعهد. تقدمت من النافذة. وقتت أتأمل للثلج المتساقط. جذبت المصراع للزجاجي. كان خلفه مصراع زجاجي آخر - به كوة صغيرة تفتح للتهوية- وبينهما مساحة تقوم بدور الثلجة نودع بها ما لدينا من زبد وجبن وكلباسا (اللحم البارد). أخرجت الزبد ووضعتة على المائدة إلى جوار الخبز الأسود

والجبن والمربي. وذهبت إلى المطبخ فغليت مياه الشاي وعدت بها إلى الغرفة. وكما توقعت قرع فريد بابي. كان قصير القامة لدينا ذا صوت جهوري وشارب كث. وتعود أن يبدأ يومه بزيارتي وتناول الإقطار معي. جلسنا نأكل وهو يثرثر. حدثني عن زميله حميد الذي سينهي دراسته هذا العام وعن هلقز وعن غزوات الاثنين للنسائية المتتابة. وكالعادة شعرت بصوته يكاد يخرق أنفي. وفتابني هبوط مألوف وتمنيت أن ينصرف.

## 5

انطلقت إلى معهد "التاريخ المعاصر" سيرا على الأقدام رغم الجليد. كانت الشوارع مليئة ببقايا أشجار عيد الميلاد الخضراء الصغيرة وشرفات البلوكات السكنية مزدانة بالمصابيح الملونة وللشعارات: الحزب والشعب متحدان، للمجد للعمل، تعيش الشعوب الموفيتية بناء الشيوعية. استوقفني في المدخل حارس بلباس رسمي أسود مزين بأزرار نحاسية. أريته بطاقتي ودفعت الباب للزجاجي. طالعتني وجه ليفين محفورا في الخشب وفوقه لافتة تعلن: "إلى الأمام نحو انتصار الشيوعية". خلعت معطفي وسلمته في ركن المعاطف ومعه الكوفية والشابكا.



---

حضرت درس اللغة الروسية. كانت المعلمة في منتصف الثلاثينيات وترتدي جوبة قصيرة فوق كولون أبيض. ثم تناولت الغداء في مطعم المعهد: حماء كرنب له رائحة مياه عسيل للملابس، مع خبز أسود وجولاش به ننف من اللحم، وشاي.

## 6

اقترح هاتز أن نخرج للتنزه مع زويا وتاليا لأن اليوم سبت. وفي آخر لحظة اعتذرت تاليا فصرنا ثلاثة فقط. قال إننا في حاجة إلى فتاة إذ لا يعقل أن نكون اثنتين مع واحدة. اتصلت زويا بصديقة لها لتأتي معنا فاعتذرت هي الأخرى. قالت: نيتشيفو، لا بأ من، نذهب نحن.

مضينا سيرا على الأقدام إلى الغابة القريبة تحت الثلج المتطاير. عائلات بكاملها تمارس الانزلاق على الجليد. أطفال في ملابس ثقيلة أقاموا رجلا من الثلج. غطت زويا رأسها بـ شليكا صغيرة من الصوف المطرز كشفت أطراف شعرها للذهبي. لم تكن لغتي الروسية قادرة على متابعة الحديث الذي تبادلناه بحمس. اكتفيت بالإتصالات إلى صوتها للموسيقى. وأحيانا كان هاتز يترجم ما قالته إلى الإنجليزية. كانت تتحدث بلهجة طفولية شاعرية عن مظاهر الطبيعة وعن طفولتها. وفجأة دمت عيناها ولكتشت أنها تتحدث عن موت خروشوف أو خروشتشيف كما ينطقونها.

قلت إني حضرت دفنه. كنت قد عرفت للنبا في الصباح من صحفي صديق وذهبت معه إلى مقبرة نوفا ديغنتشي. وعندما أردنا الدخول منعنا الحراس. تقدمتتا عجوز متواضعة الملابس بوجه مجمد وعينين دامعتين يغطي رأسها منديل أبيض، وقدماهما في حذاء بال من القلين. توصلت للحارس كي يسمح لها بالدخول وهي ترد: تفاريش، تفاريش. وأخيرا سمحوا للواقفين جميعا بالدخول. مضينا بين مقابر زعماء وعلماء وفنانين بينهم تشيخوف وجوجل ومايكوفسكي وزوجتا ستالين وكاميجين. وصلنا إلى الصف المخصص لموتي العام للحالي. أحاط بنا بضع عشرات قال صديقي إن أغلبهم من رجال المخابرات والصحفيين الأجانب. تمكنت من رؤية الجثمان في حفرة المقبرة. جسم ضئيل ووجه شاحب مختلف تماما عن الوجه للمألوف المتقد حيوية وسلطة. وعندما انتهت الكلمات طاف الجميع من حوله وألقى كل منا بحفنة تراب وأحجار في الحفرة.

مسحت زويا عينيها بظهر يدها المقفزة قائلة: نشر خبر وفاته بعد يومين في ذيل الصفحة الأولى للبرافدا بحروف صغيرة.

احتضنها هاتز وتبادلا قبلة عميقة. قال إن الأمور متشابهة في كل مكان، فمن يهزم في الصراع على السلطة يختفي من التاريخ، لم أعلق.

قررنا النزول إلى وسط المدينة. ركبنا باصا صغير الحجم إلى محطة المترو. دفع كل منا 5 كبيكات عند مدخلها الدولار. وقفنا

ننتظر للقطار حتى أقبل مندفعاً ليتوقف فجأة. إنزاح بابه مفتوحاً  
مفرجاً عن الراححة الثقيلة للزحام الروسي: الملابس الرطبة، الثوم،  
الكرنب، الجلد المبلل. اندفعنا وسط شبان مرحين في بزات التزلج  
الصوفية في طريقهم إلى محطة بيلوروسكا والغابات الثلجية. صاح  
قائد القطار: ديفيريا زكريفانيسا (الأبواب تغلق). وصلنا المحطة  
المؤدية إلى الميدان الأحمر. للثريات اللضخمة. السلم الكهربائي  
المتحرك. جماعة من الأرمن يبيعون لليوسفي. نساء ملفوفات  
بالأوشحة يبعن باقات زهور. اللبلوشكات (المجائز) للمنحنيات  
تحت وطأة ما يحملنه من سلال. وأخيراً الشارع تحت الثلج الذي  
أصبح أكثر تقلاً وبدأ يتراكم فوق الرصيف. للناس تمشي بحذر  
فوق الأرصفة التي تغطي بعضها بالرمل. المعاطف السميكة المبطنة  
بالفراء والقبعات المصنوعة من جلد الغزال أو من الاستراخان  
الحقيقي والكوفيات حول الأعناق. لا يظهر من الوجوه غير فتحي  
الأنف والعينين. نازحات الجليد في كل مكان وإلى جوارها الناقلات  
التي تنثر الرمال. فرق من النساء بالجواريف والنازحات الخضبية  
والمكانس يقمن بتنظيف الشوارع الجانبية. أخريات يزحن الجليد  
عن السيارات المركونة تاركات قطعاً من الكارتون بين مساحات  
المطر تعني غرامة خمسة روبلات لأصحابها. بعضهن يحملن  
مشاعل لإذابة الجليد من بين قضبان الترام. طلبور طويل  
من المنتظرين خارج ضريح لينين ليلقوا نظرة على جثمانه  
المحنت.

عبرنا الميدان إلى قبر الجندي المجهول. وقفنا عند الحاجز. قرأت اللوحة التي خاطبته: "اسمك مجهول وأعمالك خالدة". ذكرت اللوحة أن الجندي مات في طريق المطار عند النقطة التي أوقف فيها الجيش الأحمر تقدم الألمان نحو موسكو. كان هناك جنديان يحرسان القبر في كشكين صغيرين من الزجاج. وحل موعد تغييرهما فظهر بديلاهما يخطولان في مشية الأوزة. تجمع زحام صغير. وبكت إحدى العجائز.

قالت زويا بلهجتها الشاعرية إن أبراج الكرملين وقباب الكاتدرائيات التي على شكل البصل، تضاء بالليل فتبدو مثل الحكايات الخيالية.

نجلونا قليلا ومررنا بالـ جوم، الحانوت الضخم الذي يبيع كل شيء. وسط الجليد وقف بائع الماروجنا (الآيس كريم) بردائه الأبيض والبيوط. توقف سقوط الثلج وظلت السماء رمادية. تجمد المخاط في أنفي. مرت بنا سيارات الفولجا والموسكوفيتش تتخللها في أحيان سيارة أو اثنتان من طرازي زيل وتشايكا اللذين يستخدمهما الحكام. تحولنا إلى اليمين عند حانوت الـ تسوم وتوقفنا نتأمل أعمدة مسرح البلشوي العالية بأربعة جياذ من البرونز فوق قمتها. دقت ساعة الكرملين دقاتها الرصينة التي أعلنت انتصاف النهار. تركنا كنيسة سانت بازيل خلفنا وواصلنا طريقنا صعدا إلى ميدان سفردلوف خلف فندق موسكفا. كان أمامه باص سياحي تجمع حوله قليل من الركاب. بالجوار كشك لبيع الملصقات والصحف والهدايا. أخذت أتقاظ لمقاومة البرد وفقدت الشعور في يدي اليمنى.

اقترحت زويا أن نتناول طعام الغداء في استالوفيا، وهي نوع من المطاعم الشعبية معروفة برخص أسعارها. فأَي من الوجبات الثلاث لا تتكلف أكثر من ثلاث رويلات أي حوالي 150 قرشا مصريا. تناولنا غداء من سلاطة وخبز وحساء سمك ولرز أو بطاطس محمرة مع لحم أو دجاج أو سمك مع العصائر والفاكهة. وكان بريجنيف يطل علينا طول الوقت من على الحائط.

أبدي هانز قلقه من مستوى الأكل ونظافته فقالت زويا إن الطبائحات يرتدين ملابس نظيفة معقمة، ويضعن علي رؤوسهن بونيهات بيضاء ويتم الكشف الطبي على الجميع كل شهرين. وضحكت قائلة: صحة الإنسان السوفييتي مقدّمة. أما عقله فثيء آخر.

## 7

عاد جلال الدينوف مع فتاته نكتاشا. شقراء روسية في الثامنة عشرة من عمرها. وديعة وخجولة. سألته كيف أدخلها. قال وهو يلمس إصبعه السبابة بالإبهام بالطريقة العالمية: تقاهمت مع ليديجورنايا. ثبت بطانية حول فراشه بحيث تحجبهما عنا. وقبل النوم طلب مني أن أدير اسطوانة لـ جليнка حاشدة بأصوات قرع الطبول. ثم توارى مع صديقته خلف الستارة. وفي الصباح الباكر تسلت الفتاة إلى الطابق الخامس المخصص للفتيات لتغتسل.

---

خرجت إلى الكوريدور وقمت بتمرينات الصباح الرياضية ثم أعدت شايًا وقمت لها كوبًا. جلست إلى المائدة أمام الآلة الكاتبة العربية.

بقيت للفتاة طوال اليوم في الحجرة لا تغادرها خوفاً من أن تتعرض للاكتشاف. وفي الليل سألتني جلال الدينوف: ألن تعمل على الآلة الكاتبة؟ أجبت بالنفي. طلب مني أن أدير لسطوانة جليتك ثم توارى مع صديقه خلف الستارة.

## 8

لم أذهب إلى المعهد في اليوم التالي وانقطعت للعمل على الآلة الكاتبة. وتبادلت مع نقاش عبارات متقطعة فهمت منها أن جلال من عائلة ذات مكانة في بلده تملك كثيراً من الأبقار. قلت لها: إن وضعك صعب جداً في غرفة بها ثلاثة رجال. ضحكت في خجل وقالت: لكننا نتصرف. قلت: كيف؟ قالت: عندما نطلب منك إدارة البيك أب. سألتني إذا كنت متزوجاً. أجبت بالنفي.

فُتح الباب فجأة دون طرقٍ وانفتح جلال الدينوف داخلاً ووجهه محتقن. تطلع حوله ثم جذبها خلف الستارة، ودار بينهما نقاش حاد. خيل إلي أنها قالت له إنها لم تفعل أكثر من تبادل حديث قصير معي. بعد ساعة حزمًا حقائهما وغادرا الغرفة.

خرجت إلى الكورييدور ومررت بالغرفة التي يقيم بها خليفة السنغالي بمفرده بسبب نفوذ عائلته أو قبيلته. كان الباب مواربا وثلاجة متوسطة الحجم قربه. ثم فتاة فنلندية مستلقية على الفراش وغير أبهة بانكشاف فخذها حتى الكيلوت، تتطلع إلى الباب منتظرة. ولمحت خليفة في نهاية الكورييدور مع بعض الطلاب. طرقت باب غرفة السوريين. فتح لي هقز ورأيت زويا في الداخل. كانت جالسة في وجوم على فراشه. أدركت السبب في وجومها عندما أعلن عزمه السفر في عطلة الأسبوع إلى بيريفان عاصمة أرمينيا مع طالب أرمني. أراد أن يخفف الجو فروي نكتة رومسية تسخر من الأرمن: تلقى راديو بيريفان سؤالاً من أحد المواطنين عما إذا كان من الممكن أن يحمل الرجل؟ فأجاب المنيع: لم يثبت ذلك لكن التجارب تجري الآن في جميع أنحاء أرمينيا.

دخلت علينا تاليا واستسلمت زويا بلا نفور لقبلائها في الفم. شعرت بالتقزز وهو نفس الشعور الذي يخالجني عندما أرى للعرب يتبادلون قبلات الشفاه. رويانا لها نكتة الأرمن. قالت: لدي نكتة جديدة: فوجئ ركاب المترو بأحدهم يضرب جبهته بيده في قوة ويصيح كيف حدث ذلك يا غبي يا حمار يا ابن العاهرة؟ أسرع إليه مفتش القطار: ما ذا تقول؟ أنت تجرح مشاعر الناس والقانون يعاقبك. قال له: اسمع الحكاية. ثم فوجئ الناس بالمفتش يخطب جبهته ويصرخ: يا غبي يا حمار يا ابن العاهرة. ثار الركاب وأخذوها إلى الشرطة، سأل الضابط عما حدث فقال للراكب:

سأحكى لك يا رفيق، أنا كما تري لبيض الوجه والجسم وأصفر  
الشعر وامراتي شقراء بيضاء وولد لنا ولد زنجي أسود. فضرب  
الضابط جبهته بقوة قائلا: كيف حدث ذلك يا غبي يا حمار يا ابن  
العامرة؟

وفد حميد بعد قليل. كان ممثنا في طولي بشعر ناعم وشارب  
خفيف. قال لي بالعربية إن المحاكم الأردنية حكمت بالإعدام على  
36 فدائيا فلسطينيا وإن جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل أشادت  
بما أسمته "شجاعة الملك حسين وفروسيته".

## 9

قال هاتز إنه سيصعد إلى غرفة زويا ليشرب الشاي. ودعاني  
للحضور. فكرت: كنت أريد أن أغفو قليلا لأكون منتعشا في سهرة  
المساء الموعودة. كما أنني شعرت أن وجودي معهما لا معني له.  
سيكون الحديث مملا بالروسية. اعتذرت.

تمددت فوق الفراش بملابسي من جديد. شعرت برغبة في  
الاستمئاء لكنني عدلت. ربما بنوع من الكسل. لو تجنبا للكلم الذي  
أشعر به عنذاك. رحت في النوم وشعرت بالبرد فتغطيت. استيقظت  
على قرع الباب. فتحتة لأرى زويا أمامي. كانت تطلب سكيناً.



بحثت عن سكنين وأنا مجرد من عيوناتي. انحنيت أمام الخزانة لأبحث في درجها السفلي. وبركن عيني لاحظت أنها ترتدي ثوبا قصيرا وأن ساقها عاريتان بلا جوارب. أعطيتها السكنين. قالت إنها تعد حصاء ودعتني للحضور. انصرفت وعدت إلى الفراش. شعرت بهبوط. تمنيت أن يأتي أحد ليقول لي إن سهرة المساء للفتى. لو أن استطيع النوم إلى الغد. أو تأتي مادلين بالصنفة. ثم تصورت أنني سأضطر إلى اصطحابها عند الخروج وتوصيلها، وبعدئذ ستطلب أن نتقابل مرة أخرى فعدلت عن الفكرة كلها تماما.

حاولت أن أتذكر ملامح وجه زويا ونبرات صوتها عندما فتحت الباب لها. كانت باسمه. ماذا كانت ستفعل لو كنت مددت يدي وتحسست ساقها العارية عندما انحنيت أمام الخزانة؟

غادرت الفراش. عدلت عن مواصلة العمل على الآلة في تقرير للأستاذ المشرف على برنامجي. غسلت أسناني ووجهي وأعددت شايًا. جاء ماريو وذهب. أما القرعيزي فلم يظهر. أمسكت بكتاب عن الاسكندر الأكبر. ثم خرجت إلى الحانوت. لم تكن هناك فودكا لأنها لا تباع بعد الساعة مساء. اشترت زجاجة شمبانيا ثمنها 4.76 روبل، ورغيف خبز. عدت إلى الحجرة. وجدت فريد وحמיד في انتظارى.

مرت هند على فحملت للزجاجة ونزلنا جميعا إلى الطابق الثالث. كانت عراقية بيضاء على غير المألوف من مواطنيها. انضم إلينا صديقها الروسي كوليا. مضينا إلى الخارج كموكب

---

حزين، ركبنا الباص ووضعنا ثمن البطاقة في الصندوق المخصص لذلك. سحبت شريط البطاقات وقطعت واحدة. تجاوز كوليا للصندوق دون أن يدفع وقال لي إنه عادة لا يدفع فلا بد من الحياة على مستوى التلمذة. وقفت عند مدخل الباص فطلب مني رومي ممثلي أن أتحي قليلا. فعلت مدركا خطئي سعيدا بالابتعاد عن هند وصديقتها. وقفت أمام جالسة روسية في الخمسينيات، ذات أسنان ذهبية وشعر مصبوغ. كانت تقرأ كتابا من الشعر. ويجوارها طالب إفريقي يحمل اسطوانة لأغاني جيمس برلون. خاطبني الرومي مرة أخرى وطلب مني أن أبتعد إلى مؤخرة الباص ففعلت. تأملته يقرأ كتابا باهتمام وفي يده شنطة بها عدة علب من مسحوق للصابون.

انتقلنا إلى المترو وجلست بجوار هند. سألتها عن سنها. قالت: 23. دار الحديث عن مصر. سألتني وهي تقضم أظافرها في شيء من الخجل عن آخر مرة كنت فيها هناك. ذكرت لها كيف كان انطباعي سلبيا. قالت إنها مرت بـ الإسكندرية في باخرة ورفضوا إنزالها لأنهم شكوا في أنها فلسطينية لكنها لاحظت قذارة المدينة. قلت إنها كانت نظيفة في الماضي عندما كان بها أجناب ثم وسخناها عندما خلصت لنا.

غادرنا لقطار في محطة كوتوزفسكايا، الحي الذي يسكن به كثير من الأجانب والدبلوماسيين. سرنا وسط اسطوانات الزجاج والألومنيوم التي شكلت ديكور المحطة. عبرنا إلى الناحية الأخرى

من الطريق وأخذنا الباص. نزلنا إلى جوار كنيسة تدق أجراسها. مضينا إلى جوار أبراج سكنية حديثة من عشرة طوابق أو 15. استوقفنا شرطي مستفسرا عن وجهتنا. ذكرت له هند اسمها. سألها عن موطنها. أشار إلى كوليا الذي لزم الصمت. قلت له إنه لا يملك الحق في أن يسألنا. قال: بالعكس. ثم تراجع وابتعد.. تقدمنا من إحدى البنايات. كان الباب الزجاجي مغلقا لا يفتح إلا لمن يحمل مفتاحا أو يعرف رقم تليفون الشخص الذي يقصده ويدير الأرقام الأربعة الأخيرة منه فوق لوحة خاصة. فعل فريد فانفتح الباب أوتوماتيكيا. لوثقينا المصعد إلى الطابق الرابع. استقبلتنا الأرضية للخشبية اللامعة وفوقها ولید مرحبا. كان في نحو الأربعين، ممثلئ الجسم خفيف شعر للرأس. خلعنا أحذيتنا ومعاطفنا. ولجنا صالة ضيقة تحوي باب شرفة ومكتبنا لزحم بالكتب والأوراق والتليفون بواجهه مكتبة حاشدة. وفي الجانب الآخر مائدة حفلت بأطباق الميزات السورية: المكدوس والحمص والطحينة والثوم والملفوف وغيرها.

كانت زوجته لعياء سمراء ممثلة في الثلاثين ذات عينين ضيقتين في وجه صاحب حزين. قالت لي إن زوجها هو الذي أعد الميزات بينما كانت مشغولة بطفلتها البالغة من العمر سبعة شهور. سألتني لماذا لم أحضر مادلين معي. وأضافت إنها قابلتها في العيادة الطبية وأعجبت بها. جلسنا حول المائدة وفتح كوليا زجاجة للشمبانيا. شربنا نخب الطفلة ثم صب ولید فونكا لنا. علّق على

موقف الشرطي قائلاً إنه يملك الحق في منع أي روسي من دخول العمارة لأنها مخصصة للدبلوماسيين والصحفيين الأجانب، ولا بد من الحيلولة دون الروس والاتصال بهم. ثم دار الحديث عن أنواع الجبن وقال كوليا إنه يعبد الروكفور وأخذها معه مرة لأمه في قريته في بيلاروسيا وكانت تلقى بها في الزبالة من راثحتها. أشار وليد إلى الجبن الموجود على المائدة وقال إنه نوع جيد يدعى سوفيتسكي وثمنه 3.40 روبل وأنه لم يعثر على نوع آخر أغلى منه. قال فريد إنه يفضل جبن روسسكي. انفرجت ملامح كوليا الجامدة وقال ضاحكا إنه يفضل روسيا على الاتحاد السوفييتي. أحضرت لمياء طبقاً من اللحم البارد. وجهت الحديث إليها متعائلة عما تفعل. قالت إنها تعمل بالتدريس في مدرسة أبناء الدبلوماسيين العرب وتعود في الخامسة مساءً منهكة لتقوم بشغل البيت. سألتها في خبث: ألا يساعدك وليد؟ قالت في استنكار إنه مشغول دائماً بمقابلات لا تنتهي: سهيل إدريس، مصطفى الحلاج وقبلهما أميل توما ومحمود درويش و لطفى الخولي وأمس سهر مع أميل حبيبي وكان هناك مؤتمر المسرح العالمي وهو يستعد الآن لمهرجان السينما في الشهر القادم. رد عليها في هدوء إنه يقوم بمقابلات مفيدة وإنه يعد عدداً من الدراسات سيمتد منها للجميع. أردت لن أغير مجرى الحديث فسألته عن فيلم المخرج الجورجي بوسيليان "عاش طائراً مفرداً" فقال إنه لطيف ولكن به عيوب فكرية. وقال إنه يعرف المخرج شخصياً. قال حميد إن فيلمه الثاني المعادي لستالين كان ممنوعاً من العرض منذ إخراجها عام 63 والمفاجأة أنه يعرض الآن في الدور الصغيرة. قال وليد إنه كان

مع المخرج منذ أيام وأبلغه بذلك فأخذ مجموعة من أصدقائه وذهبوا لمشاهدته، فوجد أن السلطات قطعت منه أجزاء. سأل إذا كان أحدنا قد رأى فيلم بترولينى "أوديب ملكا". ومضى يقول دون أن ينتظر الإجابة: إنه لا شيء فقد تراجع عن مرحلته الأولى وبدأ يهتم بالطقوس الدينية. اعترض فريد فلم يعبأ به واستطرد قائلاً إن مسرحية فايدا للبولندي عن فيتلتم تقدم الآن على مسرح تلجاتكا، وإنه - أي فايدا - أخرج هاملت بصورة جديدة، إذ جعل منظر الموت في ضوء ساطع على مسرح بغير ستارة بدلا من للظلام الذي كان يستخدمه المخرجون الآخرون عادة. غمس أصابع الملفوف في مزيج الخل والزيت ولتھمها في شراة.

بق جرمس للتلفون. تمنيت لو جاء أحد: واحد وزوجته أو فتاتان. انتهت المكالمة بموعد اللقاء في الغد. تكرر للتلفون وفي هذه المرة فهمت أن شخصا سيأتي مع زوجته وصندوق بيعة متلا المصرية. سألت وليد: كيف حصل عليها؟ قال: موجودة في كثير من الأمكنة، الاتحاد السوفييتي يقبل من مصر أي شيء مقابل ديونها.

جلست أنتظر وعيني علي الباب وأذني على صوت المصعد. وأخيرا وصل الرجل وزوجته: خنزير أبيض وخنزيرة بيضاء في بنطلون. أخذ وليد علي جانب وأعطاه حفنة دولارات. وأعطاه وليد بالمقابل روبلات. التفت إلينا وهو ممسك بـ الدولارات: لو أحكم يريد استبدال دولارات أنا في الخدمة. دار الحديث مرة أخرى عن موقف الشرطي. ودافع وليد عن حق السلطات في منع الاتصال

بالأجانب. واستعرض عددا من طلبة المعهد السوريين ووصفهم بأنهم طور الله في برسيمه. علق حميد على رداءة بعض المصنوعات السوفيتية وتخلفها في الشكل الخارجي بالمقارنة مع المنتجات الغربية. شعرت كما لو كان يوجه حديثه إلى وليد. علفت قائلا السبب هو لفتاء المنافسة في السوق، لكنها تتميز بالجودة. قال: أي منتج يتعين على الناس أن تشتريه لأنه لا يوجد بديل له. قلت: ليس للبديل أبدا هو المنافسة للرأسمالية. رحب وليد بكلامي. أحضرنا زجاجات ستلا وأخرج سمكة مجففة أعطاها لـ كولييا فقشرها وهو يتعبد فيها ويحكي لنا طرق استخراجها وكيف أن أباه أكل مرة واحدة على مدى شهر كامل لأنها لا تباع في الأسواق ولا توجد إلا في حوليت اليربوسكا، التي تتعامل بالعملة الأجنبية. استمتعت بقطعة صغيرة منها مع البيرة. احتكر وليد الحديث مرة أخرى. واستأذنت زوجته لتتألم. بعد قليل شرعنا في الانصراف. احتضن وليد هند وطلب منها أن تقبله في خده. ثم انفرد بصديقها في جانب وتبادلا حديثا خافئا. ثم أصر أن نشرب للمزيد من البيرة. واستبقى الضيف الذي أحضرها لأنه يريد الحديث معه في أمر هام. غادرنا الشقة. ومررنا بالشرطي في الكشك المخصص له. تحدثنا بالعربية بصوت عال. شكى كولييا من حموضة في معدته. واحتضنته هند في لبع حتى ركبنا الباص. وقفت إلى جوار حميد فسألته هامسا: ألا يخشى وليد شيئا عندما يقوم علنا باستبدال الدولارات؟ ضحك قائلا: عمليات الاستبدال تتم تحت رعاية الـ ك ج ب، (المخابرات) لأن الدولة تحتاج إلى الدولارات.

---

## 10

عاد جلال الدينوف بمفرده. قال إنه استأجر غرفة في منزل قريب وستقيم نكاحنا معه. وقال إنه سيحتفظ بفراشه في حجرتنا وعلينا ألا نذكر شيئا عن مبيته في الخارج، فليس مسموحا الإقامة خارج بيت الطلبة واتخاذ مسكن مستقل.

## 11

لم أقم جيدا بسبب ضجة مهولة طوال الليل في غرفة البنات فوق. وفي غرفة خليفة ظلت للموسيقى الراقصة دائرة حتى الرابعة صباحا. وكنت أتهيج عندما أفكر في زويا فيؤلمني قضيب. تصورت أننا بمفردنا وخرجنا سويا ثم صار جسمها للنحيف بين نراعي وأنا أنظر إلى عينيها.

حملت زجاجة لبن فارغة إلى المغسل لأملأها بالماء وأغتسل بها بدلا من ورق التواليت للخمسن. كان خليفة للسنگالي يقف أمام آخر حوض في الركن. وشرع يغتسل وإذا به يخلع سرواله ويبرز قضيبا كبير الحجم ثم يضعه تحت صنوبر المياه ويفسله وهو ينظر إلى مزهوا.

قررت العمل على الآلة الكاتبة. حملتها لأضعها على المائدة فوقعت أرضا وتحطم سطحها البلاستيكي. وضعتها جانبا في

غضب. وفد حميد وهون على. خرجنا سويا وشربنا بيرة روسية بلا طعم في البيفستاي (صالَة البيرة) المجاورة. حكيت له عن معاركي مع زميلي حلمي عبد الله الانتهازي عضو الاتحاد الاشتراكي الذي نافسني في حب زميلتنا جمالات وفاز بها<sup>(٢)</sup>. قابلنا بشار عند عودتنا فقال إنه اشترى لحما جيدا من البريوسكا، ودعانا للأكل. كان سوريا متوسط القامة ينسدل شعر رأسه الناعم حتى كتفيه على الطريقة الغربية.

أعدنا صينية في الفرن وضعناها في مطبخ الطابق الأول وجلسنا أمامها كي لا يسرقها أحد. أكلنا في غرفة السوريين مع بقايا زجاجة نبيذ. وانضم فريد إلينا. قال إن إسرائيل قامت بغارات جوية على سوريا استمرت ثماني ساعات وإن زويا أحضرت كتابا لـ حميد منذ ساعة ثم اختفت. سعد هاتز إليها ليدعوها فلم يجدها. أكلنا وشربنا فوكا بعد أن انضم إلينا عباس العراقي - للعائد لتوه من بلده- وجان اللبناني وهيلين اليونانية صديقة بشار. كانت ترتدي جوبة قصيرة للغاية كشفت عن ساقين بديعتين أشعرني جمالهما بالحزن. ظلت صامئة بينما دار الحديث بالعربية. استفسر حميد من عباس عن طالب عراقي أنهى دراسته بالمعهد وعاد إلى العراق فقال: ماكو. عاد يسأله: وعبد الجبار؟ قال: ماكو. سألته عما يعني، فمر بإصبعه على رقبته دون أن ينبس. ذكر أن البعثيين قبضوا على أحد قادة العمال واغتصبوا زوجته وسرقوا أمواله ثم

---

<sup>٢</sup> راجع رواية "لريقتلي" للمؤلف.



---

أجبروه على ممارسة الجنس مع غلام وصوروهما، ثم هددوه بفضحه بين العمال فخضع لطلباتهم. وقال إن صدام حسين بدأ حياته السياسية زعيما في الثانوي لإحدى فرق الإرهابيين المسلحة أثناء مطاردة الشيوعيين بعد سقوط عبد الكريم قاسم. سألته عن المؤامرة التي وصفها الصحف السوفييتية بأنها مخطط إمبريالي ضد حكم للبعث الوطني. فقال إنها ملفقة ومحاولة لاصطياد للناصريين وإن الاتحاد السوفييتي يؤيد البعث في الحق والباطل. سأله فريد عن كيفية اعتراف عزيز الحاج زعيم التنظيم للشيوعي المتطرف. قال إن السلطات البعثية أعدمته عددا من رفاقه أمامه ولحدا بعد الآخر بعد تقطيع أجسادهم وخاصة أعضائهم للتاسلية. وتحدث عن تفاصيل محاولة اغتيال البارزاني، زعيم الأكراد.

## 12

دعوت زويا وهاتز إلى كونسرت في البلشوى تعزف فيه رباعية لـ موتسارت. فاعتذر هاتز ليعمل في مشروعه. صعدت زويا لتغسل شعرها وغسلت أسناني. غادرنا الأبشجيتي سويا ووضع يديها في جيبي معطفها. مضينا إلى الكونسرفتور في صمت. رفضت العجوز القائمة على غرفة المعاطف البقشيش. قالت لي في لهجة عظة إنها ما تزال تحتفظ

بلافتة من أيام الثورة تقول "هنا لا نقبل البقشيش". وأضافت: إذا كان الإنسان مضطرا للخدمة لكسب خبزه فهذا ليس مبررا لإهانته بتقديم البقشيش له.

كان المسرح مزدحما ولم نجد مقاعد متجاورة. جاء مقعد زويا في الصف الثاني وأنا في الصف الأخير بجوار فتاة كازاخية. شردت ولم أستطع التركيز وشعرت بالملل. في الاستراحة أسرع إلى البوفيه. طالعني وجه فتاة سمراء حلوة. تعرفت فيها على خادمة مصرية عند أحد موظفي السفارة المصرية. وكانت برفقة شاب روسي متألق بشكل متعمد يشي بأصوله المتواضعة. عرفتي ويدا عليها الارتباك. التقيت زويا وتقدمنا من البوفيه. شربنا بيرة وعرضت عليها أن نأكل شيئا فرفضت. كان القسم الثاني من الكونسرت أكثر حيوية. وقالت عندما التقينا من جديد إنها الآن سفابونديا جينشنا (امرأة حرة) لان فترة الإعارة من الساعة السابعة حتى العاشرة انتهت. تشاغلنا باستكشاف مواعيد الحفلات للقادمة في اللصقات. وقلت إن هانز يريد حضور حفلة باخ. قالت بمرارة انه سيذهب إلى بلده.

مشينا إلى محطة المترو ولنا أجد صعوبة في إيجاد موضوعات للحديث. قالت شيئا لم أثبتينه حول حركة القطار التي تدفعها في اتجاهي. وأضافت مرة أخرى إنها امرأة حرة. قلت: حذار. قالت إنها أنت امتحان الشهر بصورة جيدة لأن المدرس معجب بها. وقالت إنها كانت تعتقد في قبحها، وكانوا يسمونها في المدرسة بالهيكل العظمي. أوشكت أن احتضنها.

في مدخل الأبنسجيتي قالت إنها مستمر علىّ لنشرب الشاي.  
لقيت هتقز في الكوريدور يتطوح سكرنا وقال إنه جائع. سألتني  
عما فعلنا فقلت كانت ليلة مملة. أجبرته على أن يصعد معي إلى  
الطابق الخامس بحثاً عن زويا. لم نجدها وعندما نزلنا فوجئنا بها  
في حجرته. لاحظت أنها أضافت طلاء لحمر إلى شفتيها. قال لها:  
أين كنت؟ بحثت عنك. فأشارت إلى قاتلة: لا. هو الذي بحث عني.  
بعد قليل قبلها في شفتيها ثم نظر إليها في ازدياء وقال لها  
بالألمانية كلمة تعني أنها ساقطة. رددت الكلمة دون أن تفهم. فتحت  
زجاجة بيرة وأعربت عن احتجاجي لكلمته بأن رفضت إعطائه  
منها. دار حولنا وقال إنه يثمني ألا يحدث شيء بيننا، فأسرعت هي  
تقول: لن يحدث. قال إنه يريد أن يأخذها إلى حجرة بشر في  
خالية. لكن ليس معه مفتاحها. قلت: اذهب إلى حجرتي فليس بها  
أحد.

## 13

ذهبت قبل غروب يوم السبت مع فريد وبشار السوري  
وصديقته هولين إلى منزل صديقة فريد الروسية علي مسافة ساعة  
ونصف بالقطار. مضينا في شارع قصير ضيق على جانبيه مباني  
سكنية من أربعة طوابق من الطوب الأحمر تصاعدت منها أصوات  
الموسيقى للصاخبة. وبدت أشجار البتولا عارية وباردة من غير

أوراقها. ارتقينا سلما معبنا برائحة الكرب. ولجنا شقة من غرفة وصالة لها أرضية من اللينوليم الرمادي، وتتوسطها مائدة ومقعد ومرير مغطى ببطانية صوفية. فوق المائدة نظارة وعلب أدوية ونسخة من جريدة برافدا. على الجدران صور لينين، وميداليات العمل الاشتراكي وشهادة بالعيد الأربعين لعضوية الحزب الشيوعي.

استقبلتنا إيرما صديقة فريد ولها. الأولى أطول من فريد وفي بداية العشرينيات، ذات وجه طفولي. والثانية في الحجم الروسي للمعهود ذات وجه ينم عن شخصية قوية. قال لي فريد بالعربية إنها شبيوعة جيدة وفقدت زوجها من 15 سنة. وتعمل في التمريض وغيرت مرة عملها لأنها لم تستطع السكوت على سرقات الطبيبة.

كان المسكن قائف الحرارة فعلقت على ذلك. قالت الأم: في الماضي كان الناس يتجمدون من البرد حتى الموت. وهذا لا يحدث الآن. قالت إيرما في تحد: الآن يموتون بأسباب أخرى.

خلعت هيلين معطفها فكشفت عن ساقبيها البديعتين. واختفت الأم في المطبخ. أدارت إيرما التليفزيون فشاهدنا فيلما دعائيا ضد الخمر. قالت ضاحكة إن عاملا عجوزا اقتيد إلى قسم الشرطة بسبب إفراطه في الشراب، وعندما سئل عن السبب في لجوئه إلى لجزاجة قال إنها تمنحه الوقت الوحيد الذي يشعر فيه بإنسانيته.

فتحنا زجاجات الشمبانيا والفودكا وتبادلنا الأنخاب. عرضت علينا إيرما ألبوم صورها وديون شعر اسحق بائيل الذي تعرض

للتعذيب في لوبييتكا، مبنى المخابرات السوفييتية، سنة 1939، حتى اعترف على أصدقائه ثم تراجع عن اعترافاته وأعدم في العام التالي بأمر من ستالين بتهمة التجسس ثم أعلنت براءته في عام 1954 بعد وفاة للدكتور السوفييتي. ألبت الأم تأفها من الحديث فهتفت إيرما في سخرية: يعيش ستالين للعظيم إلى الأبد، ستالين أب ومعلم للشعوب السوفييتية، ملهم ومنظم انتصار الشيوعية، قائد كل البشرية التقدمية. قالت الأم: أيام ستالين كان المكان نظيفا لما الآن أينما نظرت لا تجد غير الكحول والاتحلال والمخدرات، رجال يضربون زوجاتهم حتى شفا الموت ويتشاجرون في المساكن المشتركة. بدا لي أنه صراع مستمر بين الاثنين.

قال فريد مغيرا مجرى الحديث إننا سنشهد قريبا هزيمة أمريكا في فيتنام. قضينا الليلة نشرب فودكا ونلعب للورق ونرقص. قلدي فريد في لعب الرياضة بطريقة ساخرة وضحكنا. في الثالثة عندما سكرت رقصت مع إيرما وأنا منتصب. ورقص بشرا مع صديقته. كان يتحرك بنقّة وقد نهّل شعره الطويل حول رأسه.

نمنا كلنا على الأرض في غرفة المعيشة بينما احتلت النساء غرفة النوم. وفي الصباح شعرت بصداع عنيف. أعطتني الأم أسبرين وفيتامين س ثم نصحتني بشرب البيرة للتخلص من أثر الخمر. قمنا بجولة حول المكان. للجو رائع وقد توقف تساقط الثلج. البلكونات مزينة بشتّى أنواع المهنات: هياكل أسرة ودراجات وإطارات سيارات قديمة ونباتات ميتة. وفوق بعضها لافتات للنقد

الذاتي البناء أساس حزبنا"، ومن النار يولد الصلب". تحدثنا عن مشاكل المسلمين والمسيحيين في مصر. ثم عدنا إلى المنزل واستأنفنا الشراب ولعب الورق. وكنت لأكثرهم مرحا. بينما جلست الأم صامتة إلى جولري ثم نهضت وأعدت لنا طبقا من عيش الغراب بالشوم وللزبادي.

انصرفنا قبل المغرب وبقي فريد في غير حماس. قرأت قليلا في القطار في رواية آرثر كوستلر "ظلام الظهيرة"، التي تنتقد للسوفييت وحصلت عليها من هاتز. أغلب للركاب يبدو عليهم الإرهاق بعد سهرة المسبت. وكان هناك زوج نائم بينما زوجته تقرأ واستيقظ فجأة طالبا منها مقطبا أن تزيح ساقها التي استقرت فوق ساقه. انتقلنا إلى المترو وصعدت معنا عجوز تحمل قيثارة. لمحت رجلا نائما على مقعد وحيد واضعا يده وصورته علي فمه. وكان هناك أيضا ضابط عرفنا من لهجته أنه سوري مع فتاة حلوة تحمل دبلة زواج وقالت له عندما وجه إلينا التحية: بلديات لك مرة أخرى. وأخذت تتأملنا. كانت ترتدي غطاء للرأس على شكل باروكة ليמוنية اللون فكرت أنه أحضرها لها من سوريا أو هلمسكي أو البريوسكا، وأنه في بعثة تدريب أو وفد زائر. في إحدى المحطات أعلن قائد القطار في الميكروفون عن فتح الأبواب. فقال لها شيئا وضحك. وعندما غادرنا للمترو خرجا أمامنا وانضم إليهما ضابط سوري آخر مع فتاة تبدو أقرب إلى العاهرات. وقفنا ننتظر الباص وانتحي الأربعة جانبا وأخذ الضابطان يقدان للفتاتين الحركات العسكرية المختلفة وهما تضحكان.

فتح هاتز باب حجرتي وقال: هذا هو. كانت زويا بجانبه في رداء أزرق بزخارف صينية يصل إلى ركبتيهما، فوق بنطلون أخضر اللون. قالت لي: زيراستيتي (مرحبا). رددت عليها بصوت خرج غريبا. تطلع إلى هاتز في بغلة. قالت إنها لم تتم هنا بالأمس. لم أهتم. سألتني: لماذا أنت كئيبة؟ قلت: ضغط دم منخفض. قالت: يوجد دواء. ثم قالت لـ هاتز: لماذا لا تقول لي كلمات جميلة؟ وروت نكتة جديدة: بعد عدة عقود سأل صحفي أجنبي مواطنا سوفيتيا عن بريجنيف وكلمسيجين فقال إنهما لثان من المساسة عاشا في عصر الكاتب الروسي المتمرد زولجنتمسين. ضحككت في تكلف. انصرفا.

في الساعة الرابعة والنصف أصبح الجو مظلما وكئيبا. ارتديت المعطف وخرجت حاملا الآلة الكاتبة من مقبض علبتها. مشيت حتى المترو وركبت إلى بروسبيكت ماركس. دخلت حافونا لإصلاح الآلات الكاتبة. سلمت الآلة لعامل متجههم قال لي لن أسأل عنها بعد شهر. اتجهت إلى مطعم خلف مسرح البلشوي. وقفت أمام المطعم في البرد ساعة. كان حارس الباب يتحرك في عظمة ويدخل الناس على مراحل الأولى بين البابين الزجاجيين حيث استمتعت بالدفء وبعد ذلك فتح للباب الثاني وأصبحت دخلت المطعم فخلعت معطفي. طلبت نصف دجاجة تهاك. ثم توجهت إلى

---

دار للسبينا. شاهدت فيلم "عاش طائرا مغردا". كان بطله عازف  
طبل في أوركسترا ويصل دائما متأخرا ليقرع الطبل مرتين هما  
كل المطلوب منه. شعرت بالرغبة في البكاء عندما انتهى الفيلم  
بمصرعه في حادث طريق أثناء التفاته ليتأمل امرأة عابرة.

اشتريت مارجونا (آيس كريم). طرقت باب غرفة هانز. فتح  
لي في جلاب النوم. كان الجلاب منتفخا وبارزا تحت وسطه.  
شككت أنه كان منتصبا. اتحنى على وقبلني في عنقي فابتعدت عنه.  
ارتدى ملابسه خلف الخزنة التي وضعت بعرض للغرفة. أعد  
قهوة. فكرت أنني لو رأيت زويا سأجاهلها. بعد دقائق سمعتها تقرع  
الباب. دخلت واضعة يدها علي فمها قائلة في دلال: عندي برد.  
وجدتني أبتسم لها وأقول: اشتريت مارجونا. صفقت بيديها مهللة  
وجلست على مقعد. وضعت يدي على شعرها وضمت رأسها إلى  
صدري. أكلنا مارجونا بالقهوة. غادرت مقعدها وجلست في حجر  
هانز. أخذ يشرح لها معنى كلمة امرأة باردة. قلت: مثلها. قال:  
كيف عرفت؟ على العكس. قلت: كيف عرفت؟ سألته هي: كيف  
عرفت؟ قال: زوجها قال لي. ضحكنا. غادرت إلى غرفتي  
وتركتهما سويا.



في الصباح طرق هاتز باب غرفتي وسألني إذا كنت رايت  
البنيت فقلت لا. قال إنه رأى معها علبة سجائر مصرية وأنه طردها  
بالأمس وظن أنها ربما جاءت تشكو لي. قلت: أنا للصدر الرحب.  
ضحك.

ذهبت إلى المعهد لأستعيد جواز سفري وأعرف ماذا تم  
بالنسبة لرحلة ليننجراد. قال فريد إن هناك اتفاقاً على وقف الحرب  
في فينتلم. تساءلت: كيف سيبدو للعالم الآن وقد تعودنا على أنباء  
الحرب كل يوم؟ قال إن إسرائيل ضمت مرتفعات الجولان  
السورية. حانت مني نظرة إلى الطابق الثاني فرأيت موائد  
ومندوتشات وبيرة وتفاحا وطماطم وأشخاص أغراب. قال فريد إنه  
مؤتمر لأعضاء الحزب الشيوعي في الحي. كانوا يرتدون ملابس  
يوم الأحد والأعياد وعلى صدورهم شارات حمراء بصورة لينين.  
مر بجولري أحد أساتذة المعهد. كان يحمل حقيبة يد مفتوحة  
ولمحت بداخلها قطعة كبيرة عارية من اللحم. ولم يكن هناك شيء  
غيرها.

مررت على غرفة السوريين عند عودتي إلى الأبشجيتي.  
كانت زوييا جالسة على فراش هاتز في الجوب الأزرق القصير.  
سألتني: هل ستحضر مؤتمر الحزب الشيوعي؟ إنهم يبيعون لحماً  
وتفاحا وطماطم. ضحكت فقالت: لماذا تضحك؟ قلت: أسألك

---

كثيرة. غضبت ولزمت الصمت مستغرقة في قراءة صحيفة.  
فترض مني هاتز كوبين قائلا إن فلايمير أحضر زجاجة فودكا.  
دعني للانضمام إليهم فاعتذرت.

قررت أن أغسل ملابسِي. ظهر هاتز بعد ساعة وعلى وجهه  
علامات التماسه. قال إنه يريد سكر لعمل قهوة. وقال إنه جلس  
صامتا بينما دار بين فلايمير وزويا حديث برجولزي متكاف.

## 16

انطلقت مع فريد وحميد إلى المعهد. قال حميد إنه يتنكر  
عندما جاء موسكو لأول مرة. كان يردد أنه سيكسر العالم بأسنانه.  
قال إنه يشعر كما لو كان لديه درج به كمية ضخمة من الطاقة ظل  
يسحب منها حتى فرغت. قابلت الأستاذ المشرف على برنامجي.  
كان في حوالي الخمسين يرتدي سترة وينظفونا غير متناسقي  
اللون. أنصت لي شاردا ثم أقر خطتي دون اهتمام. صرفت رأيتي  
للمهري، ضعف ما يأخذه الطلبة العاديون.

ذهبت إلى العيادة الطبية رقم ستة التي نتبعها، في وسط  
المدينة. تمددت على سرير الطبيب بعد أن خلعت ملابسِي ووصفت  
له حالتِي على ورقة رسمت عليها القضيب والخصية.. طلب مني  
أن أمسك قضيبِي بيدي وألبس يده قفازا أبيض ثم أدخلها في

---

مؤخرتي وحرك إصبعه حتى شعرت بحرقان. قال إنني لشكر  
التهاب بروساتًا بسبب البرودة. كتب لي دهانا ودواء أحقن به  
نفسي في الشرج وتذكلك للغدة يقوم هو به. مشيت حتى مترو  
أرباتسكيا ثم غيرت للقطار في كييفسكليا.

## 17

عاد ماريو منفعلا من رحلة مع الطلبة البرازيليين لقرية على  
مبعدة ألف كيلومتر. قال إن أهلها يأكلون جيدا ولأن الطماطم واللحم  
متوفران، ولا يملون الحديث عن ذكريات الحرب العالمية.

قررت أن أخرج وفكرت في الذهاب إلى السفارة. كانت  
السماء رمادية والمطر ينهمر فعدلت عن ذلك. بعد ساعة خرجت  
وركبت الباص ثم المترو حتى محطة تلجاتكا. اتجهت إلى مكتبة  
الأدب الأجنبي. استدعيت رواية 'للكومينيون' لـ جراهلم جرين.  
بجوارى عجوز جافة وشابة قبيحة. وضعا همهما في كتب الفن.  
في الساعة الخامسة شعرت بالنعاس وغفوت وأنا جالس عدة مرات  
لعدة دقائق. دخنت سيجارة في غرفة للتدخين الباردة قليلا بسبب  
جهاز شطف الدخان. دخلت فتاة لتدخن وتمنيت وأنا أقرب جانبًا من  
ساقها بطرف عيني أن نتبادل الحديث. غادرت المكتبة إلى السينما  
المقابلة التي تعرض فيلما أمريكيا قديما من إخراج فورد. لم أجد  
مكانا في الحفلة التالية. مشيت في حذر فوق الجليد حتى ميدان

تلجأنا. كان الهواء محملاً برائحة المازوت المستخدم وقوداً للسيارات. دخلت مقهى ووقفت عدة دقائق. ارتفع الدم إلى وجهي وأنتني وغطي البخار نظارتي. مسحته بمنديلتي. قلت للكاسيرة إنني أريد مكرونة وحساء وكتليت (كفتة) وقهوة. دفعت 50 كيبكا. وقفت في الصف. أخذت ملعقتين من حساء الشهي (الكرنب). ثم أكلت المكرونة والكفتة دون شهية وشربت للقهوة. كانت هناك عجوز مزوقة بماكياج كامل، تأكل وهي تقرأ واقفة إلى مائدة. لبست قبعتي وقفازي واتجهت إلى سينما أخرى. وجدت عرضاً يبدأ بعد ساعة لفيلم جاسوسية بلغاري. اشتريت بطاقة واشعلت سيجارة. جاءت للعجوز المزوقة وقطعت بطاقة. نزلت إلى التواليت في الطابق الأرضي وعدت فجلست في الصالة التي صفت بها مقاعد أمام منصة صغيرة. لمحت الناس تتجه إلى الداخل فتبعتهم إلى بوفيه وأخذت زجاجة بيرة وكونفيت (حلوى). ثم عدت إلى الصالة. ظهرت فرقة عازفين بينهم امرأتان. عزفوا بغير حماس بعض مقطوعات بينها أغنية "قولي لي" وسيرينادا لـ شوهرت غنتها امرأة في ثوب سهرة عاري النراعين تلتها موسيقى جميلة لرقصة أوزبكية. كانت إحدى العازفتين تجلس بحيث لم يبد منها غير جانب وجهها، ولم أتمكن من رؤيته كاملاً لكنني اشتقت إلى ذلك. فقد نكرتني بـ جمالات. تذكرت خيبة أمني الدائمة عندما أرى بروفلا لوجه ثم ألمحه كاملاً. دق للجرس ودخلت القاعة. جلست بجوار رجل مرهق مكتئب. بدأ العرض بفيلم ملون عن روعة الحياة في الشرق الأقصى وكيف يستخرجون المعادن، وآخر بلغاري عن مدينة حديثة أعيد بناؤها بعد الحرب، وظهر جيفكوف، زعيم

للحزب الشيوعي، وهو يفتتح مصانع ومدارس، وأخيرا فيلم الجاسوسية. كان فيلما ساذجا عن جاسوس يحاول جمع معلومات عن جهاز الدفاع المدني. وبدأ الفيلم بحديث لجنرال كبير عن دور الدفاع المدني في الحرب الذرية. كان بطله ممثلا رديئا وسيما في دور فنان أيقونات مرممة يحتال على أجنبى ثم يقع في أحابيل مراسل أجنبي يتولى تهريب المعلومات. ولنتهى الفيلم فجأة دون أن أفهم السبب. وقالت لمرأة خلفي إنها لم تفهم شيئا، فقال لها رفيقها وهو يتطلع حوله خجلا: كيف؟ كل شيء واضح. وقال شاب بجوارهما: البقية في الحلقة القادمة. وقال آخر: 60 كيبكا، كنا اشترينا ثلاث زجاجات بيرة.

أسرعت إلى محطة المترو وركبت إلى محطة الباص. وقفت أنتظر الباص مدة طويلة في الثلج. سمعت في الباص أحاديث حول الجليد الذي لم يسبق من قبل. وقرأ أحد الركاب بصوت عال من صحيفته: خلال الأيام الخمسة الماضية سقط فوق موسكو أكثر من ثلاثين مليون مترا مكعبا من الجليد وبلغ ارتفاعه في الشوارع 36 سنتيمترا. وجدت عند الليجورنليا رسالة من صديقي كمال. حذرني من التفكير في العودة إلى مصر. ونكر أن هناك اعتقالات. مررت على هاتز ودعوته إلى غرفتي. أشعلت المنفاة الكهربائية المتنقلة. صنعنا للشاي. حكيت له ما قاله ماريو عن القرية. ضحك وقال: إنها تمثيلية معدة لكي تترك لطباعا إيجابيا برفاهية الحياة في القرى. انصرف عندما رأني أعد الحقنة. رقدت فوق الفراش رافعا ساقي إلى أعلى حتى التفتت ركبتي بأفني واستمتعت بالماء الساخن

---

وهو يتسرب إلى أحشائي. ثم أمسكت بالساعة المنبهة ووثقت  
جرمها ثم ضبطت مؤشرها على الثامنة. رششت صدري وتحت  
إبطي بالعطر الذي أهدته لي مادلين. التفتت جيذا بالأغطية مستمتعا  
برائحة العطر حولي و نمت.

## 18

عملت على الآلة الكاتبة، بعد إصلاحها، في صبرة  
السيمفونية الخامسة لـ تشايكوفسكي. ذكرتني موسيقاها الحزينة  
بما قاله هقز عن تمثال مؤلفها في وسط المدينة وكيف أن حركة  
يده اليسرى الأنثوية تشي بمثلثه الجنسية. مضيت إلى المطبخ لأعد  
كوبا من الشاي. طرقت باب غرفة السوريين وأدرت مقبضه.  
فوجئت بـ هاتز واقفا يحتضن شخصا ما. كان ضوء النافذة في  
وجهي. ظننت الشخص فلايمير وإذا به زويا، كانت مستسلمة إلى  
كفقه. تحولت نحوي فاحتضنتها. قلت لها إنه كان يبحث عنها.  
قالت: أعرف أن هذا غير صحيح. أهدتني قلما وقالت إنها ذاهبة  
لنستحم وبعدها ستذهب إلى حجرة فلايمير الذي يرسم لها  
بورتريها. مضيت إلى غرفتي. بدأت أقرأ رواية زولجينتسين  
"غبر السرطان". طرق فريد بابي. قال إنه سمع في الراديو أن  
إسراييل أسقطت طائرة مدنية ليبية. خرجت لابتاع لبن وكونياك

وصحيفة ليتواتورنايا جازيتا (الجريدة الأدبية). اشترت شايًا منديا وخبزًا وسردينا مغريبا. قابلت هاتز في الكوريدور عند عودتي. كان في طريقه صاعداً إلى الطابق الخامس. بعد ساعتين جاء هاتز وفلايمير إلى غرفتي ومعهما زجاجة فوكا منزلية. كان الأخير أوكراينا في العشرين، ممثلًا، مهملاً في ملابسه. قال هاتز إنه سيسافر إلى ألمقيا في الغد. وقال فلايمير أنه لن يتزوج إلا عزاء. جاءت زويا في بلوزة ذات خطوط طويلة حمراء للون. احمر وجه فلايمير ولم يرفع عينيه عنها. حكيت لهم ما رواه زولجينتسين عن الاستكار للأهل الذي كان يكتبه أبناء للمبعدين من ليننجراد أيام ستالين. وما أعلنه لينين سنة 1917 من ضرورة إعطاء العمال المهرة أعلى المرتبات. قالت زويا إنها تعلمت بضع عبارات بالألمانية منها ايش ليب ديش (أنا أحبك). مرت بنا لحظات صمت طويلة. لم ترفع زويا عينها عن وجه هاتز. كان أنيقاً وسيماً وشعره يتدلى على جبهته. سألتني زويا عما بي. قلت لا شيء. الماكرة تدرك علي ما أعتقد كل شيء. يا لها من روعة أن تجلس وسط ثلاث رجال وهي تعرف أنهم يحبونها بأشكال مختلفة. صب لها فلايمير الكأس تلو الآخر. هل يسعى إلى اسكارها؟ نهض وأدار اسطوانة "الفالس الأخير"، التي تحبها هي لأنه يمكن للرقص معها. انضم إلينا حميد ثم تاليا ورقصا معا. أطفأت نور الحجرة وأشعلت مصباح المكتب. جلست زويا فوق الشوفنيرة للخشبية تتمايل منتظرة أن يدعوها أحنأ للرقص. بدا السكر على

هاتز. أضفت إلى المائدة زجاجة فودكا بهيريتسوفليا. أطلع إليها ثم بسرعة إلى هاتز لأرى هل ينظر إلى وبسرة لـ فلاديمير لأرى هل يتطلع إليها. انحنت زويا على هاتز وقبلته في فمه. قام وجذبها من ذراعها وهي تتمتع في دلال. صحبتته حتى باب الغرفة. تهاهما. ثم عادت تجلس تكمل السجارة. راقبتها بركن عيني تسحب صدريتها وترتيبها في هدوء. ثم وقفت وقالت: سيكويوني نوتش (ليلة هادئة). رمقتي لحظة ثم غادرت الغرفة وفي أعقابها هاتز. ظللنا جالسين بعض الوقت ولنا أطلع إلى النافذة. ثم انصرفوا جميعا وبدأت أعد للحقة.

## 19

نظفت للحجرة وجاء هاتز. قال إن فريد وحامد قضيا الليلة في الخارج وإن زويا باتت معه وما زالت في حجرته وإنها تلقت أمس خطابا من زوجها يفيد أنه مريض بالتهاب رئوي وستسافر إليه. دار في الحجرة دون هدف ثم قال: لقد تركتها أمس مع فلاديمير ثلاث ساعات ثم أخذتها إلى الفراش. صمت لحظة ثم قال: كان يجب أن نراها وهي تودعه وقد التصق خداهما بقوة. ذهب إلى المرحاض بينما سبقته إلى غرفته. وجدتها مكومة أسفل المكتب. كانت ترتدي للبلوزة للزرقاء الأنيقة التي تبدو كقميص



عسكري. قالت: كيف رأيتني؟ قلت: بقلبي. قالت: سأري إذا كان هانز يشعر بمكاني. قلت إن لديه مشاغل كثيرة. جاء هو وسأل: أين هي؟ ثم رآها. أشارت إلى صورة رسمتها لنفسها وعلقها على الجدار فوق فراشه. كتبت في أعلاها: دوبري أوترا (صباح طيب) وأسفلها: سباكويوني نوتش. قالت إنها سترسم لي واحدة أيضا. قلت: لو نطلعت إلى الصورة قبل النوم لن يكون نوما هائلا. شعرت بنفور من طريقتها الطفولية والشاعرية في الكلام. كانت قد أحضرت علبة مربى وذهبت تبحث عن خبز وزبد. كانت للعبة جديدة وأنيقة من إنتاج رومانيا. فكرت إنها قد تكون هدية لها من فلاديمير. سألني: هل تظن أنها أعطته شيئا؟ قلت: لا أعتقد. أشار إلى حركات فلاديمير الأثوية. عادت بالخبز والزبد وأفطرنا. سألتها عن مصدر علبة المربى ففكرت طويلا ثم ذكرت اسم حانوت. اعتقدت أنها تكذب. قرأت لنا قصة قصيرة كتبتها بالأمس. أسطورة عن شمسين وزهور وإحدى الشمسين دبت فيها البرودة. سألت هانز إذا كان سيرافقها حتى للقطار. قال إنه متعب وهي تستطيع أن تجد طريقها بنفسها. استعدت للانصراف وقبلتني في خدي قائلة إنها ستمر على عند عودتها. ثم قالت: ني سكوتشاني بيز منيا لا نستوحشوا من غيري.

أخذت الحقنة وشعرت برغبة حسية. أغلقت باب للحجرة بالمفتاح ونمت على وجهي فوق وسادة. تصورت فخذي فيرا اليهودية في جوبتها القصيرة. حككت جسدي حتى سرت فيه رعشة

---

للذلة. قرأت قلبلا وإذا بي أغفو. استيقظت بعد مدة. فكرت لن  
أتصل بـ لاريسا وأدعوها للعشاء. كنت قد تعرفت بها وبصديقتين  
لها في حانوت لبيع للكتب بالقاهرة. وكن يعملن بالسفارة  
السوفيتية. طويلة رشيقة مليحة الوجه. لم أتحمس للفكرة. ربما  
بمسبب المرة التي شعرت فيها برائحة فمها، أو لرغبتها الملحة في  
الزواج. تخيلت مجرى الحديث معها وعندما سيصيني المال وأفكر  
في التخلص منها.

## 20

أدخل الطبيب يده في مؤخرتي وبدأ في تنليكلي. كان أسمر  
البشرة ويبدو من إحدى الأقليات غير الروسية. قال بلهجة عدوانية  
تعجبت لها إنه يحتاج إلى إطار لسيارته الفولكس فاغن وسألني إذا  
كان في إمكاني توفير واحد له. قلت: كيف؟ قال: من سفارة بلدك.  
قلت إنني لا أعرف أحدا بها. انتهى من تنليكلي فقال بلهجة غاضبة:  
ها أنا أضع يدي في مؤخرتك دون أن تحضر لي ولو زجاجة  
ويمسكي. تجاهلت الأمر.

اجتمعنا مع زويا في غرفة السوريين بعد عودتها من زيارة زوجها. أنا وحמיד وفريد وفلاديمير. وصفت لنا كيف وجدت فتاة لمطبخ السانحة مدلّية في حبه ولا تكف عن ملاحظته. وكيف سكر المجنون ذات ليلة وفتحوا خزانة الضابط وأخذوا ثلاث زجاجات فوبكا وأبلدوا جزءا منها بالماء. وقالت إنها تعرفت على زوجها عندما كانت في تنظيم الطلائع وتضع حول رقبتها شالا أحمر. وإنها في البداية لم تحبه لكن تزوجته لتتحرر من سيطرة أمها. وإن الليلة الأولى معه كانت محبطة. سألت: أهنك أخبار من هاتز؟ متى سيعود؟ قالت وهي تنظر إلى: أعرف أن علاقتي به ستنتهي بشكل ما. وقالت إنها لا تحب الأشخاص المتولضعين الخجولين.

قال فلاديمير إن مجلة سوفتسكيا كولتورا (الثقافة السوفييتية) للمجلة الجديدة للجنة المركزية للحزب، انتقدت فلاديمير فيسوتسكي، وهو نجم سينما شاب وممثل مسرحي حقق شعبية واسعة بين الشباب بصوته الأجنس وأغانيه المعارضة التي تسخر من النظام السوفييتي. تلى إحدى أغانيه:

بينما كنت أريق دمي من أجل البلد والوطن،  
كان يشتعل شيء بداخلي،  
كنت أنزف من أجل سيروشكا قومين،  
الذي ظل جالسا في الخلف ولم يخاطر من مخبئه.  
أخيرا انتهت للحرب،

و انتهى العباء الثقيل الذي حملناه على أكتافنا،  
وقابلت سيروشكا فومين،  
وفوق صدره شارة بطل الاتحاد السوفييتي.

قالت زويا إن بعض أغانيه تتناول موضوع معسكرات العمل  
في سيبيريا. ومنها أغنية تقول:  
قضى علينا نحن الاثنين،  
هو بتهمة الاحتيال،  
أنا بحب كسنيا.  
فقد أمسكت بنا للتشايكا (البوليس السري).  
وأنا الآن مع بتروف سجينين،  
محاطين بلصوص للخطوط الحديدية والمنازل.

## 22

أعطاني صحفي مصري كل ما لديه من صحف مصرية  
بسبب انتهاء عمله في موسكو. حملتها في سيارتي تاكسي إلى  
المعهد. صعدت بها إلى غرفتي عدة مرات. رأيتي القومندانة  
ففغرت فيها دهشة لكنها لم تعقب بشيء. وضعت الصحف على  
جانب فكونت كوما عاليا. فكرت في هول ما أنا مقدم عليه.  
استخرجت صحف الأيام الستة من يونيو 1967 وعكفت على

---

قراعتها. أمسكت بالمقصر وقصصت بعض محتوياتها. أسقطت  
بضع نقاط من زجاجة الصمغ فوق ورقة بيضاء. ألصقت  
القصاصات وكتبت التاريخ في أعلى الورقة. ثم تناولت صحيفة  
أخرى.

## 23

وضعت جانبا رواية الأمريكي ثورنتون وايلدر عن يوليوس  
قيصر. تناولتها من جديد وأعدت قراءة الفقرة التي لفتت نظري:  
"الشعراء هم الذين قالوا للناس إننا نتقدم إلى الأمام إلى عصر ذهبي  
بينما يتحملون معاناتهم على أمل أن يأتي عالم أسعد يبتهج له  
نسلهم. أصبح من المؤكد تماما أنه لن يكون هناك عصر ذهبي ولن  
يمكن أبدا خلق حكومة تعطي لكل إنسان ما يسعده لأن النزاع يكمن  
في قلب العالم وحاضر في كل أجزائه. من المؤكد أن كل إنسان  
يكره من وضعوا فوقه، وأن الناس سيتنازلون عن أملكهم بنفس  
السهولة التي تسمح بها الأسود بانتزاع الطعام من بين أسنانها".  
قرأت فقرة أخرى: "يجب علينا نحن للحكام أن نكون في آن واحد  
الأب للذي حماهم من الأشرار في طفولتهم وللقس الذي حماهم من  
الأرواح الشريرة".

قال ماريو إنه سمع في راديو صوت أمريكا أن ثمانية من الفلسطينيين الفلسطينيين اقتحموا مقر السفارة السعودية في الخرطوم وأعدموا ثلاثة من الدبلوماسيين الأجانب. وقال إنه سيبيت في الخارج فتلفت لـ مالمين. جاءت بعد الظهر. أرادت أن تتبول فعرضت عليها للصعود إلى طابق البنات. رفضت. التفت إلى ركن الغرفة واستخدمت زجاجة الحليب. تمددت على الفراش لقرأ مستريحاً. فكرت أن الزواج من هذه النقطة مريح. جاءت ونامت إلى جوارى. عانقتها لكنها تأخرت في الاستجابة ففقدت الرغبة في التعب. نمنا حتى الصباح.

لم تغادر مالمين الحجرة إلا بعد أن ضغطت عليها لتصعد إلى حمام الطابق الخامس. خرجت لشراء حاجيات وزجاجة نبيذ. وأنا أعد الغداء جاء عذنان. في منتصف العشرينات بوجه وسيم وشعر ناعم. دعوته لأن يأكل معنا فلم يعترض. جلس يتحدث عن نفسه ورسوماته. سخر من أن زجاجة النبيذ من نوع خفيف واقترح أن يذهب لشراء واحدة أقوى. فعل وجلب معه مجموعة من الاسطوانات الموسيقية. كانت بينها أغان مصرية حديثة. وضع واحدة تدعى "الطشت قال لي قومي استحمي". زعم إنها من للفلكلور المصري فقلت إنها لا فلكلور ولا حاجة وإنما إسفاف. استبدلها بأغنية عبد الوهاب "آه منك يا جارحي". أتبعها بأغنية لـ فريد الأطرش ثم شارل لزنافور. هل هو البرنامج للموسيقي الذي

يتبعه عندما يدعو فتاة إلى غرفته؟ أراد أن يضع واحدة أخرى فقلت  
يكفي لأن الفتاة مستمضي بعد قليل وأنا أريد الانفراد بها. لم يعبأ بي  
وأدلى أغاني سلتاجام. استلقيت فوق الفراش. جمع اسطواناته وعزم  
على الانصراف. قالت له في خجل أن يبقى بعض الوقت. انصرف  
بعد قليل. فانفجرت فيها غاضبا. ثم نمنا وجئنا سوية دون أن نعبأ  
بالحذر من قضية الحمل. قالت بعدها: أحب أنك كلما عنفتني  
قبلتي. حاولت أن أعرف جذر ما لديها من مازوكية. قالت إنها  
وهي مرافقة كانت تستمني بعد سماع قصص تعذيب للقديسات.  
وكانت تحصل علي درجات ممتازة في مدرسة للراهبات لكنها  
دائما ترتكب من المخالفات ما يستدعي عقابها بالركوع ساعة.  
سألتها عن المرة الأولى التي استمنت فيها، فقالت: كنت جالسة على  
مقعد للفصل شاردة وفكرت أن المدرسة ستعنفني بسبب ذلك وعند  
فكرة العقاب تهيجت وأخذت أحك نفسي بالمقعد. رفضت الصعود  
لحمام البنات وتبولت في زجاجة الحليب ووضعت ورقة من أوراق  
الصحف التي كنت أقصها تحت الزجاجة. صرخت وانفجرت فيها.  
شعرت بعدها بدوار وألم فوق عيني ثم في ساقبي. نمنا مرة أخرى.  
في المراتين لم أحاول السيطرة على نفسي وانتظارها. ولم تكن في  
حاجة إلى ذلك.

جاءتني منها في اليوم التالي بطاقة بريدية قالت فيها بالإنجليزية: "عند خروجي من الأيشجيتي أمس التقيت بـ عدنان وسألني لماذا لم ترافقني حتى الباص؟ أردت أن أقول له وما شأنك أنت؟ لكنني لم أفعل لأنني مؤدبة. صبح! الآن فهمت لماذا أثار غضبك".

راقبني ماريو وأنا أعمل في الصحف. سألني عما أفعل. قلت له إنني ألتبع الأحداث المهمة في السنوات الأخيرة. وإن لدي فكرة ضبابية عن مشروع ضخم ينتج عن ذلك. أبدى تعجبه. أردت اسطوانة "النيل نجاشي" لـ محمد عبد الوهاب وجلست أمام الطاولة أفكر. أنا أقرأ كل يوم صحف شهر كامل ثم أرتاح في اليوم التالي. معني هذا أنني في حاجة إلى عدة شهور.

في آخر الليل جمعت بقايا الصحف المقصوصة التي رميتها جانبا. حملتها وخرجت إلى الكوريدور. وضعتها في سلة المهملات بالمطبخ. عدت إلى الحجرة وأشعلت سيجارة. فتحت الكوة العلوية الصغيرة لأتخلص من دخانها.



نهضت مبكرا. كانت أشعة الشمس تتسلل إلى الحجرة. تناولت  
مكينا وخطوط فوق الأرضية الخشبية حتى النافذة. مزقت الورق  
للملصق بين مصراعها والذي يوضع في الشتاء للحماية من الهواء  
البارد. جذبت للمزلاج وفتحت النافذة فدخل للهواء النقي المنعش.  
تأملت الرفعة المعمارية وهي تحمل قطع الطوب الأحمر ليرصها  
العمال جنبا إلى جنب في مشروع المبنى المجاور. تناولت قطعة  
من للقماش وبللتها بالماء ومسحت آثار التصاق الورق على النافذة.  
فاليوم هو عطلة عاملة التنظيف. في الماضي كان الطلبة هم الذين  
يتولون التنظيف لكن المصريين احتجوا ورفضوا ذلك. جلست إلى  
الطاولة وتناولت صحيفة. بعد قليل جمعت بقايا الصحف  
المقصوفة وحملتها إلى خارج الحجرة.

ذهبت مع حميد إلى المعهد. هناك لسعة برد خفيفة رائعة تحت  
شمس دافئة. استنشقت الهواء النقي في لهفة. حدثني عن رولية ضد  
الصهيونية بعنوان "أرض الميعاد" لمؤلف سوفيتي شاب. البطل  
شاب روماني من أصل يهودي يهاجر إلى فلسطين عند صعود  
النازية وسيطرة هتلر، لم تكن دوافعه دينية أو أيديولوجية. ليس  
غير النجاة بحياته. يقول له أحد الصهاينة: قال هرتزل مرة لو لم  
يكن هتلر موجودا لاخترعناه نحن، لولا النازية ونظريتها للعنصرية  
ما استطاعت الأغلبية الساحقة من إخواننا وأخواتنا معرفة الطريق  
إلى أرض الميعاد. وفي هذه الأرض يكشف المهاجر حقائق مرعبة  
ويتركها إلى غير عودة.

كان الجليد قد بدأ في الذوبان ولقّت سلطات المدينة بكيماويات  
مضیبة فوقه. قال حمید إن درجة الحرارة ارتفعت إلى ٧ أو ٨  
درجات فوق للصفر. وليس معني ذلك أن الربيع وصل فقد يكون  
إنذارا كاذبا. لاحظت أن ملابس المارة قد لوّثها الطين والماء.  
وتساقطت قطراته من حواف الأسقف وأنابيب الصرف. ورأيت  
عمالا في سترات سوداء يكومون تلالا من الجليد بالمجاري  
للحديديّة. وامتلأت الطريق بالأوحال والقاذورات التي كانت مدفونة  
تحت الجليد. وتغطّت الأرائك بألواح خشبية تمنع جلوس أحد فوقها.  
وقال حمید إن ذلك يعني أنه يتم الآن كسح الجليد من فوق الأسطح،  
ويموت كثيرون عندما تسقط عليهم قطعه. التقينا فريد. قال إن اليوم  
هو السابع عشر للغارات الإسرائيلية المتواصلة على بلدة الحارة  
السورية. وإن العصابات بيني معتقلات لـ 13000 شخص في  
الوحدات. وقال إن للشبوعيين في سوريا والعراق يجمعون تبرعات  
لمن فصلوا من الاتحاد الاشتراكي في مصر.

## 27

تجمع الرجال حول باعة الورد. وفي المترو حمل كل رجل  
باقة منه. والتفت مجموعة من الشباب حول عازف قيثارة. وكانت  
الفتيات والنساء متأنقات وأخريات متجهّات. إنه يوم المرأة  
العالمي.

ذهبت إلى كافييه إيليت للقاء عبد الحكيم. مصري في الأربعين من عمره. ممثلي وأصلع الرأس. ودود وخجول. كان من أوائل الطلاب الذين أرسلهم عبد الناصر للدراسة في الاتحاد السوفييتي فاستقر به وتزوج أوكرانية ثم عمل في القسم العربي بالإذاعة لروسية.

كان المقهى مزدحما ووجدنا مائدة بصعوبة. لمحت فتاتين تبحثان عن مكان. سألتا إذا كان من الممكن الانضمام إلينا. وافقتا بالطبع. تعارفنا. كانتا في أولئ العشرينيات. إحداهما شقراء بوجه طفولي وتدعى ناتاشا، طالبة بالصف الرابع في معهد للتغذية، ترتدي بلوزة حمراء وبنتلونا أسود. للثانية تدعى لاملرا. نحلة ذات شعر مجعد مرسل على للطريقة الغجرية، ترتدي صدرية وجوبة. كان وجهها حسيا للغاية ولم تقصع عن مهنتها. قالت إن يوم المرأة العالمي هو اليوم الوحيد في السنة الذي يقوم فيه الرجال بكل مهام المرأة. قال عبد الحكيم إن زوجته مسافرة وعرض أن ننقل إلى شقته. كانت قريبة من المقهى في مبنى حديث، جيدة التهوية ومكونة من غرفة نوم وصالة بها أريكتان متقابلتان. جلست لاملرا بجوارى فوق واحدة وجلست ناتاشا إلى جوار عبد الحكيم فوق الأريكة الأخرى. أحضر زجاجة ويسكي وبعض المقبلات. اعتذرت ناتاشا عن الشرب لأنها مريضة بالقلب. ومع ذلك دخنتم بشراهة. قالت إنها تزوجت في الصف الأول من المعهد وبعد سنة طلقت وهي تعمل في حانوت للعب الأطفال حتى تحصل على

تصريح بالإقامة في موسكو. ازرق وجهها بعد قليل فاستلقت فوق الأريكة ووضعت رأسها فوق فخذ عبد الحكيم قائلة إنها تتعب بسرعة وتحتاج إلى الراحة كل فترة. أمسك عبد الحكيم بيدها في راحته. احتست لامارا اللويسكي. قالت إن لديها طفلة وإنها تركتها مع أمها في تفليس، عاصمة جورجيا. قالت نلتاشا إنها لا نجد حافظا للوجود. أرنتي كفها وأشارت إلى قصر خط الحياة. روت لامارا نكتة عن بريجنيف قلدت طريقته في الخطاب: بعد سنتين سيكون لكل فرد شقة وبعد خمسة سيارة وبعد سبعة هليكوبتر. شربت في تأمل وجهها وشفتيها الحسيتين. قلت إن السادات وعد بأن يضع في يد كل مصري إلكترونة. ضحكت لامارا ووضعت يدها على ساقي. شعرت أن خيطا ما امتد بيني وبينها. تبادلنا القبلات وطلبت منها أن تستحم ففعلت دون غضاضة. بسطت بطانية فوق الأرض. أطفأت النور واستلقينا. وظل عبد الحكيم ممسكا بيد نلتاشا فوق الأريكة. أزعجتني عظام حوضها البارزة. ووجدتها واسعة. قلبتها على وجهها. انتهيت وحدي. أثناء الليل شعرت بها تبسط الغطاء فوقي. في الصباح بدت حزينة ورأيت عبد الحكيم ونلتاشا مستغرقين في النوم فوق الأريكة بملابسهما وهو ما زال ممسكا بيدها.

التقيت ولا ملاماً بعد يومين ولم تكن ناتاشا معها. ذهبنا إلى منزل عبد الحكيم. أعطانا غرفة نومه. ثم التقينا مرة أخرى بعد أيام. فكرت في التنزه قليلاً لإرضائها وربما دخول سينما ثم تأخذ بعض الطعام ونذهب إلى شقة عبد الحكيم. تأخرت قليلاً فبدت كالنمرة. وأسقطت كل قناع من اللطف. مشينا بضع نقائق في صمت. وشعرت فجأة بالرغبة في العودة إلى حجرتي لأعمل وبأنني لا أريد منها شيئاً. قالت إنها تريد الذهاب إلى مكان في وسط المدينة به موسيقى ورقص. عرضت عليها الذهاب إلى شقة عبد الحكيم رأساً فرفضت وطلبت مني كيبكين. ذهبت إلى كشك تليفون وأخرجت مفكرة صغيرة من جيبها. تلفتت ثم عادت وطلبت مني كيبكين آخرين. تلفتت مرة أخرى. هل تريني أن لديها خيارات أخرى؟ قالت إنها ستذهب وحدها إلى وسط المدينة. ودعتها شاعراً بالارتياح.

استدعيتي القومندانة وأبلغتني بأنها أضافت إلينا طالبا روسيا. قالت إننا لثان فقط. قلت لها: غير صحيح. هناك ماريو وجلال الدينوف. نظرت إلى بطريقة من يعلم الحقيقة ولم تعجباً باعتراضي.

تحدثت مع الفيجورنابا فهمست وهي تتلفت حولها إن بعض  
العواجيز يؤجرون غرفا في مساكنهم للطلاب برغم أن هذا غير  
قانوني. أعطيتي عنوانا قريبا وذهبت إليه. مبنى حديث مزود  
بمصعد وتدفئة مركزية. فوق الباب أيقونة مسيحية علق بها مصباح  
صغير. كان المسكن لعجوز خلا منها من الأسنان. غرفة واحدة  
ومطبخ وحمام. لم أنكر لها جنسيتي ولم تطلب معرفتها. سألتها:  
أين سانام؟ قالت: هنا. وأشارت إلى أريكة متهالكة. وقالت إنها  
ستنام في المطبخ حيث يوجد قوته قديم تعلوه كومة من الأغطية.  
دفعت لها عشرة روبلات لإجارا لشهر. أحضرت من بيت الطلاب  
بعض الملابس والأغطية بالإضافة إلى الآلة الكاتبة وبعض  
الصحف.

## 30

شعرت بآلام في صدري ونبضات متسارعة لقلبي. ذهبت إلى  
العيادة الطبية. لم يكن الطبيب يعرف الإنجليزية ولم أتمكن من  
شرح ما أشعر به. احمر وجهي وخرجت ساخطا على نفسي. أثناء  
العودة فوجئت بشرطيين في معاطف عسكرية طويلة يحيطان بي  
في محطة المترو. أمسكا بذراعي فحاولتا الاحتجاج. لم يردا على  
واقتاداني بعنف إلى غرفة جانبية بها ضابط خلف مكتب وبجواره  
رجل أربعيني على وجهه علامات الانزعاج والخوف. طلب مني

---

الضابط بطاقة هويتي فأعطيتها له. سجل محتوياتها على ورقة وطلب مني التوقيع عليها. فهمت أنها شهادة بما وجدوه في ملابس الرجل عند تفتيشه: سلسلة مفاتيح ومفكرة وميدالية ومنديل وعلبة سجاائر روسية وتقاب. وكانت هذه الأشياء مكومة فوق المكتب. وقعت على الورقة فتركوني أذهب.

## 31

طرقت باب السوريين ففتح لي حميد. سألته عن زويا. قال: لم تعرف؟ تعرضت هي وتاليا التي تسكن معها في الغرفة إلى اعتداء بالضرب من طالب أنريجاني حاول اغتصابهما، اتهمهما بأنهما شرموطتان ترلفقان الأجانب، تصرف غريب لأنه شخص رقيق مهذب. نقلت الفتاتان إلى مستشفى الأمراض العصبية للعلاج من صدمة شديدة. فقدت زويا صوتها وتم طرد الطالب من المعهد.

## 32

قالت البابوشكا، العجوز، إن معها ستة كلبكات وستذهب بهن إلى صاحبتهم. ذكرت ذلك لي بالأمس. راقبتني وأنا أغلي اللين في المطبخ. انقطع فقالت: كان يجب أن تغليه وهو طازج. قلت:

تقصدين أمس عندما اشتريته؟ قالت: أجل فنحن لسنا في بلدك حيث  
البقر. لم أفهم بالضبط ما تعنيه. ولعلها تظنني من إحدى  
الجمهوريات المصوفيئية الآسيوية. أفطرت على موسيقي باخ:  
توزيعات على الأرغن لتيمة ذات نغمة شرقية. تلفنت لـ مادلين من  
كشك التليفون في الشارع وحاولت أن أتفق معها على موعد في  
الغد. وقلت أنها يمكن أن تبيت معي. قالت إنها مرتبطة بأصدقاء  
من الجامعة وستبيت عندهم.

### 33

عادت تاليا من المستشفى أولاً. زرتها في غرفتها مع حميد.  
للكتب وللوحات والملابس الداخلية ملقاة في كل مكان. تربي  
عصفورين صغيرين منذ عودتها. تحدثنا عن معلمة شديدة التبرج  
بسبب الوحدة التي تعيش فيها. ثم تحدثت عن الطالب الأوزبكي  
الذي ستتزوجه في اليوم التالي. أشارت إلى العصفورين وقالت  
إنهما جهاز العرس. سألتها عن زويا. قالت إنها بقيت في المستشفى  
ولا يسمح لها باستقبال الزوار.

تتاولت صحيفة البرلندا. تصدرتها صورة بريجنيف بمناسبة  
حصوله على جائزة نينين للسلام. روت تاليا نكتة عنه. جاء إلى  
مكتبه فقال له السكرتير: يا رفيق إحدى فردي حذائك بنية اللون  
والأخرى سوداء. فقال: أعرف فعندي زوج مماثل في المنزل.



قالت إنه يهوي لقتناء السيارات الجديدة للمريضة وخاصة الأمريكية وبممتلك عدا منها. وابنه يملك يختا ويذهب للصيد في أفريقيا، وابنته جالينا تهوي لقتناء العشاق والماس وتشتري في تهربه إلى الخارج وزوجها يوري تشيرباقوف، نائب أول وزير الداخلية، يأخذ رشاي بالملايين.

## 34

انتهيت من قراءة كتاب "المفكرة الفلسطينية". للفلسطيني كمنصية تراجيدية ضحية مؤامرات الآخرين. يروي الكتاب على لسان تشيرشل في مجلس الوزراء للبريطاني قبل أيام من إعلان وعد بلفور سنة 1917: "قيام وطن قومي لليهود في فلسطين يخدم أهداف بريطانيا من حيث أنه يساعدها على مواجهة تناقض المصالح للحاد بينها وبين العرب". قال أيضا: "هذا الوطن القومي لليهود في فلسطين سوف يكون عازلا يفصل العرب شرق سيناء والعرب غربها، ثم إنه سيكون بحاجة إلى الدفاع عن نفسه ضد الامتداد العربي الواسع، سوف يبقى دائما في أحضان الغرب الذي يستطيع في أي وقت استخدامه قاعدة للعمل ضد أي تهديد لمصالح الإمبراطورية البريطانية في مصر من ناحية أو في العراق من ناحية أخرى، كذلك فإن هذا الوطن القومي لليهود سوف يشغل العرب ويمنص طاقاتهم لولا بأول".

اشتغلت جيدا في الصحف ثم نمت ساعة. قلت للعجوز إنني أريد أن أغلي بعض الملابس. قالت مستكبرة: وتعلقها بعد ذلك في البلكونة؟ قلت: لماذا لا؟ قالت: غدا عيد أول مايو، وأنت مواطن سوفيتي، تريد أن يأتي أول مايو وملابسك الداخلية معلقة في الهواء؟ رأيتي أمتد للخروج فسالتي: إلى أين أنت ذاهب؟ قلت: سأقابل صديقتي. قالت: أعرف أنني وحيدة وسأبقى وحيدة. ظلت واقفة عند مدخل الحجرة حتى فتحت الباب الخارجي فقالت: احضر لي معك ماروجنا. ذهبت إلى موعدتي مع مادلين أمام أبشجيني معهدا. خرجت إلى زميلة روسية لها تدعى ليديا. قالت إن مادلين سافرت مع البرازيليين وبقية طلبة أمريكا اللاتينية في زيارة ميدانية للجنوب. تذكرت أن ماريو تحدث عن ذلك. قالت إن مادلين اشترت لي تنكزة لمسرح البلشوي من السوق السوداء بعشرة روبلات. قالت إنها ذاهبة أيضا ويمكن أن نذهب معا. كانت نحيفة في طولي لها صدر بارز وشعر بني اللون مكوم فوق رأسها وشفتان رفيعتان وبشرة وردية. ذهبتا إلى المسرح. وأنا جالسا إلى جوارها جاعتني منها رائحة دهنية. كان العرض من قسمين: الأول باليه رومانتيكي ورقص تقليدي وموسيقى مملّة إلا في الجزء الذي يقدم رقصة شعبية دافمركية. لكن للقسم الثاني كان رائعا. باليه "اليوسفي العجيب": موسيقى بيلا بارتوك المتوترة التي تعتمد الإيقاع السريع الرصين ورقص حديث يعتمد على الحركات المتوترة واستخدام الأيدي والأوضاع الرياضية للجسم.

ونحن في طريقنا إلى خارج المسرح وضعت يدها على رأسها. قالت إنها تشكو من الصداع الدائم منذ انفصلت عن زوجها وتركت طفلتها مع أمها. بدأ مطر خفيف. أخرجت مظلة صغيرة من كيسها ورفعتها فوق رأسها. قالت إنها تريد العودة إلى الألبشجيتي. قلت ضاحكا: كنت أظن أننا سنذهب عندي. قلت ضاحكة: لا يمكن. مشينا في اتجاه بروسبكت ماركن ثم انحنينا يسارا وتوقفت أمام مقهى سلاكوف. قالت: نشرب قهوة هنا. ثم قالت: لا. نعود. أمام باب ألبشجيتي معهدا سألته: متي أراك مرة أخرى، غدا؟ قالت: هذا الأسبوع لن نستطيع الالتقاء لأنني متعبة، وأمامي مذاكرة ثقيلة لأنني أستعد للامتحان. فكرت: معني هذا أنني سأقضي يومي العطلة بمفردي. قلت: إذن نلتقي يوم الثلاثاء. قالت: هذا؟ قلت: نلتقي في أي مكان آخر، أريد أن أدعوك إلى عرين الأمد لنحتفل بنتيجة الامتحان. قالت: أنا ولقمة إني لن أنجح. قلت: إذن لنخفف الصدمة، نأكل ونشرب ونسمع موسيقى. عيبت قليلا ثم قالت: اسمع، لا أري متي سأنتهي، ربما في السابعة أو الثامنة. قلت: إذن بعد أن تنتهي. قالت: لنلتقي يوم الأربعاء. قلت: خراشوا (حسنا) الساعة 7 عند محطة للمترو، ربما ذهبنا إلى السفارة الفرنسية لنرى فيلما. قالت: منرى. افترقنا أمام باب الألبشجيتي.

وضعت يدي في جيبي معطفي ومضيت إلى نهاية للشارع. شعرت أن الجو رائع ودافئ. ورائحة الهواء منعشة بعد أن توقف المطر. عبرت بحديقة انتشر بضع أزواج علي مقاعدها يتبادلون

للقبلات. ومررت بي امرأة تسند رفيقها الذي كان يتحدث بلا انقطاع ويبدو ثملاً. مضيت من أمام الجوم الذي علقت فوقه راية حمراء عريضة تحمل عبارة: "تطبيق قرارات المؤتمر الرابع العشرين". محطة المترو. كان هناك شاب روسي يبدو سعيداً بينطلون أحمر ذي أطراف واسعة حصب الموضة. في الغالب حصل عليه من السوق السوداء. بحثت عن عملة في جيبي. هبطت السلم ومضيت في الممر المؤدي إلى العداات. مررت من أسفل الياقطة التي تدعو الجمهور إلى إعداد خمسة كبيكات قبل الراكوب. وضعت للعملة في العداد ولتظرت حتى أضئ نوره فعبرت. وقفت على السلم المتحرك حتى أصبحت في الممر السفلي. لتجهت إلى المحطة وجاء للقطار. ركبت ووقفت إلى جوار الباب بجانب فتاة صغيرة شقراء في الخامسة عشر يدها في يدها من سنّها. وأمامي مباشرة امرأة في الثلاثين يبدو عليها الإنهاك. ثم نزلت بعد محطتين في كيروفسكيا وهبطت السلم المتحرك إلى الممر العابر. مضيت في الممر ثم درت معه إلى اليسار حتى محطة تورجنسكيا. أخذت المترو. أمامي كانت امرأة متبرجة وشعرها مرفوع إلى أعلى في دوائر. بدا الشعر جيد التصفيف كما لو كانت قلّامة من عند الكوافير. وكانت نائمة. وحولنا انتشرت عشرات من وجوه النسوة العادية المجردة من الجمال. أعلن للسائق: محطة المعرض، نهاية الخط. خرجت من المترو. وقفت على السلم الكهربائي للصاعد. كانت هناك مجموعات ضاحكة من الشباب على السلم الهابط. خرجت إلى الساحة. مضيت حتى محطة الباص. كانت الأتول

ساطعة على مبعدة عند مدخل مبنى المعرض الذي علق فوقه راية حمراء هائلة تحمل صورة لينين. وقفت انتظر الباص. ركبت. وضعت خمسة كايكات في العداد وقطعت بطلاقة. وقفت إلى جانب امرأة استندت إلى ظهر المقعد بجانب جسدها. التصقت بها فانحنى ولم يتباعد. انتصبت قليلا ثم فقدت الرغبة. بعد ست محطات أعلن السائق: النهائية. ودار في الساحة المجاورة للمنزل. نزلت وولجته. استدعيت المصعد وركبت إلى الطابق الخامس. الشقة مظلمة فيما عدا مصباح الأيقونة. فتحت ودخلت. باب المطبخ مفتوح. فكرت أن العجوز ربما تتفرج على التليفزيون عند جاريتها. خلعت المعطف وعلقته وخلعت سترتي. ثم دخلت الحمام أغسل وجهي وأسناني. عثرت قدمي في إناء مياه من الصاج فأعنته إلى مكانه. جفت الآثار. دخلت المطبخ في هدوء بحثا عن قطعة بطاطس مسلوقة. لمحتها فوق فراشها. عدت إلى غرفتي وأغلقت الباب. صبيت قدحا من النبيذ. استخرجت كيس السلوفان الذي احتفظ داخله بأدوات المائدة. أعددت قطعة خبز مع جبن وزيتون. أشعلت سيجارة. فتحت النافذة وجلست أمامها استنشيق الهواء الدافئ. أسفل كان ثلاثة شبان يعزفون على قيثارة. شربت. ثم أخذت أضحك. وبعد ذلك شربت قدحا آخر. ثم غسلت الطبق وأعنته مكانه وغسلت السكين ووضعتها في كيس السلوفان. أشعلت سيجارة أخرى ثم لطفأت النور. خلعت ملابسني وتمددت على الأريكة. التفت جيدا بالغطاء وانقلبيت على وجهي.

في الصباح سألتني العجوز: لماذا دخلت على بالليل؟ قلت  
بني كنت أبحث عن بطاطس. قالت: أنت قابلت صديقك وأنا بقيت  
وحيدة أبكي، ولم تحضر لي مارجينا. قلت: صديقتي لم تأت.  
ابتسمت مبتهجة.

شغلت كونشرتو البيانو الأول لـ بارتوك. جاءت ووقفت في  
مدخل الحجرة وهي تغمم ساخطة ثم انسحبت وأدارت الراديو.  
أنشيد وموسيقى عسكرية. قمت وأغلقت الباب ففتحته قائلة في  
انفعال: اليوم عيد، لماذا تغلق علي؟ قلت: أريد أن أسمع الموسيقى.  
قالت: أنا أيضا أريد. قلت: أنت شغلت الراديو ولم يعد في امكاني  
الاستماع. قالت: سأغلقه حالا ومضت فأغلقتها. ثم وفدت جارتها  
فأغلقت الباب على.

عملت قليلا في الصحف ثم ظهرت الشمس. وقفت في النافذة.  
الناس في ملابس الأعياد والأطفال يحملون البالونات. والرجال  
يحملون مشترياتهم من الموز الذي يظهر في المناميات. رأيت  
زويا متأبطة ذراع شاب حليق الرأس قدرت أنه زوجها. معطئ  
الجسد وأطول منها قليلا وذو عوينات. يسير بجوارها منتصب  
القامة في صورة مضحكة. مرا من أمام المنزل تجاه محطة  
الباص. كانت تسير غارقة في أفكارها. وكانت لأول مرة أراها منذ  
دخولها المستشفى. لمحت الشقراء التي قابلتها مرة في المصعد  
وبدت خجولة جدا. وكانت تجلس على أريكة حجرية بجوار المنزل

في ملابس أنيقة وإلى جوارها طفلتها. بعد قليل ذهبت إلى المطبخ لأعد قهوة. ووجدت العجوز ممددة في فرشتها. وكانت تبكي. قالت: أنت عندك كل شيء، لا أحد يساعدني، لست ضرورية لأحد، سأنهي كل شيء بالسكين الطويل. جلست إلى جوارها. قلت: لذهبي إلى الشارع وتمشي حتى السينما. قالت: لا أريد. ليس لي أحد، كنت أفضل في يوم عيد كهذا أن أذهب إلى الريف لو أي مكان آخر لكنني لن أذهب وحيدة كالعبيطة، لن أفعل. قلت: عندك صديقتك. قالت: جارة وليست صديقة، صديقتي ماتت. قلت: لا يهم. قالت: عندها بنتها وحفيدتها وكنت عندهم ثم جاء زوار وهم جميعا الآن حول المائدة وليس لي أحد على الإطلاق، لا زوج ولا عائلة ولا حفيد.

طلبت مني أن أشتري لها ولجارتها ماروجنا وأعطيتني 40 كيبكا. لبست وخرجت إلى الشارع. ذهبت إلى الحانوت واشتريت نصف رغيف خبز وزجاجة كفير. بحثت عن بائع للماروجنا حتى وجنته. التقيت بـ حميد. قال إنه استيقظ لتوه، ولم يجد فريد أو شريف، ذهبا إلى مظاهرة الصباح التي تستمر حتى الثانية بعد الظهر. قال: لقد باعاني وماذا أفعل الآن؟ قلت: تعالي معي نأكل ثم نرى. قال: ماذا سنأكل؟ قلت بطاطس مسلوقة بسبب معدتي. قال: نقلي بيض. قلت: عندي. دخلنا حانوت الخضراوات فلم نجد غير علبه خيار محفوظ في سائل سكري. قال إنه التقى بحسن السوداني أمس وكانت معه فتاة، وذهبوا إلى مطعم الأرارجي، أفضل مطعم

جورزيني (جيورجي) في موسكو. شربوا براندي أرمني وأكلوا  
دجاجا مشويا في صلصة سقميقي مع طماطم طازجة وكرنب  
مخلل وفلفل أحمر. كان حسن هو الذي عرض عليهم الشراب ثم  
رفض أن يدفع في النهاية واضطر حميد أن يدفع 25 روبلا بينما  
شعر أن السوداني معه نقود كثيرة. سألت عن زويا فقال إنها  
غادرت المستشفى وأقامت مع لها وبالأمر أحضرت زوجها إلى  
غرفته وجلسوا جميعا في سلام. قلت إن هذا سيئ فلا يجب أن  
تضعه في موقف كهذا، الجميع يعلمون أنها تخونه. مضينا في  
الطريق إلى منزلي. قال: ألا تظن أنه من حق أن لطالب السوداني  
بالنقود؟ قلت: طبعا. قال: مرة دخلت مطعم مع فتاة وكنت أظن أن  
معي ستة روبلات، ومعها هي علي أقل تقدير خمسة، شربنا زجاجة  
فودكا ووضع يدي في جيبتي، فإذا عندي روبل واحد فقط، سألتها  
عما معها قالت بضع كبيكات، احترت ماذا أفعل، خلعت سلسلة  
ذهبية كنت اشتريتها في ألمانيا الغربية بثلاثين ماركا أي 40 روبل  
وناديت على الساقى وقلت له: هل تلزمك؟ لوما مجيبا وأخذها  
وتحرك بسرعة فقلت له إذن احضر زجاجة فودكا ثانية، فاحضرها  
ثم اختفى وظهر بعد قليل ولقى للسلسلة على المائدة قائلا إنها لا  
تلزمه، احترت ماذا أفعل وتطلعت حولي في أرجاء المطعم، فإذا  
بشخص ذي ملامح شرقية يقترب منا ويدفع الحساب عنا وقدم نفسه  
إلينا على أنه مهندس بتروول من هلكو عاصمة أذربيجان، أمسكت به  
ليجلس معنا. قلت: عجيبة هؤلاء الأذربيجيين، من أين لهم بالنقود،  
ماذا يأخذ؟ قال: غالبا 200 روبل. قلت: لا يكفوا شيء فضلا عن



كرمهم العبيط هذا. قال: لديهم مصادر دخل أخرى كالسوق السوداء، لا أحد يعيش على راتبه الرسمي فقط، هذا ينطبق على جميع الجمهوريات وخاصة الآسيوية، كان لي صديق من لوزبكستان، لا يمكن أن تصدق ما رواه لي عن الفساد فيها، البعض يعيشون كما في العصور الوسطى، يمتلكون جيوشا خاصة ومليشيات ويحولون العمال إلى عبيد في ممتلكاتهم.

صعدنا إلى غرفتي. كانت للعجوز تلعب الورق مع الجارة وعجوز أخرى. أعطيتها للماروجنا. ثم أعطيتها رواية "آخر الفرسان" الروسية. قالت للجارة: لوه رائع، هذه رواية جميلة. قلت: يجب القراءة. قالت الأخرى: أفضل من البكاء. جلس حميد في حجرتي وأخرجت علبة لحم محفوظ وأربع بيضات وزجاجة نبيذ أحمر جزائري وعلبة قنبيط مسلووق. قلت إنني متردد في أخذ علبة اللحم إلى المطبخ لفتحها فتمننا رويل وهاته العجائز يعشن على كبيكات. دخلت المطبخ عدة مرات ثم عدت حائرا ماذا أفعل ثم دخلت المطبخ مرة أخرى وفتحت الدولاب وأخذت فتاحة للزجاجات والطب. تطلعت إلى العجوز في فضول الطفل. عدت إلى الحجرة فأعطيت الفتاحة لـ حميد. ثبتها على حافة العلبة فوق المائدة وضربها بيده فصدر صوت ما عن المائدة. صحت به: هس. وخيل لي أنني سمعت زمجرة من العجوز. أخذت منه العلبة ووضعتها فوق الأرض الخشبية. ضربت الفتاحة بيدي ثم أكمل هو العملية محائرا أن يصدر عنا صوت حتى انفتحت. حملتها إلى المطبخ وبحثت عن اللوعاء الكبير ذي المقبض والعجوز ترقبني بينما تلعب

الورق. لم أجده. سألتها عنه فقالت إن به طعامها وبنت منفعلة. قالت: خذ الصغير. غمضت أن الوعاء الصغير لا يكفي، أين هو؟ قالت: لا أعرف، ابحث. فتحت للدولاب فوجدته في الأسفل. وضعت اللعبة علي النار ثم غسلت الوعاء ورأيت اللحم يبرز من اللعبة فأمرعت أنقله إلى الوعاء فملأه. قالت لها العجوز الأخرى: اعطه للوعاء الأكبر، هذا صغير. استجمعت شجاعتي وقلت لها في حزم: من فضلك اعطني الوعاء الكبير لأن هذا صغير. تطلعت إلي في انفعال. قلت: سأنقل محتوياته في شيء ما ثم أعيدها. قالت أين؟ هذا وعائي وبطاطسي. ثم قامت منفعلة وأحضرت الوعاء وأفرغت محتوياته في وعاء آخر وهي تصرخ: اشتر لنفسك وعاء، هذه أوعيتي وهذه بطاطسي. وجمت العجوزتان الأخريان ثم غادرتا. غسلت هي الوعاء ثم جففته بالخرقة القذرة وأعطته لي فنقلت إليه محتويات الوعاء الصغير وهي تتحرك حولي في عصبية مزمجرة. ثم كسرت البيض وحملته إلى المائدة وكانت هي قد دخلت الحجرة وطافت بها ثم خرجت وعادت وقدمت إلينا شوكتيها القديمتين اللتين تشبهان مخالب ثعلب قذرة. نحيتهما جانبا وأخرجت شوكتين من كيس السلوفان.

فتحت زجاجة النبيذ فتفتت السدادة. قلت: لا بد إنها سدادة سوفيتية. قال حميد: طبعاً لأن التعبئة تتم هنا، فهم يستوردون النبيذ من الجزائر في براميل أو صهاريج بواخر. شربنا ونقرزنا قليلاً من مرارته الزاخرة. قال: الجزائريون يبيعون النبيذ للفلاح لفرنسا ويرسلون البقية هنا. قلت: وهنا أظنهم يضيفون إليه ماء،

قال: وومساخات، انظر ما تبقي في قاع الكوب، هل رأيت فيلم ليمبولد حيث يتم خلط النبيذ في مصنع من أجل استكمال للخطة؟ قلت: لا أنكر. قال: المخرج هو يوسيليان الذي أخرج فيلم 'عاش طائرا مغردا'، الموضوع عن شاب مراهق وديع يلتحق بمصنع لإنتاج النبيذ، وهناك عاملة تجيد اللعب بالرجال، ثم يكتشف أن النبيذ يتم خلطه بالماء ويقول له الجميع ألا فائدة من الوقوف في وجه المدير، ثم تغارله الفتاة وتدعوه إلى منزلها، أمام المنزل بضربه عاشق بلطجي وتستمع الفتاة بذلك، ثم يذهب الفتى إلى المصنع بوجه متورم، يلتقي بالفتاة التي تحاول الاعتذار إليه فيربت علي خدها في تعال قائلا: لا شيء يا فتاة. وينحيا جانبا فتابعه مذهولة، ثم يأمر العمال بالكف عن ضخ النبيذ ويأمرهم بصب مادة قطرانية في الصهريج المخصص لذلك ويعلن انه بهذا لن يستطيع أحد خلط النبيذ.

انهينا للزجاجة وأشعلنا سيجارتين. ظهرت العجوز قائلة: للدخان كثير ورأسي توجعني. لماذا لا تدخان في البلكونة؟ قلت في غضب: لا تدخل الحجر، سأدخل هنا. قالت: هنا مسكني أدخل متى أشاء. قلت لها: سأغلق الباب. وأردت أن أغلقه فمنعتني في عصبية وقد تورد وجهها انفعالا. قلت: إنن سأترك المنزل، قالت: مع السلامة. جلست مع حميد وهو يغالب الضحك. قال: العجائز، للعجائز، لنخرج. قلت: أين تريد أن نذهب؟ قال: إلى أي مكان به بيرة، اليوم عيد ولا معنى لأن نقضيه هنا. حكيت له كيف فتحت العجوز باب غرفتي ليلا في هدوء ولنا نائم فاستيقظت وسألته عما

تريد فلم نتكلم ثم كررت السؤال فتأوهت قائلة: نكنت أريد نواء، نم، نم. قال: سكنت مرة مع عجوز مرحة، كانت نظيفة وقوية، وكانت تضحك معي وتسالني عن البنات في الفراش وتسجل لي مكالماتي التليفونية، أما هذه ففنيئة.

أخذت العجوز تبحث عن مفتاحها قائلة إنها تريد الخروج ونسيت أين وضعته. قال حميد: لم تضعيه، هذا أسلوب العواجيز، مستقول الآن إن لخان السجائر هو للمسئول. وجدت العجوز المفتاح وخرجت. عاد يقول: لا معنى لأن نقضي اليوم هنا، بنا نشرب بيرة. قلت: المفروض ألا أشرب كثيرا وكنت أريد أن أعمل بعد الظهر. قال: تعرف ماذا أريد الآن؟ امرأة. قلت: وأنا أيضا. قال: تعال نبحت. قلت: أين؟ قال: في وسط المدينة. سألته عن صديقه تلقيا. حكى لي عن مشكلته معها وكيف كان مسكرانا وهما في سيارة وأخذ يقبل صديقته راقصة اللاليه فتركت للسيارة غاضبة ووقعت على الأرض وقالت إنها لا تريد أن تعرفه بعد اليوم. سألت: هل الصديقة جميلة؟ قال: جسمها رائع. قلت: إذن ابق معها. قال: لكنني أريد تلقيا. قلت في خيبت: وزوجتك؟ قال: في دمشق. ثم قال إنها من عائلة كبيرة وتعرف عليها في أحد النوادي وعندما جاءت للبعثة قرر أن يتزوجها وتعهد أن تحمل قبل أن يسافر. سألته عن السبب. قال: كي تجد ما يشغلها وهو في موسكو وكى لا تفكر في تركه.

لبست بلوفر أزرق برقبة وفوقه السترة الزرقاء. ركبنا الباص ثم المترو وجلسنا في آخر عربة وآخر مقعد. كانت أمامنا امرأة في

الخامسة والأربعين ذات بشرة كابية. وهناك روح في شعبيها. وشعرها مصبوغ منسدل على جبهتها، ترتدي معطفا صيفيا خفيفا، وحذاءا جديدا، يدها بلا خاتم وقابضة على حقيبة يد فوقها مجلة مطوية ومظلة صغيرة. كانت عيناها إلى أسفل وتتجنب رفعهما في أي اتجاه. قلت لـ حميد: ستقرأ مجلة الألب الأجنبي وتذهب إلى الباليه أو المسرح، وكل ما تتمناه هو رجل لكن الرجل سكارى. قال: هل تعرف كم فرد يعيش في موسكو؟ بين 8 و10 ملايين إنسان، منهم مليون متزوجون ومليونان عجائز فوق سن لجنس ومليونان عجائز تحت سن الجنس وثلاثة ملايين من النساء بين سن 20 و45. قال بعد لحظة: كل هؤلاء يعيشون على الانتصارات للصغيرة: شراء زهور لثناء عاصفة ثلجية في فبراير، الحصول على بطاقتي مسرح، العثور على زوج من الأحذية في المقفل المناسب أو ملابس داخلية مستوردة من ألمانيا في حانوت لايبزيغ.

نزلنا في محطة مكتبة لينين. ومضينا في الممر السفلي إلى محطة أخرى ومنها إلى بار البيرة وفوجدناه مغلقا. استندنا إلى سياج خارجي يطل على الشارع والآلاف يروحون ويجيئون أمانا. قال أين نذهب؟ قلت لا أعرف، أنت القائد. مضينا إلى كافيه ايليت. كان هناك زحام شديد. وقفنا إلى جولر فتأتين. حانت منهما نظرة إلى فابتسمت. إحداهما جميلة جدا والأخرى قبيحة جدا. جذبني حميد من ذراعي قلثلا: هذا نابور. قلت: ماذا تقصد؟ قال: قاعدة الحياة السوفييتية، عندما تريد شراء شيء تجده يباع مع شيء آخر لا تريده وعليك أن تشتريهما معا. سأل: ندخل؟ قلت: لا أعرف.

قال: لا يوجد مكان. قلت: ولا في الطابق الأسفل؟ قال: هيا نذهب. أكملنا الشارع حتى نهايته حيث مطعم أرباط الفخم الذي يتألف من صالة هائلة صفت فيها المقاعد والموائد. ظهرت من خلال الزجاج ثلاث مغنيات فوق منصة. هالتي العدد الهائل من النساء الوحيدات. عندما اقتربنا من بابه رأينا الحارس يحول بين الناس والدخول. دفعني حميد أمامه قائلا إني أجنبي الشكل. اعترضني الحارس فقلت له إننا ذاهبان إلى البار. أفسح لنا فمضينا إلى البار الذي كان صالة طويلة مليئة بالموائد في نهايتها ألواح زجاجية تشرف على الطريق. كانت هناك بضعة مقاعد خالية قرب البار لكن حولها رجال. اخترنا مائدة تجلس إليها فتاة وشاب مائل عليها. سألناه إذا كان المقعدان مفاهونا (خاليين)؟ رد بالإيجاب. جلسنا وسألني حميد: ماذا نشرب؟ قلت: أنت القائد. مضى إلى البار وأحسست بالفتاة تتألمني. تطلعت حولي إلى مائدة قريبة جلست إليها ثلاث فتيات واحدة قبيحة والثانية بظهرها لي والثالثة متوسطة الجمال. اقترب شابان منهن ووقفا يتحدثان إليهن فيما يشبه الدعوة والفتيات يضحكن ويرفضن. عاد حميد بكأسين طويلين عبارة عن خليط من الجن والفودكا والكونياك وفي القاع حبات من الكرز وقطعة من الكمثرى. جلسنا نحتمس بالشفاطة السائل المتلج. كانت جارتنا صغيرة السن متوسطة الجمال أنيقة وملابسها قصيرة، والفتى يرتدي كرافة ملونة فوق قميص جديد برزت أكمامه خارج السترة تحليها زراير زجاجية كبيرة في لون بيج. وكان يتحدث واضعا يده على خده والحديث بينهما منقطعا. وسمعتها تقول له بدلال: يا نبي ملجو (لا أستطيع). انطلقت الألعاب النارية في السماء

خلف الفتاة فاستدارت بكرسيها الدائري بحيث أصبح فخذها أمامي وجعلت تتأمل السماء من خلال لوح الزجاج. ولحظت أنها تتأمل نفسها في الزجاج أكثر من السماء. جاءت عجوز بدينة في ملابس العائلات وجذبت الستائر فوق للزجاج قائلة بغضب: غير مسموح. قلت لها إننا نريد أن نتفرج. قالت: تفرج في منزلك أو في الشارع لما هنا فلا. انتهزت جارتنا الفرصة لتجانبنا الحديث مبينة ضيقها بهذا التصرف الغبي. قلت: لليوم عيد ولا بد أنها وحيدة. قالت: محتمل، نحن هنا لنبتهج لكنها غبية وفظيعة. احمر وجه الشاب وزجرها قائلاً: اهتمي بكأسك. قمت وجذبت الستارة وضحكت الفتاة. جاءت للعجوز وأغلقت الستارة وهي تصيح غاضبة وعنت الفتاة. سمعتها تقول بعد قليل إنها ضجرة. فعرض عليها للشاب الانصراف. قامت وودعتنا وتحرك الشاب في صمت وعينه إلى الأرض والدم يندفع إلى وجهه. قلت له: سبرازنيكم (كل سنة وأنت طيب). فأجاب: سبرازنيكم. وجهت اهتمامي إلى المائدة المجاورة. رجل طويل عريض بعوينات وقفاه ناحيتي وإلى جانبه فتاة أنيقة صفت شعرها في حلقات متمردة مصبوغة قليلاً بلون أصفر. كانت ثفتاها ناعمتين مورنتين وفي عينيها رموش صناعية. وكان رداؤها قصيراً يكشف عن فخذين في كولون أبيض. قلت لـ حميد: بيروقراطي مع سكرتيرته. قال: لو عضو مهم في الحزب. كان الصمت بينهما طويلاً. يقطعه هو أحياناً فتستمع إليه ثم تضربه على ساعده في اللفة. لاحظت أنني لتأملها فمسحت عينيها وتأملت فخذها دون أن تبذل محاولة لتغطيتها. قال حميد: نخرج. قلت: نبقى. قال: نخرج. قلت إلى أين؟ قال بار الأخضر أو الأقصر، هناك

فنلنديات ودانمركيات. خرجنا إلى الطريق وسرنا وسط المئات. تأملت بنايات شارع كالينين العالية التي انتشرت فوق واجهاتها الزهور والأعلام الحمراء ولافتات تعلن: "المجد لأول مايو" و"المجد للعمل". قال: أمس كنت مع شريف وفريد وكنا سكارى ودار حديث طويل عن الماركسية اللينينية وكل واحد يؤكد أنه ماركسي لينيني أكثر من الآخر. فوق محطة المترو شعار بالأنوار: "المجد للحزب الشيوعي". وأعلاه جريدة ضوئية: "مواطنو موسكو المحترمين: شاهدوا فيلم خمسين سنة لـ لاتحاد الصوفييتي". الميدان الأحمر شعله ضوء وأعلام حمراء. انحنينا في شارع جوركي الذي يرتفع تدريجيا فهالنا حشد هائل من الجماهير مقبل من أعلى نحو الميدان وهم يرددون الأغاني والأناشيد. دخلنا فندقا ومضينا إلى الطابق الذي يوجد به بار يتعامل بـ الدولار ويشبه الكهف. طلب حميد بإنجليزية ركيكة من عامل البار كأسين من الويسكي. تطلعت إليه متسائلا فهمس لي: لو طلبت بالروسية سيغشنا. كان البار مزدحما بالأجانب والصوفييت الآسيويين. قال حميد: هنا تعقد صفقات السوق السرية، أخشاب مهربة إلى وسط آسيا، كافيار أسود إلى الغرب في علب مكتوب عليها رنجة، ذهب وفراء والماس وأيقونات بل وحبوب منع الحمل المستوردة.

جلس أمامنا شاب أسمر وسيم. سألتني: من أين؟ قلت: من مصر. قال إنه من المكسيك وضحك متسائلا: فتح ما زالت قائمة أم انتهت؟ قلت: هذا هو السؤال. كانت برفقه فتاة روسية ذات حاجبين رفيعين للغاية تضع يدها على خدها. يدور بينهما حديث



منقطع. انضم إليهما آخر بلحية ومجموعة ثالثة: شابان أحدهما فنلندي لو ألماني والآخر شكله إنجليزي لو أمريكي بلحية وفتاة رومسية أنيقة ثرثارة ضاحكة لا تكف عن احتضان الألماني. وجواري جلست عجوز ومعها شاب صومالي لو إثيوبي أحضر كأسين وأخذ بقبلها وسمعتها تقول له إنها تريد أن تصوره. بعدها فتاة طويلة شقراء وقرغيزي وسيم يمسك يدها ويمررها على خده وقد أغلق عينيه في تكلف وهي كالملكة تركت له يدها بينما اكتشفتا وجها عاطلا من الجمال. انضمت إلينا امرأة في العقد الرابع من عمرها وطلبت زجاجة نبيذ. قال لها حميد نشرب نخب عيد ميلادك. شربنا. حاولت أن نتحدث معنا فتجاهلناها. احتست زجاجة النبيذ وهي تهز رأسها لنفسها في استسلام حزين ثم انصرفت. توافد جمع من السياح تتقدمهم امرأة طويلة في رداء أحمر اللون تحتضن أخرى، وبصدر عنهم ضجيج مرتفع. أتى من خلفنا صوت موسيقى راقصة. اقتربت فتاة طويلة نحيفة في بنطلون كاوبوي وأنف بارز وقالت للأمريكي ذي اللحية: أريد أن أشرب. يبدو أنه يعرفها لكنه غير مرحب بوجودها. جلست بجواره على نفس المقعد وسمعتها تقول لآخر إنها يهودية.

قال حميد: نخرج. كنا قد أصبحنا في منتصف الليل ومازال للشارع مزحما. عند مدخل للمترو وقف شاب متكرر في صورة امرأة وقد أضاف قطعا من الملابس إلى مؤخرته وصدره وأخذ بهزهما. تجمع الواقفون حوله يتفرجون.

عائيتي العجوز لأنني لم أوجه لها تحية الصباح. طلبت مني أن أشغل الموسيقى كما أشاء. اشتغلت جيدا. غادرت الغرفة فسألتني: ألا تريد أن تشرب شايًا؟ قلت: أجل. تبعتها إلى المطبخ. وضعت ملعقة شاي في كوبى البلاستيكى. أشعلت للنار. وكما توقعت قالت: ماء البراد ساخن. قلت: أريده أن يغلي. قالت في لطف: لكنه غلى. قلت: لا، يغلي عندما أضيفه إلى الشاي. قالت مستسلمة: كما تشاء. كانت رائحة فيها لا تطاق ورائحتها كلها خانقة ووجهها محمرا. قالت: رأسي توجعني. قلت: الشمس اليوم قوية. قالت: كنت في المقبرة وكان هناك زحام شديد والشمس قوية ونظفت المكان بالمكنسة ثم وضعت الزهور. ابتسمت ومضت تقول: قبره حسن، لونه أخضر ورمادي، ليس لي أن أشكو. ظهرت للدموع في عينيها: المرة للقائمة سأشتري ألوانا وأزوق له للقبر، أعطيه شيئا من البهجة فهو الآن معتم.

التقيت زويا وزوجها في الشارع. قبلتني في خدي وعرفته بي قائلة: هذا هو الذي حدثك عنه. سألتني عما إذا كان هقز قد عاد. فتجاهلت السؤال. مررنا ببيت صديقة لها. ناديناها فخرجت إلينا. وجهت الحديث إلى زوج زويا: متى وصلت؟ ثم ضحكت وقالت: متى ستذهب؟

حملت الصحف أنباء تصفية للفدائيين الفلسطينيين في لبنان على يد الجيش. عاد هتزر من ألمانيا. ذهبنا سويا إلى 'معرض الإنجازات الاقتصادية للاتحاد السوفيتي' للقريب. مطر خفيف. مررنا في المدخل بتمثال من الصلب لعامل يمك بمطرقة وفتاة تمسك بمنجل وهما متماسكا الأيدي يسيران بجراة نحو المستقبل المشرق. وفي الناحية الأخرى معلة من الصلب لسفينة الفضاء 'فوستوك الشرق' التي صعد بها جلازين إلى الفضاء، نقش على أحد جانبيها عدد من العلماء والمهندسين يضعونه في صاروخ ومن الناحية الأخرى لينين يقود الجماهير إلى الفضاء. مررنا بأجنحة الطاقة الذرية وصناعة الفحم والبيولوجي والتعليم والفيزياء والثقلات وتكنولوجيا الكهرباء والزراعة. قال إن الأمور في ألمانيا الشرقية تماثل وضعها في روسيا، لكن الناس أكثر تضبطا. سألته عن عائلته فقال إن أمه تعاني مع الطبيب الذي تزوجته بعد اختفاء أبيه خلال الحرب، رجل سيئ عامله بقسوة فترك لهما المنزل. حنته عن أمي المشلولة. مررنا في اتجاه الصناديق التي يطلق الواحد منها على شخصين ثم يدور بهما في الهواء وينقلب. اقترح هتزر أن نصعد. رفضت. اشترى بطاقتين. لمحنا فتاة طويلة في معطف وبنطلون أسود جالسة على أريكة. كانت لها عينا زرقاوان واسعتان ووجه مستطيل أنسدل شعرها الأسود للناعم

حوله، وفم ممثلي شهواني. قال لها وهو يلوح بالبطاقتين: تعالى معنا. احمر وجهها وقالت إنها سبقتنا إلى للصعود. تقدم منها وجلس إلى جوارها وأخذ منها سيجارة. تطلع إلينا المارة والجالسون. جلست على مقعد آخر إلى جوار فتاتين. عرضت عليهما للصعود بالبطاقتين فقلتا إنهما تخافان. وضحكتا في خجل. سألتني إحداهما عن بلدينا. كانتا تتطلعان طول الوقت إلى هاتز. صعد مع الفتاة. دلرا في الجو وهما يصرخان ويضحكان. ثم نزلنا. وتأبطت ذراعها. ثم أنزلت ذراعها وسارت إلى جوارها. ذهبنا إلى لعبة الصناديق المستطيلة التي تدور بسرعة وهي ترتفع تدريجيا. أردنا أن نشترى بطاقات فألفينا الشباك مغلقا. قال لنا أحد العاملين إن اللعبة ما زال أمامها ساعة أخرى أما موعد موظف الشباك فقد انتهى. أخذونا من غير بطاقات. صعدنا في الصناديق ورفقنا على ظهورنا نتأمل للسماء. عندما نزلنا وضعت يدها في ذراع هاتز. ركبنا الباص وجلست هي بجوار شخص. سألتها عني. قالت له إني عربي. همس لي هاتز: عرفت من لهجتك أنك عربي دون أن أقول لها، لا بد أنها خبيثة، وهي تعمل في حانوت ومتروجة. تركتهما إلى منزلي. هاجمني صداع رهيب طوال الليل. كنت أترقبه وهو يمسك بعيني ثم ينتقل إلى أعلى ثم يهبط أخيرا إلى مؤخرة عنقي. لقيت العجوز فأعطيتي ورقة بمسحوق مسكن.

قالت المعجور : اليوم أحد والشمس ساطعة، الآن أخرج ٢ هـ : لا أريد. قالت: أنت مثلي تعبت من الحياة، شرب، الشاي ولنا الهدر في وجه فتاة المعرض. العينان اللواسعتان الرقاوان، الوجه الذي يحيط به الشعر الناعم، الشفتان الشهوانيتان. قرأت قصته حياة مرفقتس. هي نفسها تقريبا مفامرات دون كيهوثة. عانى هي مطلع حياته حالة عصبية مرتبطة بالتدين الشديد.

خرجت إلى السينما المجاورة. فيلم الطيور الحرة. بلغاري عن المراهقة. تدافعت الدموع إلى عيني في مشهد المرأة والمراهق وهو يتطلع إلى ساقها.

جاءت مغلين في تاكسي متأخرة. استقبلتها المعجور مرحبة. عندما انفردنا قلت: أنت تستحقين الضرب. خلعت ملابسها وقالت: ستضربني؟ كانت رفيقة نظيفة بلا رائحة. قالت: هل تحبني لليلة؟ أدخلته بعد مجهود. جئت بهزة شاملة في كل جسمي. رفعت يدها إلى أذنهما. أطريت للحلق المثبت فيها. قالت إنه حلق ماريو.

أعطاني هاتز عددا قديما من لتراتورنيا جازيكا (الجريدة الأدبية) به مجموعة قصائد للشاعر المتمرد يوفتوشنكو، تحت عنوان قصائد من قارة الأمل". قال إن السلطة رضت عنه أخيرا لو هو رضى عنها فقد عينته مراسلا أدبيا خاصا للصحيفة وصار يقضي في أمريكا اللاتينية عدة أشهر في السنة متنقلا بين بلادها.

## 41

كان المطر يهطل بصورة مستمرة والحجرة باردة لأن التدفئة مغلقة كالعهد بها في هذا الوقت من العام. رفعت للمصباح المتحرك إلى أعلى ليضى السقف حتى تعرف زويا بوجودي لو فكرت في زيارتي. بعد ساعتين أطفأت النور ووقدت. تغطيت جيدا وتقلب عدة مرات للتكيف مع مرتفعات الأريكة ومنخفضاتها. حلمت أحلاما مضطربة بأبي. رأيته حيا لأول مرة، أنيقا، ذاهبا إلى امرأة في أوروبا. تركت له ورقة أطلب منه فيها أن يحضر لي أكبر مجموعة ممكنة من الروايات البوليسية.

فتحت العجوز الباب علىّ في الصباح الباكر. نهرتها فقلت إنها خشيت أن أكون قد غادرت دون أن أنفع الإيجار والكهرباء،

وبنها سبق أن وجدت أحد سكانها في الصباح نائما ورأسه فوق  
حقيبته وغادرها دون أن يدفع ما عليه. قلت بحدة: كان يمكن أن  
تتنظري حتى أستيقظ. صاحبت إنها حرة وإنها تريد أن تتنفس. ثم  
دخلت الغرفة وفتحت خزانة للحقيبة وأخذت تحصى ما بها من  
لطباق قديمة متأكلة.

## 42

تناولنا العشاء في مطعم: أنا وهانز ومادلين وإيزابورا التي  
ذكرت أنها افترقت عن صديقها البرازيلي. التقينا مرة أخرى بعد  
يومين في العاشرة مساء وذهبنا مباشرة إلى غرفتي. استقبلتنا  
العجوز باسمه. قلت لها إن أصدقائي سيبيتون معي فأعطتني وسادة  
وبطانتين إضافيتين. بسطت بطانية على الأرض في طرف  
الحجرة لـ هانز وإيزابورا ونمت أنا ومادلين فوق الأريكة.

لنصت إلى الأصوات الصادرة من الأرض. ثم أغلقت مازحا  
لني سائضم إليهما ونهضت جالسا. أمسكتي مادلين من زراعي  
ولوشكت أن تبكي. حذرتني إيزابورا من الاقتراب. بدت واجمة في  
الصباح وظهر نوع من الخجل علي وجه هانز. لم تكن العجوز  
موجودة. وقفنا أنا وهو في المطبخ نعد الإفطار. قال لي هامسا: لقد  
هزرتي وأنا نائم معها قاتلة إن هذا ليس بجنس. أضاف: كانت

---

تجربتي الجنسية ناقصة حتى للتقيتها، الألمانية والروسية تستقبلان  
منح للرجال الجنسية بالشكر والرضاء، الأمريكية اللاتينية تكاد  
تمزقك إذا لم تلتذ، وتقول ببساطة: لم أشبع.

## 43

انتقلت زويا من منزل أمها إلى الأبخجيتي بعد سفر زوجها  
إلى معسكره. احتفلنا بعيد ميلادها. كانت بمفردها عندما ذهبت إليها  
لأهديها سوارا فرعونيا. روت لي كيف حاول الأذربيجاني  
اغتنابها وهو يصيح إنها تقدم نفسها بسهولة دائما لـ هاتز.  
وعندما أرادت أن تطرده ضربها فتصدت تاليا لحمايتها فضربها  
هي الأخرى. أعربت عن أسفي فقالت إنها متأكدة أنني أحبها. كانت  
ثملة قليلا ووجهها أحمر وشعرت برغبة شديدة في احتضانها  
وتقبيلها. وضعت يدي على رأسها وتحمسست شعرها من أعلى إلى  
أسفل. قالت إنها لم تعد تحب هاتز لأنها أدركت أنه لا يحتاج إليها،  
وإنه غضب عندما تأخرت عن موعد معه واتهمها بأنها كانت مع  
لطالب السكير فلاديمير.



## 44

بدأت المعجوز في حالة معنوية طيبة. قالت إن الدور جاءها للحصول على مسكن أفضل وعلى أن أستخدم للمغادرة. كانت جالسة في مقعدها بجوار البوتاجاز. مازحتها فقطبت جبينها قائلة إن رأسها مشغول لأنها تخطط!

كانت ملهين قد وعدتني بالمجيء في الواحدة ظهرا. خرجت بدون الشابكا، واشترت لحما وبيرة وربت الحجرة. ظلت أنتظرها حتى الرابعة. وكانت زويا قد وعدتني أول أمس أن تمر على بالليل. جلست أعمل وأنا أطلع من النافذة في أنتظرها. لكنها لم تأت هي الأخرى. ما زالت البروستاتا تؤلمني كلما تهيجت.

## 45

ذهبت إلى الأبخجيتي لأحضر بعض الصحف. التقيت هافز. سألني إذا كانت زويا قد زارتني في منزلي.

تصلت بـ ملهين ودعوتها للحضور. أعدت السلطة وفقت زجاجة نبيذ أحمر بلغاري. أشرت لسطوانة "احتفال بهيج" لـ رمسي كورسكوف. موسيقى منعشة ذات إيقاع متوتر لطبل يبدأ خلفنا بطيئا ويتصاعد إلى قمة من الفرح بعد أن تتداخل معه

الآلات والنغمات الشرقية. جاءت هذه المرة لكنها لم تكن متحمسة للمضاجعة. قالت لي وهي تنظر إلى بخبث: لقد أجريت عملية إجهاض. تطلعت إليها مذهولا. سألتها: لماذا لم تخبريني؟ قالت: لأنك لم تكن السبب. قلت: من كان إذن؟ قالت: ماريو. انتظرت رد فعل مني لكنني لزممت الصمت. قالت إن إحدى زميلاتها للروسيات أخذتها سرا إلى مسكن غامض لإجراء عملية الإجهاض، وكان فراش العمليات في الصالة، وبعد أيام تعرضت لنزيف فذهبت وحدها إلى نفس المكان، وفوجئت باختفاء الفراش وبأن للصالة امتلأت بأناث عادي. تعجبت. قالت: هناك عصابات تقوم بعمليات الإجهاض سرا، فهو مسموح به فقط في للمستشفيات وكثيرات لا يستطعن الذهاب إلى هناك كي لا يتم إبلاغ الأهل أو مكان العمل. لو علمت مديرة معهدنا بالأمر لأعادوها إلى بلدها. لحاطلتي بنراعيها. قالت: ألن تضربيني؟ حككت نفسها على ساقي ثم جاءت بقوة.

## 46

زارتني زويا في التاسعة مساء. بدت متعبة. شكرتني مرة أخرى على السوار وقبلتني في وجنتي. دعت جبينها بإصبعها لتزيل ما عليه من غبار. عرضت عليها أن تشرب نبيذا أو فودكا. ظهر علي وجهها تعبير مكرر وأزاحت خصلة شعرها إلى خلف أنفها. سألتني: لماذا؟ كنت أتحرك طوال الوقت واقفا أو جالسا،

وهي منبهة لكل حركة تبدر مني كأنها تتوقع شيئاً. ساعدتها في مراجعة دروس اللغة الإنجليزية. في منتصف الليل أعلنت رغبتها في الانصراف. قلت: الوقت متأخر. سأوصلك. أين ستبيتين؟ قالت: في الأوشجيتي. قلت: مفتوحة؟ قالت: سأتمكن من الدخول. قلت: إذا لم تتمكني تعالي هنا. رافقتها حتى المصعد. كانت تراقبني بركن عينها ومنبهة لكل حركة مني كأنها تتوقع أن لحتضنها في أي لحظة.

## 47

تلقت مادلين في الساعة السادسة كما طلبت منها. قالت: أنا أعلم أنك لا تريد أن تراني لأنني لست مفيدة الآن بعد الجراحة. لتقنا على اللقاء أمام البلشوى. ذهبت معها إلى منزل عبد الحكيم. لم تكن زوجته قد عانت من أوكرانيا. وشملت رائحة مشاكل بينهما. سهرنا معه هو وزميلة له في العمل ذات شفتين غليظتين وتدعى إيماء وقناة طويلة تجيد الإنجليزية لا تكف عن الكلام السريع اللاهث تدعي لأريما سبق أن تعرفت عليها في إحدى مكتبات القاهرة. أخضني عبد الحكيم إلى المطبخ وحزني من أن إيماء لها علاقة بالك ج ب، المخابرات. قال إن القذافي أعلن تأميم شركة لبريكية للبترول والاعتراف بجمهورية ألمانيا الشرقية. تحدثنا

بسخرية عن النظرية الثالثة التي يدعو إليها ضد الرأسمالية. وضد من أسماهم بالشيوخ للرجعيين الذين يتمسكون بقولاب جامدة من الماضي. عندما سكرنا اقترح لعبة تختار فيها كل فتاة رقما يرمز لأحدنا وتنتهي بأن تتفرد بالفائز. فزت مرتين. أخذت إيماء إلى المطبخ وقبلتها. بادلتني قبلات للفم بحماس وضغطت عليها بساقي. ثم فعلت المثل مع لاريسا التي عاتبتني لأنني لم أتصل بها منذ التقينا آخر مرة. عدنا إلى الصلاة واقترحت ضاحكا أن نمارس الجنس الجماعي. ضحكنا جميعا لكن ماعلين انزعجت ولختقت في الحمام. ثم انصرفنا للفاتاتان.

قضيت الليلة مع ماعلين فوق أريكة الصلاة. شممت رائحة كريهة بمجرد أن رقدت إلى جوارها. اعترفت بأنها لم تغتسل بعد التواليت لأنها لم تعثر على ورق. قلت: ألم تكن هناك مياه؟ قالت: أجل. هناك زجاجة ولكني لا أعرف كيف استخدمها كما تفعلون. أعطيتها ظهري ونمت.

## 48

تلفنت لـ لاريسا فردت على أمها. قالت بصوت واهن أن ابنتها حدثتها عني. وطلبت مني أن أعتني بها. أعطت لها الساعة فتواعدنا على اللقاء في وسط المدينة. جاءت متأخرة ثلاث ساعة بعد

لن لو شكت على الانصراف. تذكرت أنها كانت تقفل ذلك دائما في القاهرة وتحتج بأنها مراقبة بواسطة السفارة. كانت في جوب كاروهات قصير أحمر اللون كشف عن ساقين جميلتين، ورفين ممثنتين وخصر ضيق. مشينا في برومبكت كالينين. قالت لاهنة: إلى أين؟ قلت: نشترى طعاما ونذهب إلى مسكني. قالت: حدثني عن العجوز، عندما قلت في التليفون إنك استأجرت غرفة مع عجوز أرئت أن أعرف أي نوع هي من العولجيز. قلت بعد برهة: أليس من الأفضل أن نذهب إلى مكان ما، مقهى أو مطعم؟ ملت إلى الفكرة. طعام جيد وشراب لكنها مستصدع رأسي بحديثها وبعد ذلك يكون الوقت متأخرا للذهاب إلى غرفتي، وأكون خسرت بين 10 و12 روبلا. قلت: كما تحبين، سئري. قالت: لنذكر آخر مرة التقينا وتعمشنا ثم رفضت أن توصلني؟ قلت: السبب أنني كنت قد أنفقت الروبلات للعشر التي في جيبي.

دخلنا في حديث طويل عن للصحة وأمراض النفس والجنس: السلوك اللبدائي والمرأة الباردة وليدي شاترلي وقشرة الحضارة التي تجعل للقاء الجنسي صعبا ومعقدا والرجل الذي يتنقل كثيرا بين النساء. قلت إنه إما يبحث عن صورة مثالية في رأسه أو لديه ميول مثلية. قالت إن الحب عملية ارتقاء وتهذيب للقاء الجسدي، إنه الهدف الأسمى للشوعية. سألتها عن صديقها الأرمني. قالت إنها قطعت علاقتها به لأنه مستبد ويريد من المرأة أن تكون تابعة له. قلت: ولم لا؟ إذا كانت للعلاقة ناجحة جنسيا. قالت: بالضبط

ولكنها غير ناجحة بسبب لئاليته، فهولا يهتم بغير متعته الشخصية. سألتها عن صديقتها أولجا التي تعرفت عليها أيضا في القاهرة. وكانت ضئيلة الحجم شاحبة الوجه عاديته. ومع ذلك أحاط بها للشبان المصريون طوال الوقت. قالت لاريسا إن أولجا منهاره منذ عودتها من مصر، لا أحد يأخذها إلى أي مكان ولا أحد يهتم بها وتقضي طول الوقت في غرفتها نائمة. تذكرنا سفيتلانا صديقتها الأخرى. كانت رشيقة الجسم ذات صدر ناهد. وكانت تسير دائما مرفوعة الرأس في خيلاء فقد كانت جميلة. قالت: لن نتعرف عليها الآن، لقد تزوجت بروسي وأنجبت طفلين. ولزداد وزنها كثيرا، وتبدو دائما موشكة على البكاء لأن زوجها يضربها.

قالت: لنذهب إلى مطعم موسكفا لو كان معك نقود. سألتها: كم يكلف؟ قالت 10 أو 15 روبلا. قلت لا أستطيع. اشتريت زجاجة نبيذ أحمر بلغاري ثمنها 180 كوبيك وقطعة ملابسا محشوة بالبيض وقطعة لحم بارد. ذهبتا إلى المنزل. قالت: ستوصلني عندما أغادرك. قلت: لماذا؟ قالت بالإنجليزية: هذا هو واجب الجنترلمان. قلت: هذا لا يعني. قالت لماذا؟ قلت: لا معني لأن آخذك من أول المدينة إلى آخرها ثم أعود مرة أخرى، إننا جميعا نعمل في الصباح. فقالت إنها قضية أساسية. ثم قالت: إنن لن أبقى عندك طويلا. سأنصرف قبل العاشرة. قلت: كما تشائين.

مررت بـ الأبهشجيتي فأخذت الأغطية الجديدة وذهبتا إلى المنزل. كانت العجوز في المطبخ مع أخرى ذات عوينات. أعدت

المائدة وأنا أنحاشي الذهاب إلى المطبخ. ثم وضعت قطعتي لحم في طبق من أطباقها القديمة ولخنته لهما فسرت العجوز. وقالت صديقتها: هل لديك ما يشرب؟ ملأت لها كأسا. عدت إلى لاريسا وبدلتنا نأكل ونشرب. جاءت العجوز وقالت إنها ستطرد صديقتها وتنام. وأغلقت الباب علينا. قالت لاريسا إنها تكره هاته العواجيز، وإن العجوز كالكلب الذي تطعمه فيسكت، وإن أبيها هكذا دنيء، وإن العجوز للنولذ ويسأل عن الأشياء الموضوعة: لماذا هنا ولماذا هناك، يطق للنولذ ويسأل عن مهنته. قالت إنه من علماء البحار الكبار، دائما وحش. سألتها عن مهنته. قالت إنها من علماء البحار الكبار، دائما خارج البلاد ويأتي ليحبل أمها ويتركها تعنى بثمانية أطفال، دمر حياتها. قلت: كيف؟ قالت: لم نحصل على إشباع جنسي ولأنها متبينة لم تتمكن من إقامة علاقة مع أحد غيره. قالت إنها مرتبطة بأبها جدا وتكره أبها وتتمنى موته.

انتهينا من الأكل فقالت إنها ستذهب. قلت لها: الأفضل أن تبقى ونقضي الليلة معي، وهناك احتمال كبير ألا يحدث بيننا شيء. لم تعارض وقالت إن أمها تنتظرها. نزلنا ننظف لها من الكشك. نلت أمها: ملموشكا، سأقضي الليلة عند صديقتي، كيف حالك؟ نصت برهة ثم قالت: أهو بابا مرة أخرى؟

صعدنا من جديد. أغلقت باب الحجرة ودخلت الحمام وخلعت ملابسها. فتحت العجوز الباب وكانت في قميص داخلي بال. قالت بصوت مرتفع: هل ستبقى هنا الليلة؟ قلت: لم أفهم. قالت بلهجة غلظية: سأروي كل شيء لصديقك.

---

استلقينا على الأريكة بعد انصرافها. خلعت ملابسها. وجنتها مبللة جدا فدخلتها بسهولة وانتهيت بسرعة. وما لبثت أن نمت وفي فمي طعم شفتيها المدهنتين. شعرت بأصابعها تتحسمني لتدب في الحياة دون نتيجة. وفي الصباح عاودت المحاولة بأصابعها دون جدوى. استحممت ولارتديت ملابسني بينما كانت تنم عن في تفاصيل جسمها للعاري في إعجاب غريب. اتخذت أوضاعا مختلفة وسألتني عن رأيي في جسمها. قلت إنه جميل.

أوصلتها بالباص إلى محطة المترو. وسألتني إذا كنت أستطيع أنا أو أصدقائي أن نشترى لها بطاقات للكونسرت الأمريكي. وعدت بالاتصال بها وأنا واثق أنني لن أفلح.

## 49

حان موعد مغادرة منزل العجوز والعودة إلى الألبشجيتي. توقعت معركة معها: أن تسرق مني شيئا أو تتهمني بسرقة شيء، أو تحاول ابتزاز نقود. على الأقل بحجة غطاء المائدة البلاستيكي الذي تمزق مني. لكنها لم تفعل أي شيء من هذا ولم تدقق حتى في ما حملته معي من أشياء. طلبت 50 كيبكا ثمن النور وكان يمكن أن تطلب روبلا كاملا. ودعتها فقالت إنها آسفة لذهابي وإني



شخص جيد. انتقلت إلى حجرتي السابقة في الأبنجيتي. رحب بي الطالب الرومي. كان متين للبناء حليق شعر الرأس على النمط العسكري. ولم يكن ماريو موجودا.

## 50

عادت زويا إلى المستشفى وزرناها أنا وهتز. وجهت كل اهتمامها إليه. قالت إنها تتمنى أن يزورها أحدنا مرة ويصحبها في جولة خارج المستشفى كما فعل زوجها.

بعد أن تركناها تمشيًا في ظل أشعة الشمس للغاية. كان الجو رائعا ذكرني بشتاء القاهرة. قال إن فريد وحامد انتقلا من الأبنجيتي إلى مسكن خاص وأصبح بمفرده وعرض أن أسكن معه. قال: عندنا مكتبين، واحد لكل منا. وافقت.

نقلت حاجياتي إلى غرفته. اتخذت لنفسني الفراش على يسار النافذة. وأزلنا الفراش الثالث ووضعناه فوق الخزانة الخشبية. واتفقا على توحيد نفقاتنا واقتسامها. للتقيت ماريو في الكوريدور. هبطنا سويا إلى الكافيتريا. بدا محرجا وتكلمت معه بصورة عادية. رفقنا في الطابور. قال فجأة إن مائلين تحبنا نحن الاثنين فكل منا يشع شيئا فيها، هو يشبه أخاها وأنا أشبه أباه.

---

## 51

جاء هاتز ساخطا في منتصف الليل. كانت المعلمة تاتيتا  
مقراء أربعينية وبيدنة بعوينات، قد دعتة إلى منزلها في  
عة للرابعة قائلة إنها أعدت بطتين بالطريقة الروسية. تأخر  
ها لأنه كان على موعد مع إيزالورا. وذهب إليها في الساعة  
ليرة. وجدها جالسة أمام الطعام البارد تنتظر مع مدعوين  
ين. قال لي: كلنا أنا شخص مهم جدا، ويتوقف كل شيء على  
ودي، والنتيجة أن العزومة باظت ولزمت المعلمة للصمت  
ضبة فانصرفت بعد قليل. قلت: كان يجب زيارة زويا. قال إنه  
يشعر برغبة في رؤيتها.

## 52

ذهبت إلى السفارة المصرية في شارع خليبيتي لأملأ بعض  
لأوراق الرسمية. استقبلني شخص طويل القامة وتجاهلني بعض  
الوقت. وجه اهتمامه إلى خارطة كبيرة على الحائط للاتحاد  
السوفييتي وأخذ يبحث عن نقطة بها. قال بعد لحظة: لقد تخلوا  
عنا. قلت: غير صحيح، ما هو المطلوب منهم أكثر من إعادة بناء  
الجيش المصري؟ قال: لا يريدوننا أن نحارب لنستعيد أرضنا. قلت  
إنهم لا يريدوننا أن نغامر بحرب لم نستعد لها جيدا، ثم إن سجلنا  
في الحرب غير مقنع. نطلع إلى طويلا دون أن يرد.

لثناء عودتي في المترو لاحظت امرأة قوية الجسم ذات صدر رائع وبشرة لونها الشمس، وصلت رغبتي فيها إلى مشارف للبكاء. رأيت امرأة أخرى ذات مؤخرة بارزة حشرت نفسها في الزحام ورفضت أن تجلس في مكان خال. في إصبعها خاتم زواج. تبعتها عندما غادرت المركبة. أدركت أنها تبحث عن يحنك بها. أسرعت إلى زحام أسفل السلم الكهربائي وأنا خلفها. نزلت إلى المترو السفلي واستقلته وهي تتطلع حولها في ضيق ثم اتجهت إلى باب الهبوط حيث احتشد عدد من الركاب. تركتها ومضيت في طريقي.

## 53

رتب هاتز الحجرة وأعدنا عشاء. زارنا شريف وحמיד السوربان حاملين زجاجة فودكا احتفالاً بتخرج فريد. ذكر شريف أن القذافي أعلن عزمه على الاعتكاف في خلوة. وأن البكر ممثلاً لحزب البعث العراقي وقع مع عزيز محمد سكرتير للحزب الشيوعي ميثاقاً للعمل الوطني ولقواعد العمل في الجبهة الوطنية والتقدمية. قال حميد إنهم سيستغلون الاتفاق لجمع أكبر معلومات ممكنة عن الشيوعيين ثم يقضون عليهم. حكى شريف عن فتاته مارينا التي تجري عمليات الإجهاض لنفسها لأنها لا تحمل تصريح

إقامة في موسكو فلا نستطيع الالتجاء إلى مستشفى وليس أمامها  
غير الجراحة السرية التي تحتاج إلى نقود. قال إنها تستخدم البوبا  
ليمتص الدم، وإنه استيقظ مرة فراها زرقاء الوجه. وقال حميد إنه  
مرة طلب من صديقته أن تغادر الغرفة ليمتقبل فتاة أخرى فرفضت  
وهددت بالانتحار فقال لها: هيا انتحري، دخلت الحمام وجلس  
يشرب فودكا، مر ربع ساعة وبعد نصف ساعة خرجت شاحبة من  
الحمام وقالت إنها ستموت وارتمت فوق الفراش، طلب لها  
الإسعاف، جاءت طبيبة وممرضة وممرضات، أسعفوها ثم جلسوا جميعا  
يشربون الفودكا ويثرثرون. وقال إنه سيسافر إلى دمشق لأنه لا  
يستطيع الحياة دون أن يرى زوجته ولبنته. أرانا صورهما.  
انضمت إلينا إيرما صدقة فريد بعينين دلمعتين. انصرفوا بعد أن  
أوشكت زجاجة الفودكا على الانتهاء. وبينما كنت أرتب المائدة  
جاءت هند. قالت إنها التقت شريف وحميد على السلم وإنها تعرف  
ما يقوله عنها بسبب علاقتها بالطالب الروسي. سألتها إذا كانت  
تحبه. قالت: لا أعرف. قلت: يمكنك أن تعرفي من العلاقة  
الجسدية. قالت: ظروف المكان لا تسمح، أنا في غرفة وهو في  
أخرى، لا أتصور شكلا آخر للرقاد أثناء ممارسة الجنس غير أن  
أنام على ظهري وأرفع ركبتي، هناك طبعاً أشكال أخرى كثيرة لا  
نستطيع استكشافها لأننا نادراً ما ننفرّد بأنفسنا.

كنت بمفردي أصعل عندما طرقت فيرا باب الغرفة. فتحت لها ولنا أتأمل ساقيهما العاريتين في الميني جوب القصير. وكنت أتابعهما بنظري دائما وهي راتحة غادية في الميني جوب. اقترضت مني روبلا. احتضنتها في تردد وهي خارجة وعندما عادت بالـ روبل كان روج شفتيها ممسوحاً، ربما من قبلة. صحبتها إلى الكورينور. وعادنتي الأم البروستاتا. قضيت النهار في الحجرة. كتبت على الآلة قليلاً كعائتي. ثم شعرت بالتعب. شربت زجاجة بيرة. ثم قمت وأعددت بيضاً بالبصل. شاركتي هافز الطعام. غذاء لي وإفطار له. حكى لي عن بعض تجاربه النمساوية وكيف ركعت فتاتان تحت قدميه طالبتين منه أن ينام معهما ورجته إحداهما أن ينام مع الأخرى لأنها تتمزق من الرغبة. انصاع لها وتمدد على الفراش وقال لها اخلعي ملابسك وتمشي. لذعنت وتمشيت ثم جاءت وركدت فوقه. وقام شاعرا بالقرف وجعلها تغسله ثم انصرف. قال إنها حدثته عن استخدام المرأة للروسية محشي بـ الككشا الساخنة لإجراء الإجهاض. قال إنه التقى للطالبة ابنة الوزير، جاءت في سيارة خاصة مزودة باللاسلكي وقالت عن ليبيها إنه جش لا يفهم شيئا. وإن أبويها زوجها بسرعة وأعطياها شقة في شارع بيمتروف حيث يسكن للحكام. روى لي كيف كان نائما وجاءت زويا توقظه. وكيف تطلع إليها لا مباليا وهي جالسة على حافة فراشه. ثم كيف شعر برغبة شديدة فيها. ومدت يدها تتحسسها وهو

---

راقدا يتأملها ويداه خلف رأسه. وطلب منها أن تبثله بلعابها. ثم مضت إلى سلة المهملات بجوار الباب فمسحتها في جانبه. وفتح الباب ليدخل توماس الإفريقي. مد يده ليصافحها قللا: هالو زويا. فقدمت إليه يدها.

## 55

قال إريك الكازاخي إن المعلمة تلقينا تدعو هاتز للشاء في الساعة الثامنة مساء. وطلب إليه أن يأخذ معه زجاجة خمر. تلقن هاتز لها وسألها إن كان يستطيع إحضار صديق معه. جاء عنان العراقي حاملا صندوق النرد. أصر أن نلعب معا قللا إننا لن نراه بعد الآن لأنه سيعود إلى العراق نهائيا خلال أيام. خرج هاتز يبحث عن خمر في البريوسكا. ثم التقينا أمام منزل تلقينا. وكان الكازاخي في انتظارنا. ألتنا رائحة البول والقيء ونحن نصعد الدرج. مررنا بأبواب الشقق المغلفة بالجلد السميك. استقبلتنا تلقينا متأنقة وقد أحاطت عينيها بخط أزرق اللون، كانت أسنانها رمادية كأغلب الروم. قدمتنا إلى ضيوفها: فلوديا نو القميص الحريري المشجر والبنطلون الشارلمستون وزميله فالنتين الضخم ذي الشوارب الذي كان يبحث بترانزستور روسي قديم كالندبة الصغيرة، لودا ذات الشفايف الناعمة والجسم الممتلئ التي جلست

---

إلى جوار فلوديا وسوّت له شعر رأسه بأصابعها ثم قبلته في وجنته.

أحضرت تاتيانا الطعام وبدت سعيدة. شربنا نبيذا أبيض ولحظت أن تعبيراً من للتعالي وللعداء ظهر على وجه هاتز عندما قال فولوديا: أكد لي كثيرون أنني أشبه الفرنسيين. أُنشأت لودا بوجهها خجلاً. قال إنها هي التي ذكرت له ذلك. قالت تاتيانا بفخر وهي تشير إلى زجاجة الروم إن هاتز قضى اليوم كله بين محلات البريوسكا بحثاً عن ويمسكي ولم يجد غير الأنبذة والمشروبات الروسية وهذا الروم الكوبي.

انضم إلينا بوريس سكرتير الكومسومول (منظمة الشيوعية للشبيبة) في الأورال. تَلَفَت صديقة إريك معترة بسبب ذهابها إلى المسرح. وضع بوريس وسادة فوق التليفون. استفسرت من هاتز همسا عن السبب. قال: للتشويش على أي عملية تسجيل، ففي مثل هذه السهرات تتطلق الألسنة. سمعته يقول لـ لودا: أنا هنا لأحكم في كل شيء. ردت عليه في تحد: ليس كل شيء. تحدثت تاتيانا عن أبيها وقالت إنه في كل مرة يشاهد فيلماً حربياً يقول إنه فيلم جيد لكن الحرب لم تكن كذلك. تناولت نراعي مقترحة أن نشرب معاً نخب الأخوة. شَبَكَت نراعينا وتبادلنا اللبقات. أراحنا المائدة للرقص. رقص فلوديا مع لودا ثم اختفيا في الحجرة الداخلية. وظهرا بعد نصف ساعة. بدا عليها شيء من التعب أو الاكتئاب. ولمحتها تختلس النظرات لـ هاتز. قال لها: اذهبي معي

ى الأبشجيتي وباتي هناك. قالت إنها تود ذلك لكنها لن تفعل.  
فض فالتنتين الرقص وقال: إما روك آند رول وإلا فلا. بدأ  
وديس يكشف عن شخصية مرحة. رقص مع لودا ورقصت مع  
تاتيانا. شعرت بجسم مترهل في أجزاء كثيرة. قالت: يجب أن تأتي  
عندي في عيد ميلادي، لقد شعرت بالراحة لك من أول نظرة.  
همت أن هذا جسر لـ هاتز. قالت إنه لا يريد أن يحضر عيد  
ميلادها. تدخل هاتز في الحديث قائلاً إنه مرتبط بفترة تدريب  
عملي. قالت إنها تستطيع التدخل لإعفائه منها.

سأل فالتنتين لودا عن لون الملابس الداخلية الذي تفضله.  
قالت: الفيوليت. فنهض وتلفن لشخص وسأله عما إذا كانت لديه  
ملابس داخلية بنفسجية. خرج بـ وديس إلى البلكونة فتبعته. قال  
إنه يشعر بالملل بعد ثلاثة أيام في موسكو ويريد العودة فوراً إلى  
زوجته وطفله. بدأنا نشرب الروم الكوبي بعد أن أعد أبريك الثلج.  
وصنعت لودا قهوة احتسبناها بالـ ماروجنا. همست لي تاتيانا إن  
لودا تبحث عن علاقة ثابتة. دفعت بعويناتها إلى الخلف وقالت: أنا  
أدرك أن هاتز غير ثابت وفي أي لحظة يمكن أن يغير رأيه ثم إن  
الناس تريبنبا (المزاج)، عندي مختلف. قلت لـ وديس بعد تطبيق  
ساخر من جانبه: لو كان كل الشيوعيين مثلك لكان الأمر رائعاً.  
أبدني هاتز. أثرت نقاشاً حول الفارق بين الواقع ومشاكله وما يكتب  
في الصحف والكتب. قال وديس: الأعداء يتربصون بنا ولا يجوز  
أن نكشف لهم عيوبنا. قلت إنهم يطمون عنكم أكثر مما تعلمون عن  
أنفسكم. قال إنه لا يستطيع أن يتحدث هكذا في الأورال مع زملائه



سمعت تاتياتا تقول شيئا عن طفلها فاستوضحتها. قالت: أقصد زوجي السابق.

قال فالنتين وهو يمسح شاربه بأصابعه: أنا أدير مصنعا كبيرا للألبان تقدم له الدولة كل الإمكانيات. عندنا مصيف على للبحر الأسود يذهب إليه كل عام آلاف العمال وعائلاتهم، المصنع هو حياتي، أعرف كل شبر منه، عندنا خمسة آلاف عامل أعرف أغلبهم بالاسم، وأعتني بهم جيدا، أوفر لهم كفايتهم من الطعام فلدنيا مزرعتان خارج موسكو ونبيع للفواكه والخضراوات بأسعار مدعومة، عندنا أيضا مساكن ومدرسة وملجأ للأيتام وناد رياضي وقصر ثقافة. قال إنه مضطر للانصراف لأنه سيستيقظ مبكرا. أضاف ضاحكا: للمصنع الآن في مرحلة السخونة. استفسرت عما يقصد فقال إن العمل يمر بثلاث فترات: الأولى عقب توزيع الأجور يكون فيها العمال منهكين من الفويكا وفي الثانية يبدأ جو العمل في التسخين، وفي الثالثة قرب نهاية الشهر يلهث العمال لإنجاز الخطة ويكون الإنتاج مليئا بالعيوب.

انصرف فلوديا ولودا وفالنتين. وكشفت تاتياتا عن ضيقها بهم. قالت إنها لا تعرف سوى لودا من شهر ونصف. وإنها مهندسة تعرفت على فلوديا منذ أسبوع ولا تعرف مهنته. إنها تعتقد أنه من أرباب السوابق فهناك وشم كثير علي ذراعيه. انسحبت في الساعة الثانية تاركا هاتز. طلبت مني تاتياتا أن ألتفت لها في الغد لنخرج مع صديقة لها. غادرت للمنزل إلى محطة المترو. وقفت

خارجها أنتظر تاكسيًا. الجو صيفي رائع. وأنا منتش ومنتبه تماما. انضم إلى شاب ثمل قليلا ولمراته. جاء التاكسي فأسرع إليه الشاب وفتح الباب الخلفي وأشار لي في احترام مبالغ فيه أن أدخل. جلست للمرأة بجوار السائق. طلب مني الثمل بعد قليل سيجارة. أشعلتها له. تحولت إليه المرأة وقالت: لماذا لم تستأذن؟ ضحكنا. سألتني: هل تعرف مايكوفسكي؟ قلت: الشاعر الذي نتحرر. قال: اليوم تمر 80 سنة على ميلاده. ردد بعض أبيات من قصائده عن اللغة الروسية وليفين وعن الوطن: "نظر إلى أيها العالم واحسنني، فلدى جواز سفر سوفيتي". عقب: الآن كل واحد يريد جوازا ليبرح.

وجدت باب الأبخجيتي مغلقا فطرقتة عدة مرات. فتحته الديجورنايا وعفتني. صعدت في بطة إلى غرفتي. غسلت جوربي ونمت.

في الصباح كنت في حالة معنوية جيدة. أكلت ثلاث بيضات وقطعة طماطم واستحممت. ثم شربت الشاي والقهوة. دخننا وأنا أفكر في اليوم الذي سنقضيه مع تاتيانا وصديقتها. تلفنت لها في الساعة الواحدة فردت على في ضيق وبلهجة باردة. ذكرت لسي وقلت: كاك ديلا (كيف الحال)؟ قالت: لا بأس. سألت عن هازر فقالت إنه خرج الآن فقط لأنه مصاب بالتهاب في الحلق. قلت سأنتظره لأعالجه. لم تذكر شيئا عن مشروع للنزهة فأنهيت المكالمة. عدت إلى الحجرة وانهمكت في العمل.

قبل الظهر وصل هاتز في حال من الإعياء. جلس وقال إنه لا يدرى لماذا يفعل هذا. قلت: تفعل ماذا؟ قال إنه متنقز من نفسه وإنما أخذته إلى فراشها ورقد إلى جوارها ثم بدأ يرتجف وفقد رغبته فيها. قلت: لكنك في البداية كنت تريدها. قال: لا أعرف. أحاط رأسه ببديه وبكي. صنعت قهوة وتحدثت عن الأم التي تريدها وفي نفس الوقت نشعر بالرعب لأنها محرمة علينا.

## 56

زارتنا جاليا صديقة عدنان تبحث عن مسافر إلى بغداد لتبعث إليه برسالة. كانت دقيقة الحجم ذات وجه دائم الابتسام، وغمارة في ركن فمها. وكانت برفقة صديقة لها. أعجب هاتز بالصديقة، ناثاشا. رأيت في قديمها حذاء بكعب مرتفع وفقا للموضة. سألتها أين حصلت عليه. قالت إنه إيطالي من الرينك. قلت: من أين؟ ردت مستاءة: نا رينك. قال لي هاتز: نقصد السوق السرية، وليس له مكان محدد، لكن تجد فيه السلع التي يصعب العثور عليها مثل الطعام أو لوفة إسفنجية أو شال من الموهير أو زوج من الإطارات اليابانية، والجويات للميني من الجلد، والجوارب النسائية. أضافت جاليا: يمكنك أيضا أن تشتري كرتونة سجانر أمريكية بعشرين روبلا، وشكولاتة غربية وكتب قديمة.

دب فينا للحماس وأعدنا طعاما وخرج هاتز يشتري بطيخة.  
قطعناها فطالعنا جوفها الأبيض. وضعناها في مياه باردة. قالت  
جاليا إن عدنان وعدما بأن يطهو لها طعاما عربيا قبل سفره ولم  
يفعل. رفضنا احتساء الفودكا في البداية ثم شربنا. أدت الجرامفون  
واسطواناتي الغربية الثلاث اليتيمة. صفقت ناتاشا عندما تعرفت  
على اسطوانة "شيب". استمعت جاليا بحزن لأغنية لاف ستوري  
(قصة حب). قالت إنها تذكرها بـ عدنان وإنها ستذهب إلى  
العراق. قالت لها ناتاشا: يجب أن تتعشى. هزت رأسها رافضة  
وقالت إنها تريد كأسا خامسة خالية لأنها وعدت عدنان بذلك. قالت  
إنها كانت أخيرا في سوتشي على البحر الأسود. سألتها ناتاشا:  
كيف ذهبت؟ قالت إنها في البداية لم ترغب لأنها وعدت عدنان ألا  
تذهب بمفردها إلى أى مكان ثم غيرت رأيها في آخر لحظة  
وقضت هناك عشرة أيام.

رقصت مع جاليا عدة مرات. ودب بيننا مرح. تابعتنا ناتاشا  
باهتمام. كان هاتز عازفا عن الرقص وفي حالة خمول. اقترحت  
جاليا الذهاب إلى السينما. همس لي هاتز أن ناتاشا تثيره. قال إنه  
وعد إيزابورا أمس بالذهاب إليها لأنه سيمافر قريبا. طرق الباب  
فتجاهلنا الطارق. بعد قليل نظرت من النافذة فلمحت إيزابورا  
منصرفة. أشفقت عليها أن تقطع كل هذه المسافة ثم لا نفتح لها.  
قلت لـ هاتز فذكر أنه كان قد وعد بانتظارها. نزلنا إلى الغابة.  
سرنا أنا وجاليا في المقدمة. سألتها كيف عرفت عدنان. قالت: في

الباص. جنبها من يدها طالبا التعرف بها فظننت انه جروزيني، من موطنني جورجيا. سألتها: متى كان ذلك؟ قالت: من أربعة شهور. لا. خمسة. قالت إنها في الولادة والعشرين وسبق لها الزواج، ليس لها أم، تعيش بمفردها منذ سنتين. وترى أباهما بين الحين والآخر، تريد أن تدرس اللغة الإنجليزية لمدة سنة لتلتحق بعد ذلك بمعهد المضيفات. سألتني عن الحياة في العراق. وهل هي جميلة حقا كما قال عنان. قالت إن العمل في الحانوت ممل، وإنهم يحتفظون بنوعين من الدفاتر، الأول يعرضونه على الدولة والثاني به البيانات الحقيقية. وقالت: نحن نتظاهر بأننا نعمل وهم يتظاهرون بأنهم يدفعون لنا أجورا. سألتها عن سعر الدولار في السوق كما طلبت مني مادلين. قالت: ثلاث روبلات للدولار الواحد.

وضعناهما في تاكسي. قالت جاليا: ألن نوصلاطنا؟ تجاهلنا الأمر. قال هاتز بعد انصرافهما إن ناقشنا رفضت أن يقبلها. ثم تحدثت مع جاليا بصوت خافت وعندئذ خفت مقاومتها. وقال إنه يشعر بالضيق وغير مستعد لأن يضيع الوقت معها لكن جسمها منير.

سافر هاتز إلى ألمانيا وصرت بمفردي. كما سافر حميد وفريد وأغلب السوريين. وبدأت الأبشجيتي تخلو من الطلاب بسبب العطلة الصيفية. البعض ذهب إلى أهله والآخرين إلى المراكز المخصصة للعطلات. تلفنت لـ جاليا من التلفون العمومي في مدخل الأبشجيتي. ردت بصوت حاد بارد. قلت بلغة متعثرة: صديقك ناتاشا نسيت بطاقتها هنا وهي معي الآن، ماذا سنفعل؟ قالت: سنمر عليك غدا لنأخذها، كيف حال هاتز؟ قلت لها إنه سافر. قالت: كلمني من فضلك صباحا هنا أو بعد ذلك في العمل والآن إلى اللقاء لأنني يجب أن أجري. أعطيتي الحارسة بطاقة بريدية من مادلين. كانت تحمل صورة قديمة للغراء الباكية. وبها كلمة واحدة: أرجوك. صنعت السلم متاقلا. التقيت دوبروفسكي برفقة زوجته. طويل القامة وبوسامة الأرستقراطيين وهي قصيرة بملامح أقرب إلى العاملات أو للقرويات. كان يحمل زجاجة فوكا تحت إبطه. عرض على أن نشرب سويا فاعتذرت. فتحت النافذة على مصراعها لأخف من درجة الحرارة. أعددت سلاطة وملأت كوبا من النبيذ. قرأت قليلا في كتاب "لعبة الأمم" لـ كوبلاند. ثم غسلت الأطباق، وألرت اسطوانة "النزوة الإيطالية" واستلقيت على الفراش.

أوصلنا ماعلين إلى المطار لنسافر إلى بلدها. كنا أنا وايزادورا وإحدى زميلاتها. ودعنا باكية. لكم يكن ماريو معنا لأنه ذهب إلى معسكر العطلات في الجنوب. ستلحق بها ايزادورا بعد أسبوع. ركبنا سويًا إلى وسط المدينة. قالت لي إنها كانت تبكي طول الأسبوع في التواليت بعد سفر هاتز. وكذلك ماعلين. ذهبنا إلى سينما تعرض فيلم عميقو نيميتي تمثيل آلان ديلون. جلسنا متجاورين ووضعنا زراعي خلف ظهر مقعدها. بعد لحظات داعبت أنها فلم تعترض. واصلت تحسس أنها دون أن تتحرك. وشعرت بها ترتعش. مالت على وهمست: أتذكر ليلة نمنا في غرفتك؟ انصرفنا إلى متابعة الفيلم ثم أوصلتها إلى أبشجيتي معيها.

استيقظت عدة مرات بالليل على صوت امرأة في غرفة خليفة. صوت حاد مبتذل. تبينت أنه لزوجة بويرفسكي الأرستقراطي للسكر.

سرت بخطى ثقيلة إلى الحانوت لشراء سليفكا (قشدة) وخبز. لفنت نظري فتاة رشيقة في بلوفر أصفر ذي فتحات طويلة فوق الساعد تبدأ من الكتف، وجوب أسود قصير، كشفا عن جسد لفحته الشمس. وأنا عائد التفت خليفة ماضيا في نشاط ليتبضع وقد حمل سيوكا (شبكة) من زجاجات البيرة الفارغة.

تلفنت لـ جاليا كما اتفقنا فلم أجدها.

بدأت عمليات طلاء الجدران المنوية استعداداً للفصل الدراسي القادم واستغللاً لخلو الأبنسجيتي من الطلاب. سألتني القومندانة إذا كنت سأسافر مثل الآخرين. أجبت بالنفي. طلبت مني إخلاء الحجرة لدهانها وعرضت على غرفة أخرى في مواجهتها تستخدم مخزناً. كانت صغيرة بلا نوافذ وبفرش واحد. تعثرت في درجة سلم بمدخلها. وقفت في منتصفها شاعراً بالاختناق.

غادرت الغرفة وسرت في الكورينور. كان عمال الدهان يفترشون الأرض ويحتسون الفودكا. وقفت أتأملهم فقال لي أحدهم: لا تسمى القهم، نحن الطبقة للعاملة. ركبت إلى وسط المدينة. ذهبت إلى مكتبة لينين التي تضم ملايين الكتب. دلفت من الأبواب الثلاثية وأعطيت حقييتي ومعطفي للـ باهوشكا خلف كاوتنر المعاطف ثم عرضت بطاقتي القديمة على حارس مسلح في كشك زجاجي. وقعت باسمي في دفتر وأضفت الوقت. على رأس سلم حجري وتحت لاسقف المقبب بحر من الكبائن للخشبية. سجلت الكتب التي أريدها في رق من للكرتون أعطيتة للموظف المختص فوضعه في علبة معدنية أطلقها داخل أنبوب إلى أعماق المكتبة. مضيت إلى إحدى قاعات المطالعة فوق بساط أخضر بال. انتقلت إلى الغرفة المخصصة للتدخين. بعد ساعة من الانتظار تسلمت الكتب التي طلبتها. غادرت المكتبة ومشيت على غير هدى. وقفت أمام مطعم



صوفيا في طابور طويل. وكان النوازل يخرجون ليتصيدوا الأجانب  
ويصحبوهم إلى الداخل. أشار لي أحدهم بالدخول فاحتج روسيان  
أمامي. ثم دعاني واحد آخر فتبعته. لحق بنا للنادل الأول وأراد أن  
يتولاني وأوشك الاثنان أن يتشاجرا. أكلت موليككا باللحم وسلطة  
خضار بالمايونيز. تسلفت الفوكا إلى معدتي فدبت الحرارة في  
جسدي كله. ركبت الترام. وقفت إلى جانب امرأة عند عداد النقود.  
كانت أربيعينية ذات وجه لطيف رغم امتلائه بالأصباغ. كانت  
تمسك بمظلة صغيرة مطوية. فكرت أنها عائدة من نزهة يوم أحد  
محبطة. تحركنا إلى الداخل. شعرت بمؤخرتها خلفي فداعبتها  
بمؤخرتي. بادلتني الضغط. نزلت عند سينما ألمان. فيلم مصري:  
"الحب المحرم". مديحة يسري وشكري سرحان. زحام هائل. تابع  
المتفرجون في اهتمام مشكلة امرأة في الأربعين تستيقظ مشاعرها  
بعد طول إهمال. لكن الضحك لم ينقطع في المواقف الميلودرامية  
السانجة. وكانوا لا يزالون يضحكون عندما انتهى العرض.

انطلقت في شارع هادئ تظله الأشجار ويجري فيه الترام.  
أخذت للمترو وغيرته في محطة اكتوبريسكايا. زحام العائدين من  
الأمسيات للصيفية بالضواحي. صنعت درجات الأهشيبيتي التي  
رلن عليها صمت غريب. فتحت باب غرفتي وأنا أتلفت حولي.  
تمددت على الفراش وتناولت رواية "الصيف الأكثر حزنا للمسيد  
من" لكاتب أميركي.

---

حلمت أن كل أسناني وقعت وحملتها في فمي. كانت كثيرة ودقيقة وخشيت أن أبتلع بعضا منها قبل أن ألحق بالطبيب. أعاد تركيبها وأصبحت ثابتة. شعرت بالارتياح وإذا بها تتخلخل وتقع من جديد.

## 60

قالت جريدة لوفستيا في معرض الحديث عن محاكمة المنشقين إن هناك علاقة بين الكسندر زولجيتنسين وجريدة مرية تنشر أنباء المعارضة.

وقالت إن أسماء أربعة صحفيين أجانب وردت في المحاكمة المخلفة، التي اعترف فيها إثنان من المتهمين، أحدهما مؤرخ والثاني باحث اقتصادي، بأنهما عميلان بأجر لجماعات معادية للسوفييت بالخارج، وأنهما نشرتا "حوليات الأحداث الجارية"، النشرة الإخبارية السرية المكتوبة على الآلة الكاتبة، وأن الصحفيين الأجانب مراسلون لـ نيوزويك والأسوشيتد بريس، وكانوا حلقة اتصال بين المتهمين و"مراكز أجنبية معادية للسوفييت". قالت أيضا إن عالم الفيزياء زلخاروف التقى للمتهمين في حفلات أقامها صحفيون أجانب.

---

ونشرت الأرفستيا خطابا مفتوحا من 31 كاتباً بارزا يهاجمون زولجينستين وزاخاروف. وبين الموقعين على عريضة الكتاب شولوخوف مؤلف "الدون الهادئ" وسيمونوف وأيتماتوف.

وفي اليوم التالي قالت الصحيفة إن المدعي طلب أحكاما مخففة على المتهمين على أساس أنهما تحولاً إلى شهود للدولة. وقال إنه نظرا لتوبتهما الصادقة يطلب لكل منهما ثلاث سنوات سجن وبعدها ثلاث أخرى من النفي. ويعني النفي إقامة جبرية في جزء ناء من البلاد.

## 61

انتهى أخيرا دهان الجدران والغرف في الطابق. وعدت إلى غرفتي. نظيفة ومبهجة رغم رائحة الدهان. وقتت أتأمل مشارف الغابة أمام النافذة المفتوحة. عملت في الصحف وغسلت بعض الملابس. خرجت إلى مكتب البريد. الجو جميل بسبب الدفء. رائحة الجو مثيرة. جسمي كله في حالة إثارة. تلفنت لـ جاليا. كان التليفون مشغولا. تلفنت مرة أخرى فردت علي. نكرت اسمي. قالت: لا أسمع جيدا. قلت: أريد نكتشا. قالت: ليست هنا. هل يمكن أن أبلغها شيئا؟ قلت: فقط بطاقتها أريد أن أعيدها إليها، لقد وعدت بالمجيء لتأخذها لكنها لم تفعل. قالت: ربما ليست في حاجة إليها، هل عاد هتزر؟ قلت: ربما يعود في نهاية الشهر. قالت: إذن سنزورك عند ذلك، دلزفداتيا (إلى اللقاء).

لم أجد رغبة في ممارسة تعاريف الصباح. استحممت وغادرت المبنى. ألقني الترولي باص إلى ميدان بوشكين. نزلت ومشيت من أمام للمباني القديمة الرحبة، وبنايات عهد ستالين المتجهمة ثم للمباني للحكومية الضخمة بلونيهما الوردي والأخضر أو الأصفر واللبنى، والأخرى السكنية من أيام خروشوف. مررت من أمام تمثال بوشكين للبرونزي الذي كان محني الرأس في أسى. بدا مسرح راسيا الضخم وعبر الشارع مبنى جريدة الأرفستيا. للميدان مزدحم بالمارة والناقلات والحافلات. مررت من أمام واجهة محل الحلوى التي ضمت نمودجا بلاستيكية متوهجا لكعكة. حانوت أحذية لا يهتم به أحد لأن محتوياته ليست وفقا للموضة. في واجهة حانوت الأسماك كانت للمياه تتساقط فوق نموذج كبير لسمة. وبداخله بسكويت وأسماك مطبقة فقط فلم تكن هناك طواير. لكن النساء كن ينقلن من حانوت لآخر حاملات شبكاتهن وكلهن آذان وعيون منتبهة وعند أي بادرة من بائعة أو ناقله سلع يدركن أن شيئا قد وصل: سمك طازج أو سويس أو دجاج.

دخلت حانوتا لاسطوانات الموسيقى. اشتريت ميرينادا تشايكوفسكي ومعها "النزوة الإيطالية". سمعت في الحانوت صوت موسيقى رائعة على الأرغن واشتريت الاسطوانة: آريا هاندل بتوزيع حديث وأغنية "البجعة" لـ سان هاتس ورومانس شوستاكوفيتش ثم كريسلر وعلى الوجه الآخر توكاتا وفوجة باخ.

لشتريت أيضا أغنية لم يعد من المعركة. شعرت بامرأة تلتصق بي من الخلف. حركت فخذها بحيث تحتوي إحدى فلكتي مؤخرتي. رمتها بركن عيني فرأيت وجهها لطيفا لامرأة خمسينية. انتهيت من عملية الشراء والتفت بحثا عنها فلم أجدها.

## 63

عاد هاتز مع بدء للدراسة. أحضر معه زجاجة ويمسكي وشوكولاتة غريبة وعددا من مجلة بلاي بوي الأمريكية بها صور لملوك المصريين الفراعنة. ذهبت معه إلى المعهد. وصف لي رد فعل الألمان لوفاة أولبريشت، للزعيم الشيوعي الذي كان رئيسا للحزب ولـ ألمانيا الشرقية، بأنه كان باردا. لمحت فتاة رقيقة ذات شفنين ناعمين ووجه ملئ بالبثور مما أعطاها حسية واضحة. لبست لـ هاتز فخاطبها وتعرفنا بها. مجرية تدعي يوديت. علقت على لغتي الرومية المتعثرة قائلة إنها ستتحسن سريعا. أعطتنا عنوان المنزل الذي نقيم فيه مع زميلاتها بحي تاجاتكا.

لمنا زويا مع زميلة لها فابتعد هاتز. رأيت فلاديمير يقترب منها. مدت يدها إليه في برود. وبدأ هو يتكلم. في اللحظة التالية لمحتني. بسطت ذراعي نحوها. احتضنتها قائلا إنها أوحشتني جدا. قالت سامر عليك ومشت. كان وجهها ممثلا بالصورة الرومية التقليدية فقد سحره القديم. تبعها فلاديمير وغادرا المعهد سويا.

## 64

استوقفتني كلمات الكاتب الأمريكي ثورنتون وايلدر: "الحب الذي يتغنى به الشعراء ليس إلا للرغبة في أن يكون المرء محبوبا وإن يكون - في خضم نفايات الحياة - المركز الثابت لاهتمام أحد آخر".

## 65

اشتريت كيلوين من الفلفل الأخضر ووضعتهما في برطمان زجاجي بعد أن أضفت المياه والملح. اتفقنا أنا وهانز على أن أذهب لـ يوديت وأدعوها عندي. كان الجو دافئا قليلا بعد الغروب. عثرت على منزلها. عندما اقتربت منه لحظت ثلاثة أشخاص: شابا طويلا وفتاتين، إحداهما يوديت. تعرفت علي في الظلام. توقفت وصافحتها. قلت: أنا قادم إليك. قمتني لزميلتها وصافحتها. سألتني يوديت: كيف حال اللغة الروسية؟ لم أجب. مددت يدي مصافحا قائلا إني سأمر عليها. قالت: نحن دائما في البيت معاء. لم ندم يدها أولا ثم منتهى. انصرفت وواصلت طريقي. ثم تبينت لي لا أعرف وجهتي. فعدت إلى الناحية الأخرى. وقتت انتظر للباص طويلا مع فتاة خارجة من محل كوافير وقد صففت شعرها وغطته. ركبنا للترولي الذي أخذني بعيدا. صعد شاب ثمل ووقف بترنج

---

عند المدخل. نزلت في آخر الخط. أخذت تاكسي إلى الألبشجيتي،  
وجدت هاتر في المطبخ. سألني عما فعلت. قلت إنني لا أفعل في  
شيء.

## 66

في المترو وقفت إلى جوار امرأة ذات مؤخرة بارزة وجسم  
طويل. احتككت بها طويلا. بشعور بائس صعدت السلم المتحرك.  
انتشرت بللعات الفولكه خارج المحطة. اشتريت نصف كيلو برقوق  
ونصف كيلو كمثرى وكيلو غناب. بحثت عن طماطم بلا جدوى.  
الباص شبه فارغ. أربعينية ذات عينين سوداوين واسعتين وشفتين  
مثلثتين شبعنا تقبلا بحكم سنها. ملامحها إسبانية لكنها روسية  
وجسمها غير متناسق. ترندي حذاء على الموضة بقاع خشبي  
مرتفع، تتأمله كثيرا في إعجاب. مررت بالحنوت لأبحث عن  
طماطم وزيد وخبز. لم أجد. كانت هناك فلاحه روسية على  
لرصيف تباع حزمات الفجل الأحمر المبهج. اشتريت منها. وجدت  
هاتر مستلقيا فوق فراشه بملابس للخروج. أظفر نوا. جلست على  
فرشي متصنعا للمرح. ملأت كأس نبيذ. قال إنه سيذهب إلى  
لمطمة تقبلا. طُرق الباب وسمعت صوت زويا: هل أستطيع  
الدخول عنكم؟ حيثني وخلعت معطفها الخفيف. جلست وهي تقول

في مرح: أنا سكرانة اليوم. سألها هاتز: كيف؟ قالت: فوق، كنت عند واحدة واحضروا عدة زجاجات من النبيذ. سألتها عن فلايمير. قالت: مللته. أبدى هاتز ملاحظة ساخرة. قلت له: هل تنتظر من هذه الفتاة التي تحبك أن تتغاضى عن تجاهلك لها وتظل تتعبد لك حتى تتنازل بالانقاعات إليها؟ قالت: فعلا. وقفت ووضعت يدي على رأسها قائلا: أنا الوحيد الذي يحبك. قالت: أعرف. أريد أن أشرب. صبيت لها نصف كأس. قامت وجلست بجوارى. ألصقت خدي بخدها. كان هاتز يجلس أمامنا. انتظرت أن يخرج كما أعلن ويتركنا سويا. سألتها إذا كانت أكلت. قالت: أجل. فجذبته إلى وقبلتها في خدها فأعطتني شفيتها وفي عينيها نظرة غائبة وعلى وجهها ابتسامة ملائكية. كانت ثملة. أخرجت عدة اسطوانات منها اسطوانة "الفالس الأخير" التي رقصنا عليها مرات قبل ذلك. تنقلت في أرجاء الغرفة منتظرا أن ينصرف. أدت الاسطوانة فبدلت للنغمة الأولى. انصرف هاتز أخيرا عندما بدلت النغمة السريعة الحركة. وقفنا نرقص متباعدين وهي تتحرك بصعوبة. جذبته إلى صدري واحتضنتها خدا إلى خدا. بدأت النغمة الثالثة الحاملة، فقبلتها في فمها. شفتاها رقيقتان. رائحة فمها حلوة. أمطرتها بقبلات صغيرة حتى توهجت شفتاها تحت فمي. كانت عيناها مغمضتين تماما. حركت لساني داخل فمها. لتصفق بها ونحن نتحرك حركة بسيطة على إيقاع الموسيقى وهي تبادلني الحك. جذبته في رفق إلى الفراش. غمغمت: نيت (لا). لكنها لم



نقاوم. قالت: لحن. أشعلت لها سيجارة وجلسنا متجاورين. قلت:  
أنت تحبين هاتز. قالت: لا أعرف، لكني أحمل له مشاعر طيبة.  
أخذت منها للسيجارة وبدأت أقبلها قالت: أشرب. قلت: لا أريدك  
مسكرانة. وضعت لها قليلا من النبيذ. قلت لها إني أحبها ودائما كنت  
أريدها. قالت إنها تحمل لي مشاعر طيبة. قبلت أنها. ضحكت في  
رقة وتقلص وجهها في ابتسامة طفولية. قالت: أنت نرغزغي.  
تمدنا على الفراش وللتحم لسانانا. شعرت بمتعة رائعة من تقبيلها،  
من ملمس خدها وشعرها. أغمضت عينيها تماما. جعلت أتحس  
ملابسها وأردت أن أخلع الجوبة فرفضت. مددت يدي بين ساقيها.  
كان جوربها ينتهي عند نهاية فخذيها. دعت شعره عائلتها برفق  
فخرجت ساقيها. أردت أن أخلع لها مترتها فرفضت ففككت  
زرورا وأخرجت ثديا صغيرا، بحلمة طويلة. مصصتها فبدلت  
ترنص تحتي وتتهد. لم تكن مبللة. حاولت مرة أخرى أن أخلع  
ملابسها للتحية. رفضت وقامت واقفة قائلة شيئا ما لم أتبينه. عدت  
استمتع بدعك خدي لصق خدها. ثم بقبلات خفيفة على شفتيها حتى  
تنب فيهما الحرارة والبلل وتتفرجان لتحتويا شفتي. جذبتها ووقفنا  
نرفص ولنا لحك جسمي في جسمها وهي تتحني قليلا لتصبح في  
مستواي وتحك بنشاط مغمضة العينين. سألتها إن كانت جائعة  
فقلت إنها لم تأكل من يومين. انهمكت في إعداد طعام. وصعدت  
هي إلى أعلى لتغتسل. عادت وجلست على حافة النافذة. أزلحت  
خصلة من شعرها خلف أنفها وقالت: هل تذكر عندما ذهبنا نسمع

موتسلرت سوبا وشربنا بيرة وكيف اني لم أعجب بالقسم الأول من الكونشرتو. قلت: الصيف كان ردينا بالنسبة لي، وكنت بمفردي طوال الوقت. قالت إني الوحيد الذي ابتهج برؤيتها عند عودتها من المستشفى. بكّت فجأة قائلة إن الجميع يسخرون منها. تركتها مسرعا في هذه اللحظة إلى المطبخ لأضع الطماطم على اللحم. توليت إطعامها ولم تلبث أن استعادت مرحها. أكلنا زجاجة النبيذ. طرق الباب وظهر هاتز. قال إنه غير رأيه ولم يذهب إلى مواعده. أخفت وجهها وقالت مازحة: انتظر حتى أرتدي ملابس. دار حديث حول اثنين في الخمسين من عمرهما تزوجا وكيف تبرجت المرأة وأحاط بها الناس مهللين. أرادت أن تقول إن الناس سيئون. قال هاتز في استهانة: طبعاً امرأة مضحكة. هاجمت للناس الذين يضحكون من الآخرين والكذابين والمنافقين. والناس الذين يجرون وراء المال ويتمسحون بالاشتراكية. اثنبك معها هاتز وأنا أحاول تهدئة الموقف. غادر الغرفة فسكنت ثم قامت فأدارت اسطوانة الموسيقى ومضت إلى الباب فوقفت خلف الدولاب وأسندت رأسها إليه وبكت. مضيت إليها واحتضنتها مهنئاً. قالت: أريد الانصراف، اعطني معطفي. قلت لا. بكّت وهي تردد أن الكل ضدها، للجميع خدعها، ويسخرون منها، كلهم يقولون لأنفسهم إنها مجنونة لأنها كانت في المستشفى، وعندنا إدارة للمعهد بالعودة إلى الدراسة عندما تغادر المستشفى وإذا بزميلاتها يعترضن. قالت: لا أحد يريدني إلا عندما أكون مرحة، وعندما دخلت المستشفى لم تسأل

عني واحدة من صديقاتي. انهمرت دموعها وهي تحكي عن أبيها للمريض وكيف كانت تذهب إلى المستشفى وهي في التاسعة تحمل للمرضى الزهور والصحف وتقرأ لهم. وكيف خسرت بموت أبيها للصديق الوحيد. وكيف كانت عندها لوزة تتفعل عندما تراها قادمة وتطلق أصواتاً مرحبة. وفي يوم عادت من المدرسة لتجد أن أمها قد طهتها. وقالت إن أحداً لا يريد لها إلا لممارسة الجنس. ألقعتها بأن تعود إلى الفراش وتستلقي فوقه. أصرت أن تشرب سيجارة لولا. ثم طلبت نبيذاً بمكر للممن. كان وجهها قد أصبح متورداً وعيناها مقترحتين من البكاء. شكل مختلف تماماً لوجهها أعطاهما سناً لكبر وحسية. استلقت فوق الفراش وغطيتها بالبطانية. فوضعت رأسها على فخذي واستكانت إلى جولري كطفل وهي باسمه. ملست على شعرها وذلكت لها فروة الرأس. سألتها إن كانت تريدني أن أفعل ذلك فهزت رأسها وهي مغمضة العينين وقالت بابتسامة طفولية: دا (أجل).

أغضت عينيها ونامت. كان وجهها على خدها الأيسر مائلاً إلى أسفل وقد صنع شعرها حوله هالة متموجة ناعمة. وفجأة فتحت عينيها وقالت: نبيذ. قلت: بعد نصف ساعة. قالت: إذن سيجارة. لدخاً ثم نامت مرة أخرى. وهي نائمة ضحكت فجأة. أغلقت النافذة عندما شعرت ببرودة الخريف. استيقظت بعد قليل وقالت: مرت نصف ساعة. قلت: لا. خمس دقائق، نامي. قالت: رأيت حلماً ملوناً. قلت: شاشة عريضة؟ قالت: لا. كانت هناك بركة ورجل

غريب. نامت مرة أخرى بعد أن طلبت مني أن استلقي بجوارها وأضع نراعي حولها ودفنت رأسها في صدري. غفوت قليلا مثلها ثم نهضت وخرجت إلى الكوريدور. رأيت هانز قائما. قال: ليلة كئيبة. قلت: أنت كنت مرهقا وهي سكرانة وتحبك وتشعر أنك ألقيت بها جانبا. قال إن ما استفزه أنها تتكلم بطريقة فلايمير، نفس حركات يديه وتعبيراته التي تصل إلى معاداة النظام والشيوعية والحزب. أعددنا شايًا واستيقظت على الصوت. جلسنا معا نشرب. كانت هادئة باسمه قد أفاقت. بدأ هانز يناقشها في امتحانها للمقبل وكيف يمكن مساعدتها. اقترح أن أتكفل أنا باللغة الإنجليزية وهو بالشيوعية العلمية والاقتصاد السياسي. قالت إن هناك أشياء لا تفهمها وغير مقتنعة بها ولا تستطيع أن تحفظها. قلنا لها إن هذا ليس مجاله للمعهد. اتفقنا على أن تأتي لنساعددها وصعدت إلى غرفتها.

## 67

في 11 سبتمبر وقع انقلاب عسكري في شيلي وقتل الرئيس اللندي بعد حصار الانقلابيين لقصر الرئاسة. قال هانز إن الانقلاب سيمنح الثورة في أمريكا اللاتينية ويقوى من شوكة أتباع جيفارا. قلت إنهم ينتمون إلى اليسار الطفولي، فما فعله كان مغامرة حمقاء.

---

تلى هاتز أليانا من قصيدة جديدة لـ يوفتوشنكو يخاطب فيها الثائر  
الأرجنتيني:

أيها القومندان،  
إنهم يتاجرون بك، ويرفعون الأسعار،  
لكن اسمك العزيز  
يباع بثمن بخس جدا.  
فبعيني هاتين.. لا بغيرهما،  
أيها القومندان،  
رأيت في باريس صورتك، والبيريه تعلوها نجمة،  
على "المراويل الساخنة" لآخر موضوعة، ولحيتك أيها القومندان،  
على الأفراط وللمشابك والصحون.  
كنت شعلة صافية من الحياة،  
فإذا بهم يحولونك إلى دخان فقط.  
لكنك سقطت، يا قومندان،  
باسم للعدالة والثورة-  
لا لكي تصبح إعلانا  
لتجارة دعاة الليبار.

ظهرت زويا في سترة شتوية وبنطلون رياضي اختفي داخل  
 حذاء مطر برقبة عالية ملوثة بالطين. وعلى ذراعها كمية كبيرة  
 من الزهور. دخلت منفعة ووجهت حديثها إلى هاتز طالبة زجاجة.  
 ناولتها زجاجة لبن وأخرى مربعة لعود الزنبق الأبيض ولزهور  
 المرجريت البيضاء. عاملها هاتز برقبة. وضعت باقي الزهور جانبا  
 وأخرجت من شنطتها عدة نقاحات قالت إنها طازجة وقد جمعتها  
 بنفسها. ثم أخرجت ورقة صغيرة بها قطعة نقاح حفظت في السكر.  
 قسمت القطعة قسمين وقالت: كلوا. لم يبد هاتز حماسا فأصرت.  
 لكت قطعة بصعوبة. أخذت منها القطعة الأخرى ودفعتها إلى في  
 بشجاعة قائلا: انظري. أدت اسطوانة الرابسودي المجرية لـ  
 ليست. تناولت من حقبتها كتاب ترومان كلوبت وأوراق اللغة  
 الإنجليزية بحماس. صنعت قهوة في المطبخ. وذهب هاتز  
 لإحضارها. احتضنتها قائلا: كنت أتمنى لمس أن تكوني معي.  
 قالت ضاحكة: أما اليوم فلا؟ خلعت غطاء رأسها وأطلقت شعرها  
 وجلست إلى جوارى وأخذنا نعمل. عاد هاتز وجلس إلى مكتبه  
 معطيا ظهره لنا. قبلت يدها مرة. وخدها مرة أخرى. وهي صامتة  
 تبسم أحيانا ابتسامة طفولية.

نزل هاتز ليتلفن. تناولت زويا سكينا وقطعت نقاحة إلى  
 نصفين متساويين وصنعت حفرة في وسطهما وضعت فيها حبة  
 كريز بري حمراء ثم أطبقت النصفين. سألتها لمن؟ قالت: لأي

أحد. قلت لها: زويا؟ نظرت إلىّ وضحكت في خجل. احتضنتها فأمرعت تأخذ تقاحة أخرى وثبتت فيها أربعة عيدان كبريت ثم حبتي كرز مكان العينين. وصنعت حفرة في قمتها وضعت فيها زهرة حمراء مثل اللقبة وثبتت بندقية صغيرة بصورة عمودية مكان الأنف. عاد هاتز فقلت لها: المكان الملائم لها على للتومبوشكة (الكومبينو) للمجاورة لفرشه. حرك رأسه معترضاً. أضافت إليها عشباً أخضر فوق العينين كحاجبين ووضعتها على حافة النافذة. غادر هاتز الغرفة فأضافت رأساً عودي تقاب وسط العينين وأمالت رأسيهما في اتجاه فراش هاتز. قلت لها: هناك تعبير من للتومبل. ضحكت في خجل وأسرعت تدير أحد العودين في اتجاه فراشي. احتضنتها ولققتين وهي تكخن ووضعت خدي لصق خدها. أغمضت عينيها ولم تتحرك. عندما بدأت أقبلها لم تقاوم. لكنها لم تتحمس. سمعت صوت أقدام في الكوريدور وشعرت أنها تفكر مثلي في أن هاتز قادم. دخل هاتز فجأة فأنفصلنا وانهمكت في إعداد الشاي. سأله إذا كان قد لاحظ أي تغيير على التقاحة. قالت إنه دورك (عبط) ولن يلحظ. أخذ وأصر أنه لاحظ. قلت له: العيون موجهة إليك. جلس ودلر بينهما حديث طويل. مدت يدها إلى ورقة من صحيفة برفاد. قصت عنواناً رئيسياً عن شيء ما "يساعد للموهبة". وطلبت من هاتز أن يدير رأسه ثم ألصقت القصاصة على الجدار إلى جوار سريره. أعلنت: أنا ذاهبة. ماتي بعد ثلاثة أيام للدرس. قبلتني في خدي ثم انحنت عليه فقبلها في خدها. قالت: يا للعظمة

يقبلني وهو جالس. سألتها إن كانت تحتاج إلى مرافقة. قالت وهي تتناول بقية للزهور: لا. سأصعد إلى البنات أولاً ثم أذهب إلى منزل أمي.

## 69

قال ميخا: عندي ثلاث فتيات وعليكما المكان والأكل والشراب. كان قصيرا مثلنا بشكل أنثوي، ذا فم رقيق وعينين ضيقتين مسحوبتين. ذهبنا إلى شقة عبد الحكيم الذي سافر إلى زوجته في أوكرانيا. مضى ميخا ليقابل الفتيات عند محطة المترو المجاورة. عاد بعد نصف ساعة وحيدا. قال: لم تأت الفتيات. نطلع إليه هلقز في استعلاء وقال: إنن تصرف. قال ميخا: كيف؟ قال هلقز: هذا شأنك. تبدا لنظرات عميقة. شعرت بأن هناك حوارا ما يجري بينهما. كان هناك ما يشبه للتحدي في نظرات هلقز. نهض ميخا وغادر المسكن. عاد بعد ربع ساعة في رفقة فتاتين. همس لي هلقز: من بنت الشوارع. إحداها كالمومس بصوت أجش ولصباغ كثيرة ورداء من الجلد الصناعي الأسود اللامع، يبيع حمراء فوق يدها. تسحب أنفاسها بعمق كأنها مصابة بالزكام. الأخرى صغيرة وعادية تدعى لانا. شربنا وألقي ميخا عدة نكات جنسية وهو يمثلها بحركات بنية. قالت الأولى إنها تريد أن تشتري



لها مظلة بابانية من النوع صغير الحجم. لاحظت أنها مهتمة به هتقز. قالت لانا إنها تريد أن تغسل رأسها. تساءلت عما إذا كانت هناك كريات للشفعر. بحثنا عنها في أنحاء المسكن. وجدنا بعضها فوق خزانة معدنية. تلفن هتقز ل نقاتشا ثم خرج ليحضرها. تحممت لانا طويلا. جلست في الصلاة أدخن وشعرت بالرغبة في الاستسلام للنعاس. قمت إلى المطبخ و مررت من أمام غرفة النوم فلمحت ميخا يرقص ببطء مع الفتاة الأخرى. وسمعتها تقول بصوتها الأجش: لا أريد. لا أريد. وعندما رأياني افتعلا الانسجام وتمايلا طربا مع الموسيقى في صمت حتى ابتعدت فعودا النقرار. ثم خرجا إلى الصلاة.

جاء هتقز بـ نقاتشا ودخل بها غرفة النوم فأغلقت للشمطاء الباب عليهما في سخط. ثم غادرت المسكن مع ميخا. خرجت لانا من الحمام لاقة شعرها وخلعت ملابسها. قالت: أريد أن أنام. استلقيت بجوارها على الأريكة وقبلتها ثم رقدت فوقها. تحسست ساقها ووجدت جلدها سميكاً وخشنا ويغطيه للشعر. طلبت منها أن تخرج الكيلوت. قالت إن عندها الدورة. لم أصدقها. قلت: لا يهم. مددت يدي فلمست قطننا. خلعت الكيلوت ووضعته تحت رأسها ونسلت إلى أنفي رائحة الدماء. فقدت الرغبة واستسلمت للنوم.

في الصباح وجدت آثار دماء على الأريكة. طلبت مني قطنة و صليون قاتلة: لا تخف فالدماء طازجة. أعطيتي رقم تليفونها. لاحظت أنها تكلمني ببطء متعمد كي أفهم. كما لو كانت لها خبرة

---

بالحديث إلى الأجانب. تناولنا الإفطار ورفضت أن تشرب القهوة لأن الطبيب حظر عليها الأشياء الساخنة. استعدت للخروج وقالت: لن توصلني. قلت: المسافة بسيطة حتى محطة المترو. قالت بضجر: لا، لا. خرجت.

ولج هتزر الصلاة بعد قليل. قال إن ناثاشا انصرفت مبكرة. وقال إنها قاومت حتى الساعة صباحا ثم استسلمت، لكنه لم يستمتع معها. أضاف أنه في أغلب الأحوال يكون سكرانا عندما ينام مع فتاة ولا يعني ما يحدث بينهما ولا حتى إذا كان قد حدث شيء. ذهبنا إلى الأبشجيتي ونمنا بضع ساعات. بعد الغروب جاء ميخا سكرانا. قال وهو ينفق في ملامح وجهينا: غاضبان مني؟ لم نجب. قال إنه يخشى أن يكون قد انتقلت إليه عدوى ما من البنت، فقد كانت تهرش طوال الوقت في فخذها وظهرها، عندي واحدة أخرى أجمل. قال إنه فقد ولديه في الثانية من عمره ونشأ في ملجأ للأيتام، وكانت الحياة قاسية، وإنه ملحد، لأنه لو كان هناك رب ما سمح بذلك. استفسر عن أصحاب الشقة وهل يحتاجون على شراء شيء أجنبي. طلب أن نبحث له عن بنطلون من الجينز.

كنت أغسل ملابسى في المغسل وعندما عدت إلى الغرفة وجدت زويا جالسة على فراش هاتز في ملابس خروج شتوية ممسكة بكراسة. سألتها بلا تمهيد: لماذا لم تأت كما وعدت؟ قالت: اختي عادت ويومها ألقيت تقريراً في المعهد استمر ٤ ساعات عن رحلة الهراكتكا (التدريب العملي) ولأثنا على جدا، وكنت قد كتبت جزءاً منه ثم أكملته شفاهة. توقفت لحظة ثم قالت: أنا مكرانة قليلاً. أضافت: اليوم صباحاً جاء الطبيب إلى منزل أمي في زيارة دورية لي، حدق في عيني وأمرني بالمسير بضع خطوات أمامه ثم قال إنني يجب أن أدخل للمستشفى مرة أخرى، قلت له إن لدى امتحانات خلال شهر، وعند خروجه عرضت على الجارة أن نشرب فودكا سوياً. وقالت إنها لم تأت للدراسة وإنما لتتلفن وستأتي في يوم آخر.

الصفحت خدي بخدها. فأغمضت عينيها. لمست فمها بفمي وكان جافاً. حكمت طويلاً عن ابنة أختها وتفاعاتها. قالت: لليوم تمر ثلاث سنوات على زواجي، ألا تكفي؟ قلت: أظن أنك ستتركيها. قالت: وأنا أيضاً. قالت سأذهب. وقفت. قلت لها: دازفيداتيا. ظلت ولقة فاحضنتها. انفصلت عني وخرجت.

وصل لطفي من مصر. طالب دكتوراة، ممثلي الجسم على وجهه علامات استياء دائمة. أعطوه حجرة بمفرده في الطابق الأول. قال لي عندما عرف أنني أسكن مع طالب آخر وقبل ذلك مع ثلاثة: لا بد أن تدخل على السوفييت بمطالب كثيرة وعندئذ يعطونك ما تريده بالضبط. سألته عن الأوضاع في مصر. قال: زي الزفت. الشباب مهتم بشيء واحد هو الكارتيه، والجميع يعانون الغلاء والقوضى والتكالب على المال، هناك اقتراح أمام مجلس الشعب بتحويل شركات القطاع العام إلى شركات مساهمة ومعني ذلك لنتهاء كل شيء، عندما أعود في النهاية إلى مصر سأشكل شركة فالقطاع الخاص يعمل الآن. قال إن المستشار الثقافي الجديد للسفارة المصرية لشترى سيارة فولفو من فنلندا، وكان عضوا في التنظيم السري الطلابي للاتحاد الاشتراكي الذي شكله عبد الناصر في السنوات الأخيرة من حياته ثم صار من أنصار المبادئ وجاءوا به إلى موسكو ليقوم بالسيطرة على الطلاب للمبعوثين.

أقرضني كتاب "عودة الوعي" - توفيق الحكيم. وضعت خطوطا تحت بعض العبارات: "لكنه (عبد الناصر) غمرنا في سحر أو حلم. ربما كان سحره الخاص كما يقولون وربما كان الحلم الذي جعلنا نعيش فيه بتلك الأمان والوعود. بل تلك الصور الرائعة لإنجازات الثورة التي حققها لنا وجعلتنا أجهزة الدعاية الواسعة

بطبلها وزمرها وأنشيدتها وأغانيها وفلامها نرى أنفسنا دولة  
صناعية كبرى ورائدة العالم في الإصلاح الزراعي وأقوى قوة  
ضاربة في الشرق الأوسط.

## 72

أعددت بطاطس مسلوقة ولحما باردا وسلطة من غير  
طماطم. وأشعلت المدفأة للكهربائية ومصباح المكتب. أطفأت نور  
الحجرة. وعندما وضعت زجاجة فودكا على المائدة ومعها ماء  
الفلفل للمخلل دبت الحياة في زويا. أشارت إلى حديثنا السابق  
وقالت إنها ستبقي دائما مع زوجها لأنها مدينة له، وإن الجنس معه  
عادي، أحيانا تستمتع جدا، وإذا لم تصل إلى الذروة فهذا شيء غير  
مهم. نظرت إلى هانز وقالت: لو كنت طلبت مني الزواج، كنت  
سأرفض بالتأكيد، وجود زوجي يجعل هناك خط للحياة لأنني  
ضعيفة جدا. قالت إنها لا تعارض في أن تنام مع من يعجبها، وإنها  
كملت هانز إلى زوجها كي تستطيع للتحدث عنه بحرية. قلت:  
الخيانة الزوجية قد تكون أرقى أشكال الحب وأكثرها براءة، فهي  
جنس بحث بدافع المتعة دون أن تكون هناك - في أغلب الأحيان -  
أهداف اقتصادية.

انضمت إلينا تاليا. قالت زويا: نحن في جلسة مصارحة.  
قالت تاليا بعد أن شربت كأسين إنها باردة جنسيا بشكل عام، لم

نعرف للنشوة إلا منذ ٤ سنوات، تقوم من حب لتقع في حب آخر،  
نحلم دائما أنها نائمة مع فتيات أخريات، علاقتها متحفظة بأمها،  
جنتها هي التي ربتها.

لشار هاتز إلى الفودكا والمنفاة للكهربائية وزويا والحجرة  
المرتبة ومصباح المكتب وقال: لن نحصل أبدا بعد الآن على مثل  
هذه اللحظة وسننكرها دائما.

صعدت تاليا إلى غرفتها. وعرض هاتز على زويا أن تبقى  
حتى الصباح قائلا: لدينا حجرة أخرى خالية في نفس الطابق. قالت  
إن أمها تنتظرها ولا بد أن تعود لتعطي انطبعا بأنها لم تقض الليلة  
في الخارج. لكنها لم تغادر الغرفة. استعدت للنوم والتفت جيدا  
بالغطاء. كنت ضيقا برائحة دخان السجائر وأصوات الحديث. بين  
النوم واليقظة شعرت به يأخذها خلف الخزانة الخشبية وساد  
السكون. سمعت صوت فتح مصراع الخزانة. هل يأخذ مفتاح  
الحجرة الأخرى التي سافر أصحابها وتركوه لدينا؟ نمت. استيقظت  
على صوت غلق الباب. المنفاة مشتعلة. استيقظت مرة أخرى.  
ضوء الفجر. دار مقبض الباب ودخل هاتز. سمعته كما لو كان  
يعبد المفتاح إلى الخزانة.

تلفن هاتز لـ جاليا. قالت إنها لا تستطيع المجيء وإن ناقشنا عندها. دعنا للذهاب إليها. أخذنا تاكسي. كان الثلج قد تساقط لأول مرة. جلسنا في صالة صغيرة حول مائدة عامرة بزجاجات الشمبانيا وبطيخ وعنب وكمنثرى. شاب في ربطة عنق عريضة وسترة ضيقة الأكثاف وقميص أحمر. فتاة ذات ملامح آسيوية تدعى ملشا وشاب يوغوسلافي في جينز. شاب آخر قدم نفسه على أنه يهودي أجنبي. سمعت اليوغوسلافي يقول إنه لا يحب موسيقى البيتلز ويفضل عليها جيمس برون. قلت إنني لا أعرفه. قالت نقلشنا: أنا أعرفه. كانت قد تجاهلت هاتز. تتابع رنين التليفون وسمعناها تسرد أسعار بعض الملابس الأجنبية. بدا كما لو أنها تتوسط في بيعها أو شرائها. قالت عندما رلتني أحقق فيها: لماذا لا يوجد بيننا من يرتدي بزة سوفيتية أو قميصا سوفيتيا؟ لأن كل موضة جديدة لابد أن تمر على عشرة مستويات مختلفة الأمر الذي يستغرق خمس سنوات حتى يتم اعتمادها، أيام خروشوف كانت الشرطة تقبض على من يرتدي للجينز. استفسرت جاليا عن أخبار عثمان وعما إذا كان قد أرسل لها شيئا. وضعت ملشا رأسها على بطن اليوغوسلافي اللواقف إلى جوارها ولفت ساعدها حول خصره وأغمضت عينيها. جلس قائلا: لنمارس الأونتايزم (الاستمنا). لفتت إلى هاتز وتحسس وجهه معلنا: لمنا في حاجة إلى نساء. نخل شاب يترنح من السكر. قالوا إنه يوريس الرسام. قال وهو يتناول كأسا من الشمبانيا: ليس عندي أمل في أن أكون فنانا جيدا، بس ألامي سوى أن أرسم ما ترضى عنه الأجهزة للرسمية، في

فيلم جورزيني (جيورجي) يسأل واحد زميلا له: كيف تعيش إذن؟  
ليس هناك ما يمكن سرقته في مصنعك سوى الهواء المضغوط.

انفجر باب حجرة مغلقة في عنف عن شاب عاري الصدر.  
قال إن الضجة التي نحدثها تحرمه من النوم. وإنه سيذهب للشرطة  
إن لم نكف أو ننصرف. قالت جاليا إنه أحد جيرانها في الشقة،  
وإننا يحسن أن ننصرف. احتضن الليوغوسلافي هاتز وقبله قائلا:  
اذهب معي، نم معي الليلة. تخلص منه هاتز. رفضت ناتاشا أن  
تأتي معنا. أخذنا تاكسي إلى الأبنسجيتي. سألني هاتز في الطريق:  
ما الذي يجعل للرجل هكذا؟ قلت: ماذا تقصد؟ قال: أن يكون مثليا  
جنسيا. قلت: عوامل كثيرة، تجارب للطفولة، التكوين الهرموني  
للجسم، وأشياء أخرى. بمجرد صعوبتنا لفرغ معدته في المفضل  
وهو يغمغم ساخطا: ليست حتى جميلة، لا تساوي شيئا ولن أعبا  
بها. أدركت أنه يقصد ناتاشا.

## 74

فتحت باب الغرفة لأتبين سبب الضجة في الكوريدور. اتضح  
أن بلمارد الجزائرّي أقام حفلة دعا إليها الطالبات اللجديدات. كان  
نقيب الحجم مليئا بالحيوية. لمحتة ذاهبا غاديا جالبا معه كل مرة  
بنتين أو ثلاثا. انضم إلى هاتز ووقفنا نتأمل الكوريدور الذي يخلو  
فجأة ثم يمتلئ بمن يستريحون من ضجة الرقص أو يتسمون



الهواء. خرجت فتاة ثملة وسارت حتى نهاية الكوريدور. ناداها أحد الطلبة فتوقفت. سألها: إلى أين؟ فمدت ساعديها يمينا ويسارا في حركة تمثيلية قاتلة: إلى التواليت! ظهرت صديقة البلغاري بوجهها الصغير الذي يشبه وجوه النمل ورددتها للقصير الذي يكشف عن ساقين ممثلتين وصدر صغير للغاية. تبعتها فتاة رائعة في بلوزة زرقاء ضيقة وبنتلون رمادي بوجه مستدير جميل وعينين عسليتين لامعتين وبشرة يجري فيها الدم بقوة وشعر أسود قصير ومشية متهلة فيها خيلاء من تشعر بسحرها. وكنت أراها دائما محاطة بالشبان. قلت لـ هلتز: أتحداك أن تحصل عليها. اقتربت منا فكلر الكازاخية بصدرها الرائع وشفتيها للحمراوين المبتلتين دائما. سمعنا تقول لزميلة لها وهي تشير إلى هلتز: هذا أجمل شاب هنا. طلبت منه أن يترجم لها نصا باللغة الألمانية. دعاها للدخول فرفضت. ووعدت بالعودة بعد عشر دقائق لكنها لم تأت. أحضر لنا بلمجد عدا من صحيفة الهيرالد تريبيون الأمريكية مشيرا إلى تطبيق في صدر الصفحة الأولى لمراسل للصحيفة في الشرق الأوسط. قال إن السادات يفكر في القيام بمغامرة انتحارية لإنقاذ نفسه ونظامه، وإن هناك مفاوضات للصلح بين العرب وإسرائيل لكن العرب يشترطون أن تتم عملية انتصار شكلية لإقناع شعوبهم بقبول الصلح.

ظهرت شمس قوية في النافذة. أُنعت هانز بالخروج. لم تكن هناك ضرورة للمعطف. الجو دافئ بلسعة برد خفيفة والهواء نقي. مضينا في الشمس. شمس. شمس. هدوء وروعة. خرجت موسكو كلها تستمتع بالشمس. سرنا بين الحدائق في الطريق إلى المعرض.

امام كشك تابع لحانوت كبير ابتمت فتاة لـ هانز. عرض عليها أن ترافقنا هي وزميلتها. طويلة ذات سيقان جميلة. قصيرة النظر قليلا. في إصبعها خاتم زواج. قالت بعد أن تكلمت مع صديقتها إن ليس لها اعتراض من ناحية المبدأ لكنها اليوم متواعدة مع زوجها. عرضت أن نلتقي بعد ظهر الغد. جاء الزوج بعد قليل. شاب ومسيم. ودعناهم وواصلنا السير.

أشرفنا علي غابة صفراء في الساعة الثانية. أوراق الأشجار صفراء أو في طريقها إلى الصفرة لكنها ليست ذابلة. تتخللها الشمس فتضيئها وتلتع. حولها حقول تجريبية احتفظت بخطوطها الدلكنة. جلسنا علي أريكة حديدية. بالقرب منا جلست امرأة تتأمل ساقها وركبتيها بإعجاب وقد عرضتها للشمس. تحدث هانز بصوت هادئ عن أفلام قلليني. قمنا وواصلنا السير. أشرفنا علي بحيرة صغيرة بها عدة قوارب وحولها زخارف أنيقة. قال إن لكل جمهورية ركنها خاصا بها في المعرض وهذا الركن لا بد خاص بإحدى جمهوريات البلطيق فهذه الأناقة لا تأتي إلا منهم.

ووصلنا السير وسط الهدوء الشامل وقد اختفت الموسيقى العسكرية. لاحظت بنا الأشجار بألوان تبدأ من الأحمر للقاني إلى الوردي والأصفر والأخضر. وفوق سطح البحيرة انتشرت عدة قوارب بطيئة الحركة في اتجاهات مختلفة. كان للمنظر كله سحر اللوحات القديمة التي استقرت في ذاكرتي من الطفولة والمراعاة عن أوروبا أو عن السعادة. السعادة القصيرة لنفائق. كل شيء هادئ وبيع ساكن جميل نظيف دافئ بلا زحام أو دخان ولا ضجة أو تراب ولا فوكا أو سجاير، ولا ثرثرة ولا برد أو حر ولا وسخة.

انضمت إلى طابور طويل أمام أسياخ كفتة مشوية فوق الفحم. وقف هاتز في طابور طويل آخر أمام كشك للبيرة. سمعت امرأة تستنكر بدائية العملية فقال لها رجل: هذا حال كل شيء في بلدنا. وقفت خلفي امرأة جميلة للوجه وثبت أناملها بعمل يدوي أو بالطهور. قال رفيقها إنه كان في أول مايو... قاطعته: مع من؟ قال: مع زملاء في العمل. سخرت منه ثم خبطته على صدره في رفق. وأفلتت منه عندما أُرِدا أن يحتضنها. ظل في الطابور بينما ابتعدت على مهل ثم جلست بعيدا على صندوق خشبي واشترى هو أسياخ الكفتة. ووقف يبحث عنها حتى رآها فمضى إليها ضاحكا. تابعت أسياخ الكفتة للنينة وهي تتناقص حتى انتهى آخر صندوق منها. عدت لأصابع الكفتة التي فوق النار وأنا أخشى أن تنتهي قبل وصولي لأمها. عشرون سيخا وأمامي ستة أشخاص. لوكل واحد

لخذ ثلاثة أسياخ أو أربعة ما تبقى لي شيء. أصبح أمامي أربعة أشخاص ثم واحد فقط. قال البائع في حسم ستة أسياخ. أعطاه أربعة ولم يتبق إلا اثنان وقعا من نصيبي. وتصاعدت من خلفي تعليقات الاستياء.

اشترى هاتز كوبين من البيرة. شربنا وأكلنا ونحن نتأمل فتاتين جورزينيتين. واحدة طويلة نحيفة جدا سمراء قبيحة والثانية قصيرة قمحية بالأنف الجورزيني المعقوف. تلفتتا كثيرا نحونا. قال هاتز: تعال نكلمهما. قلت: نلغور سوفيييتي، في الأغلب مستمع السمرء من نصيبي ولا أريدها، والأخرى تريدك، للجميل يبحث عن الجميل. عدنا إلى الكشك فابتعنا ست ملاعق خشبية ملونة. ثم اتجهنا إلى الأبشجيتي.

## 76

وقفت في طابور الفوكا والنبيذ واشترى هاتز كالباسا (لحم بارد) وجبن. وبالصفحة عثرت على طماطم وعنب وتفاح. اقتربت فتاة شقراء من هاتز وتحسست جسمه من أعلى إلى أسفل وهي تقول له إنه يعجبها. تابع للواقفون المشهد. قالت الشقراء: تعال معنا، نحن نقيم قريبا. وأشارت إلى فتاة بجوارها. قال: لا، تعالينا أنتما معي، معي صديق. وأشار نحوي.

لتجهنا جميعا إلى شقة عهد الحكيم. كانت للشقراء سكرانة  
جدا. ومعطفها غربي الصناعة من جلد الشمواء الأخضر، تحته  
ملابس متواضعة وقديمة. بداها غير معتنى بهما. الأخرى جسمها  
عريض والقميص ضيق عليها وصدرها صغير. ليست سكرانة مثل  
الشقراء. قالت إنها تعرف أن هاتز معجب بالشقراء. نأنته هذه باسم  
ملكس واحتضنته وقبلته. أخرجت الأخرى نظارة طبية ومفكرة  
وكتبت بضعة أسطر. سألتها إذا كانت تكتب شعرا. قالت: تحب أن  
تسمع قصيدة قصيرة؟ قلت: هائي. قالت: نعمت مع بروفيسور ثم  
نمت مع مخرج سينمائي ثم نعمت مع سائق ولم يكن هناك فارق لأن  
هذا وطن للسوفييت. حكى للشقراء عن صديق لها اسمه صصب  
وكيف كان يغني. سألتها عما تفعل في الحياة. قالت إنها في معهد  
المسرح. قالت صاحبة العوينات إنها تدرس الطب. غمز لي هاتز  
لنا نسمع أكاذيب. دق للتليفون. رد هاتز وسمعه يقول: دا، دا،  
تلفني عندما تخرجين. رددت للسكرانة إنها معجبة جدا بـ ملكس  
وقبلته. قالت لها صديقتها في حدة: اوقفي هذا، سأله هاتز: لماذا؟  
أي حق لك؟ قالت: لي حق، أسأله. قالت الأخرى: أجل، لكني  
أحبك. وقبلته. قالت صديقتها: سأذهب من هنا. قال هاتز للسكرانة:  
لبي. قالت: إنها تريدني أن أذهب معها. أمسكتها من زراعها  
وقالتنا نحو الباب قائلة كأنما تلاحف طفلا: سنأتي إلى هنا غدا،  
وسنجد، تعالي. غادرنا الشقة. تركت الشقراء خلفها زجاجة  
ليمونادة كانت في حقيبة يدها.

تلفنت لـ جاليا. نفنت نصيحة هاتز. قلت لها إن اليوم عيد ميلادي. وأريدها أن تأتي لاحتفل سويا. قالت إنها منهمكة في تنظيف الغرفة.. قلت: تلفنت لك يوم السبت ولم أجدك. قالت: كنت عند أختي. ثم سألت: متى تلفنت؟ قلت: الساعة الثالثة. قالت: كنت موجودة. قلت: تلفنت بعد ذلك. قالت: كنت موجودة وربما كنت خرجت لحظة، كلمني بعد نصف ساعة. الساعة 8.30 كلمتها. أعطيت هاتز ساعة الهاتفون. يبدو أنها سألتها عما إذا كان عهنا قد أرسل لها شيئا. ثم قالت إنها سمعت أنه تزوج. أنكر هاتز أنه يعرف شيئا عن ذلك. أعاد الساعة مكانها وقال إنها مستلفن بعد نصف ساعة. وإن لم تفعل نكلمها في التاسعة والنصف. كلمناها فقالت إن نلتاشا لم تأت حتى الآن، لكن إذا لم تظهر حتى العاشرة سنأتي بمفردها.

اتصلت بها الساعة 11. قالت إن نلتاشا جاءت. تلفنت بعد عشرين دقيقة فقالت إنهما ستأخذان تاكسي وتأتان على الفور. بعد عشر دقائق دق الباب وأسرعنا نفتح وإذا بها الفتاة ذات اللعوينات تسأل عن صديقتهما فقد اختفت. انصرفت فجلسنا في صمت وهاتز يقرأ. قمت أعد قهوة. جاءت جاليا الساعة 12. كانت في ماكياج ثقيل وقميص مشجر يخفي صدرها تماما وفوقه بلوفر كحلي خفيف. بنطلون أزرق بثنية عريضة. أناقاة وبساطة. هاتيتي بعيد ميلادي. قلت إني ولدت في هذه الدقيقة تماما. قالت لماذا لم تقل ذلك من قبل. أحضرت زجاجة الشمبانيا من الثلاجة. تأملت يدي جاليا وأصابعها الممتلئة الطرية التي تنتهي بتقوس ممثلي أسفل

ظفر طويل. تمنيت لو ألمس الجزء الأملس السفلي لإصبعها حتى  
ظفرها. شربنا نخبتي. قلت إنني نزلت من بطن أمي ماشيا ومضيت  
إلى آخر الحجرة ثم وقعت. اتسعت عيناها في دهشة طفولية..  
حككت ناتاشا عن زميلة لها كانت على علاقة بطالب يمني ثم سافر  
بلا عودة. قالت إنها أخذت منها بلوفر ثم أنكرت وأحضرته في  
حقيبة وأصرت نقلنا على فتح الحقيبة فوجده. وقالت إنها تتخبر  
عندما تنام ثم تقوم لتأكل قطعة نقاعة وتواصل النوم. وصفتها بأنها  
كسولة لا تغسل الأواني وتذهب بصعوبة إلى المعهد، وتأتي لها فتاة  
تقرأ لها الحظ، وتتردد على أطباء نفسيين وعصبيين.

الساعة الواحدة صباحا. قالت جاليا: يجب أن ننصرف.  
أوصلناهما بتاكسي إلى منزلهما.

## 77

تطلعت من النافذة إلى الألوان الطبيعية المتدرجة: أصفر ثم  
أصفر داكن ثم أخضر فاتح ثم أخضر داكن فأحمر ورمادي في  
الخلفية. تحولت لأمل أكلوم الصحف. مازلت أقرأ كل يوم صحف  
شهر كامل ثم أرتاح في اليوم التالي.

ارتديت ملابسني وخرجت. ركبت المترو إلى وسط المدينة.  
مشيت في هروسبكت ماركس المريض المتصل بشارع بيرجينسكي

من ناحية وبميدان سفرفلوف من الناحية الأخرى. مررت من أمام مبنى الك ج ب. لاحظت أن المارة يتهيبون للمرور أمامه فينتقلون إلى الرصيف الآخر. مضيت إلى ناصية شارع جوركي وميدان الثورة. فندق انتوريست ذو الواجهة الزجاجية الحديثة والقيحة. استقبلني وجدي بحرارة. صحفي مصري يكبرني بعشر سنوات. متين البنية أصلع للرأس. ملئ بالحيوية. كان يمت بصلة قرابة إلى أحد الوزراء وربما كان هذا هو السبب في تعيينه مراسلا صحفيا في شرق أوروبا. وربما كان السبب علاقته بأجهزة المخابرات المصرية. قمنني إلى المترجمة المكلفة بمرافقته. سمراء قصيرة ظننتها عربية ثم تبين أنها أرمنية تجيد لغتنا. تدعى لينا. خفيفة الظل ونكية. تفهم النكتة. أنصت الفتاة بانتباه وهو يقول إن السلاطات ينظم كتاب مسلحة للقضاء على الشيوعيين واليساريين في الجامعات وترفع شعار "العقيدة ولا سيناء" وتقصد به أن الدفاع عن العقيدة الإسلامية أهم من تحرير سيناء. كما شاع تغطية النساء لرؤوسهن وسبقانهن. تحدثت عن الإعدامات التي قام بها التميمري للشيوعيين في السودان وكيف عين أحد المشاركين في انقلابه وهو شيوعي منشق على الحزب، سفيراً في الصومال وهناك قاطعه بقية السفراء.

قالت بالعربية: لمش معنا إلى المتحف. اعتذرت بسبب موعد اللغة الإنجليزية مع زويا.



حضرت احتفال المبعوثين المصريين بذكرى وفاة عبد الناصر الثالثة. كانت هناك لوحة قديمة لورقة من صحيفة البرافدا تتعبه كبطل من أبطال الاتحاد السوفييتي وزعيم للتحرر الوطني في العالم. ألقى أحد الطلاب قصيدة عن عهد الناصر استقبلها البعض بفتور. قال المستشار الثقافي إن الاتفاقية الثقافية بين البلدين أغت للطلبة المصريين من دراسة تاريخ الاتحاد السوفييتي والفلسفة المادية والاقتصاد السياسي والشريعة العلمية. صفق المبعوثون. اعترف بأن نظام التعليم السوفييتي من أحسن نظم التعليم في العالم. فبعد عشر سنوات من دخول للتلميذ المدرسة يحصل على الثانوية العامة فليست هناك مرحلة ابتدائية وأخرى إعدادية، ولا يوجد تخصص علمي وأدبي أو رياضة أو ثانوي زراعي أو صناعي و تجاري لكن الجميع يحصلون على شهادة واحدة كما أنه لا توجد دروس خصوصية. حذر الطلاب من أن زملاءهم للروس يكتبون تقاريراً عن سلوكيات وأخلاقيات وولتماءات كل أجنبي ترفع إلى أجهزة المخابرات.

دار الحديث عن السلع الرخيصة التي يجب العودة بها إلى مصر: المعدات الكهربائية من مكائن وماكينات خياطة وخلاطات. قال المستشار إن أرخص شيء هو للطعام واسطوانات الموسيقى والسكن.

"عزيزي هاتر أنا موجود عند لطفي. قامت الحرب مع إسرائيل اليوم ٦ أكتوبر ظهرا". علقت هذه الورقة على باب الغرفة ونزلت إلى لطفي. وجدت نعيمة زوجته منحنية على جهاز راديو روسي للصنع في حجم حقيبة السفر. قالت إن هناك أنباء غير واضحة وإن جميع الطلبة العرب اللذين قابلتهم يعتقدون أن إسرائيل ضربتنا.

صعدت إلى الغرفة فوجدت ورقة من زويا عليها رسم فتاة وتحتها كلمة: تحياتي. نزلت مرة ثانية إلى غرفة لطفي. إذاعة القاهرة تنبئ مارشات عسكرية. محطة عربية لم نتبين مصدرها تقول إن مصر هي التي بدأت القتال. أحسنا بالذ هول والخوف من تكرار مأساة 67. تذكرت أغاني ذلك الوقت: 'يابو خالد يا حبيب، بكرة ندخل تل أبيب'، وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ. كيف يمكن أن نكون نحن للبادئين بالهجوم؟. بحثنا عن راديو "الحرية" الأمريكي بين 14 و16 على الموجة المتوسطة. لم نتمكن من سماع شيء بسبب التشويش المستمر عليه. ثم التقطنا البيان العسكري الذي أعلن نجاح عبور القناة في الساعة الثانية ظهرا. سقط خط بارليف الذي تكلف 228 مليون دولارا. كان صوت المذيع رصينا هائلا على عكس بيانات 67 الهستيرية. قال لطفي: شهر رمضان كريم. قالت زوجته: إحنا جدعان. قال حصونة للنوبي: للرجل عملها، مصر تحارب نون معونة سوفيتية، وبقيادة الرئيس المؤمن

---

للمعادي للإلحاد. انضم إلينا حميد. كان قلقا على دمشق التي تعرضت للقصف. لكن القوات السورية صدت الهجوم الإسرائيلي ونجحت في تحرير بعض المواقع ومنها جبل الشيخ.

## 80

جاءت زويا إلى الحجرة بعد الغروب. تجاهلها هاتز واستغرق في أوراقه. عاتبنتي: أنت تتكلم كثيرا. قبلتها فاحتضنتني في تردد. قالت إنها تشعر نحوي بكثير من الود. قبلتها ومصصت لسنانها. شربنا نخب نجاح عملية التحرير وقالت: سلاحنا في أيديكم للقوية ينجح. لم تمكث طويلا.

عرضت على هاتز أن ينزل معي إلى غرفة لطفي. امتنع قائلا إن علاقته بالطلبة العرب أثارت نقولات ضده. حكى إنه في عامه الدراسي الأول كان يتناول الإفطار مع طالب عراقي وزوجته كل يوم، وكان هناك طالب سوري مغرم بالعراقي ويجلس دائما عند قدميه، فتشاجرا معا وانضم السوريون إلى مواطنهم. أبيت لسفي. قال: للروس أيضا لا يحبونني فأنا أنكرهم بالجرائم التي ارتكبتها النازي في بلادهم.

اليوم الثالث للقتال: تقدمت القوات المصرية داخل سيناء. أعلن المتحدث العسكري المصري أن خسائر إسرائيل في 3 أيام بلغت 80 طائرة و128 دبابة.

اليوم السادس: مرسل اليوناني تدمرس: معارك برية وجوية عنيفة، إسرائيل أخطأت في تقدير خطر للصواريخ السوفيتية، أمريكا تبدأ في شحن طائراتها بالصواريخ لإرسالها إلى إسرائيل التي حصلت بالفعل على 48 طائرة فقتوم جديدة، مر 150 طيارا أمريكيا بمطار مدريد في طريقهم لـ إسرائيل.

اليوم الحادي عشر: أعلن الاتحاد السوفيتي لأول مرة أنه يمد مصر وسوريا بالأسلحة والمعدات لمساعدتهما على تحرير أراضييهما. أصبح الطلاب العرب خبراء في التحليل العسكري. إذا تنجم الإسرائيليون فهو تراجع تكتيكي من السوريين ليقوموا بحركة اللتفاف من الناحية الأخرى. قلت لـ حميد: الأمر ليس أكثر من مغامرة، فالأنظمة العربية لا يمكن أن تحقق شيئا غير الهزيمة.

أخذت زويا في الخامسة إلى فندق انتوريس. كان وجدي قد أعطاني مفتاح حجرته ووافق أن يتغيب ساعة. ليس هناك روح في جليستنا. قالت إن هاتز ملها. سألت إذا كان هناك نبيذ. قلت: لا أريدك مكرانة. قالت: أنت تريد الرأس وهذا صعب. محاولات باردة للتقبل. قلت لها إنني أردت أن أذهب بها إلى شقة، وأمامنا الآن ساعة. فمت إلى الحمام وعند عودتي لمحتها تبتلع شيئاً بسرعة. دواء لمنع الحمل؟ أو لرفع الروح المعنوية؟ تمددنا على الفراش. دق التلفون. لم أرفع السماعة. حاولت إقناعها بخلع ملابسها دون جدوى. دق وجدي الباب. طلبت منه أن يعطيني بعض الوقت فأنصرف. دق التلفون من جديد. قررنا الانصراف. أوصلتها إلى منزل أمها على أن نذهب في الغد إلى شقة عبد الحكيم لدرس اللغة الإنجليزية.

التقينا صباحاً بالمعهد. غادرناه سويا ومشينا في صمت. أعطيتها رقم تلفون عبد الحكيم واتفقنا أن نتلف في الساعة الرابعة. اشترت معجون أسنان.

جاءت في الخامسة. تبذل محاولة لاصطناع المرح. قالت: نشرب قهوة ونعمل. وبسطت أوراق اللغة الإنجليزية. فجأة جاء

عهد الحكيم وقال إنه يريد الشقة. شعرت بالارتياح. غادرنا المسكن إلى الأبنسيين. في الباص جلسنا متجاورين في صمت. كانت حزينه. هل تقارن شعورها نحوي بشعورها نحو هاتز؟ كان باب غرفة لطفي مفتوحا وقد تجمع عنده عدد من الطلبة العرب يسمعون الأخبار. انضممت إليهم وصعنت هي إلى طابق البنات.

## 84

ذهبت مع وجدي ولينا إلى باليه بجافيني. لم أجد بطاقة لي. لفتنعهما بالدخول ووقفت في الخارج انتظر فرصة لشراء بطاقة. قال البواب العجوز في اعتزاز وهو يطلق باب للمعرج: ليست هناك سوق سوداء لبطاقات البيلشوي. انصرفت.

جلست في الباص أمام امرأة تضم كلبا إلى صدرها. وجهها متورد مستدير بارز عضام الوجنتين بشكل واضح. فم كبير وعينان زرقاوان. الشعر في حلقات مهوشة تحيط بوجهها. تأخذ ملامح وجهها صورة الطفل المدلل فتد بوزها إلى الأمام. للكلب صغير الرلس جدا. يتطلع في كل اتجاه في نكاء. معها شخص خجول بعض الشيء. وضعت رأسها على كتفه وقالت إنها متعبة.

في الصباح كانت طبقة بيضاء تغطي أطراف النوافذ. وشذرات الثلج تتطاير بكثافة. اختفى الوحل أسفلها وتلاشى للون الرمادي. أصبحت المدينة للعابسة القاتمة فاتنة للبياض. واستولى الفرح على أهلها. الجميع يبتسمون، يركضون في الشوارع، يمدون أيديهم ليتلقفوا السبايخ المخملية ضاحكين. وجرى تشغيل غلايات الماء الساخن في الأبشجيتي وبالتالي للتدفئة. سافر وجدي بعد منتصف الليل. أوصلناه أنا ولينا إلى المطار في سيارة رسمية. مر طاقم الطائرة المصري بحقائب ممتلئة. توقف أحد أفرادهم أمام كشك الأدوية واشترى 30 علبة فيتامين فيبيرلوكس. أبدت البائعة دهشتها من العدد فقال إنه سيعطيها إلى أصدقائه ومعارفه. اشترت علبة. عند العودة في للطرق الخالية مررنا بمتحف الثورة. ظهر فجأة موكب غريب صامت من نساء غطين رؤوسهن بالشيلان وسرن في صفوف من أربعة أو خمسة تحت الثلج المتساقط في اتجاه الميدان الأحمر. قال للسائق إنهن ذاهبات إلى الجوم ليقتن في طوابير الشراء حين يفتح في الثامنة. عقب بعد فترة أن هناك قسما خلاصا في حانوت البقالة في ميدان سمولينسك يخدم الناس المهمين والنجوم فيبيع لهم اللحوم والكافيار والكونياك والسمويس بالتلفون، بينما يقف العاديون في الطوابير ساعات. تجنبت لينا التعليق. قالت بعد لحظة إن الأحذية الشتوية تباع بـ 180 روبل. أضافت إن عيد ميلادها يحل في الشهر القادم. قلت: هل أنا مدعو لأكل للضلمة؟

قالت: فقط؟ ظننت لئلا تني. قالت إنها كانت تريد أن تصبح مروضة  
أسود. داعبتها: واستبدلت الأسود بالرجال؟ قالت إنها رفضت  
للزواج عدة مرات. فكرت أن الحياة مع واحدة كهذه تكون مشوقة.  
تعجبنى عيناها عندما تتبسم وتظهر فيهما شقاوة وعبث ونكاء  
ومرح. أخذت رقم تليفونها. غادرتني بالقرب من الحي الدبلوماسي.  
داهمني إحساس بأنها تعيش مع رجل عربي.

التقيت في مدخل الأبنشجيتي بـ لطفي يخن. قال إن هناك  
أبناء غامضة عن تملال إسرائيلي عبر للقناة.

## 86

نظمت تاليا سهرة راقصة في غرفتها. بلماجد نجم السهرة.  
رقص مع طاجيكية وسط الحلقة باذلا مجهودا خارقا وهو مستمتع  
بتصفيق الجميع لهما. ثم رقص مع صديقه، سمراء خمريّة ذات  
عينين عسليتين جميلتين وشفتين ممثنتين. دخل طالب روسي برفقة  
فتاة طويلة في ميني جوب وساقين متناسقتين وصدر متوسط الحجم  
في بلوزة سوداء بنصف كم. اشتركت معه في رقصة بطيئة.  
أسندت رأسها إلى كتفه وهي تتأمل حولها في فتور. جلست بجواره  
حتى حانت للرقصة التالية. ظهر فجاء بلماجد أمامها طالبا لياها  
للرقص في اللحظة التي مد الروسي يده ليرقص معها. امتنع



الروسي وتهال وجه الفتاة. رقصت مع بلماجد وبادلته الحديث في  
مرح. والروسي يرقبهما في وجوم.

انضمت إلينا أنستاسيا. طويلة ضخمة ذات وجه أسمر  
عريض جذاب وابتسامة خجولة. كانت متأنقة وقد صفت شعرها  
الغزير. سألتني عن هاتز. جاء مجلسي بجوار أتلر الكازاخية.  
سألتني هي الأخرى عن هاتز وإذا كان سيأتي. سألتها بدوري: هل  
مستنظريه؟ قالت سأفعل. تأملت فتحة صدرها ووجهها للذهبي  
وشفتيها القرمزيين وعينيها الضيقتين. أدلروا موسيقى كازاخية  
ملينة بالحيوية. قالت: لا أريد الرقص لأنها موسيقي ومثلتها، أشعر  
بنفسي عجوز، لم يعد هناك ما أريد فعله. سألتها عن عمرها. قالت:  
21 سنة. انفجرت ضاحكا. رقصت معها مرة. تحاول أن تمني  
بالتقة في لني راقص جيد واستسلمت بدوري للإيقاع في حماس.  
تركتني ودعت شابا أشعث الشعر يجيد للرقص.

كل ربع ساعة تظهر شقراء الكورييدور للمترنحة التي سبق  
أن أعلنت ذهابها إلى التواليت. تدخل مندفعة وتتطلع حولها  
بعينين زائعتين من السكر ثم ترتمي في أحضان واحد وترقص  
معه. ثم يختفيان بعض الوقت ويعودان وهو يتطلع حوله بابتسامة  
المنتصر.

جاء ميخا إلى حجرتنا وشعر إننا نستقبله ببرود فمضي  
 أحضر طالبة تشيكية تدعى سفيتلانا زاعما لها إنها حجرته وإننا  
 نريد التعرف عليها. كانت طويلة للغاية نحيفة ذات وجه ملائكي  
 وشعر أشقر. قدرت عمرها بالعشرين. دبت فينا للحيوية. احتكر هو  
 الحديث طويلا، محدثا ضجة، مستخدما كل ما في جعبته من  
 معلومات شخصية مبالغ فيها عن الطلاب والأساتذة. قال لها إنني  
 من بلد عمر الشريف قلت: كنت أظنه لبنانيا كما ذكر لي أحد  
 اللبنانيين. خرج ميخا عندما طلبنا منه للصمت، صنعنا قهوة ثم  
 فتحنا زجاجة فيرموت احتسبناها في استمتاع ونحن نتكلم في هدوء.  
 قالت إنه منذ للتدخل السوفييتي لم يعد هناك أحب أو فن في  
 تشيكوسلوفاكيا. حكيت لها عن المرة التي زرت فيها براغ وكيف  
 خرجت بنطباع مقبض. سألت عن وضع المرأة عندنا. شكت من  
 أنها لم تتعود على الاتحاد السوفييتي بسرعة. الطعام وطريقة  
 التعامل وغياب الأناقة في الخدمة. أعدنا طعاما وفتحنا زجاجة  
 فونكا شربناها مع مياه للطفل الأخضر المخلل. دخلت تاليا ترقص  
 قائلة إن حبيبها الجديد سيأتي إليها الآن. طلبت مني أن أدعوه  
 فخرجت ونزلت إلى الطابق الأرضي. لم أعر على الحبيب  
 المزعوم. تلفت لـ عبد الحكيم متسائلا عن الأخبار. قال إنه الآن  
 في حالة عصبية خوفا من أن توافق مصر على وقف للقتال. لم أجد  
 سفيتلانا عند عروتي.

قرر وزراء البترول العرب خفض الإنتاج فوراً بعد أننى  
5 بالمائة ترداد بنسبة مماثلة كل شهر إلى أن تجلو إسرائيل  
عن الأراضي التي احتلتها سنة 67. ارتفعت أسعار البترول  
العالمية.

ساد الوجود مع إعلان السادات وقف إطلاق النار بين مصر  
وإسرائيل بعد 17 يوما من القتال الشرس. ضاع وهج الانتصار.  
دارت مناقشات حامية في غرفة لطفي عن معنى الأمر. البعض  
اعتبر ذلك نصرا لـ إسرائيل ومظهرا للتواطؤ بين السادات  
والغرب.

عاد هاتز في العاشرة والنصف. قال إنه كان عند أنستاسيا.  
قالت له إنها تنتظره منذ عامين.

ولنا خارج من درس للغة الروسية لقيت سفيتلانا في مبني  
جوب كشف عن ساقين راقعتين. ثرثرت معها قليلا مطريا ساقها.  
لبست في خجل. رافقتها إلى صالة الطعام. عدت إلى الأبخجوتي  
في طريق غطاء الثلج. بعد الظهر استقبل هاتز فتاة أنريجانبة

سمينة. متوسطة الجمال. أبوها كاتب معروف. خجولة بارتباك  
المذاري. لا تدخن ولا تشرب الكحول. حين قنمنا لها سيجارة  
أخذتها مترددة وهي تقول: أخشى أن يراني أحد الأذربيجانيين.  
سألها هلز عن الحياة الجنسية لأبيها فأصيبت بالذعر. استكرت أن  
يكون لأبيها حياة عاطفية بعيدا عن أمها. ثم قالت إنه ليس لديه  
لوقت لذلك. دار الحديث حول أنرييجان والتقاليد الرجعية التي  
يتمسك بها أهلها. قالت بدون مناسبة إنها تنتظر الحب الكبير العظيم  
الذي يهزها هزا. وإن أمها تبكي وتقول لا بد لها من الزواج هذا  
العام. بدأت ترسمنا. رسمت لي بورتريه بوجه حزين. رسمت هلز  
باسما منتعشا. وكتبت له على الصورة إنها تتمنى أن يبقى كما هو.  
ثم قالت: كنت أتمنى أن أرسك منذ أربع سنوات عندما كنت بغير  
شارب، لكنك كنت أكبر مني بأربع صفوف، وعلى أية حال  
الأفضل أن يتم الأمر متأخرا على ألا يتم على الإطلاق.

## 90

عاد شريف من سوريا. قال إن الجماهير تلبت في الشوارع  
إسقاط الطائرات الإسرائيلية بالصواريخ الموقوتية. وإن العمال  
والموظفين يعانون الآن موجة من الغلاء الشديد بينما يعيش التجار  
لرؤع أيامهم ويكسبون ذهابا. ترك لنا مفتاح غرفته لأنه سيقم عند

---

صديقته الروسية. حكى بطريقته المرححة كيف أراد أن ينام مع فتاة  
آسيوية. قال: لزاحتني عنها وسألتني إذا كنت سأتزوجها. كنت  
هائجا فكررت وأنا أخلع ملابسني: سأتزوج. سأتزوج.

## 91

أقام المعهد حفلا موسيقيا بمناسبة عيد ثورة أكتوبر للذي  
يحتفلون به في 7 نوفمبر. كونشرتو ممل على البيان والكمان وعدد  
قليل من الطلبة. عازفة على الهارب في رداء أبيض كلاسيكي.  
بنت كمومياء بعثت من القبر بجسمها النحيف ووجهها المشاحب.  
عزفت ثلاث قطع استجابة للتصفيق. واختارت قطعة أخيرة اسمها  
'وداعا للحياة! شعرت كما لو كانت مستذهب وتتحرر على الفور.  
قرأت بهذه المناسبة كتاب الأمريكي جون ريد "الأيام العشرة التي  
هزت العالم" وهي أيام الثورة البلشفية. الفوضى الشاملة التي سادت  
روسيا بعد سقوط القيصرية: انتشار الأحزاب والمنظمات اليمينية،  
ليمان للبعض بعدم إمكانية الثورة الاشتراكية في روسيا، نظرية  
استحالة انتصار الاشتراكية في بلد واحد قبل أن تكون برويتاريا  
البلدان الرئيسية في أوروبا قد استولت على السلطة، وكيف حسم  
لينين الأمر بشعار "للسلام والأرض".

توقعت أن تكون الغرفة خالية. استعددت لإخراج المفتاح من جيبى وأنا أتسائل عن مكان هانز. ومن باب التحوط دفعت الباب بكتفي فانفتح. كان جالسا على حافة السرير ووجهه ناحية الباب ولما نه على مقعد لمحت ساقين عاريين لفناة: سفيتلا.

كانت الغرفة مضاءة بمصباح المكتب. والموسيقى تتبعث من اسطوانة رقص. وعلى المائدة زجاجة نبيذ. وكانت سفيتلا تمسك سيجارة مشتعلة بيد فوق ركبتيها العاريتين. سألتني: ألم تذهب إلى أي مكان في العيد؟ أجبت وأنا أضع شبكة الطعام على الأرض ولخلع معطفي: أبدا. وضعت المعطف في الخزانة و قبعتي على سطحها. ثم خلعت البلوفر للصوفي ومضيت إلى الحمام فغسلت وجهي ومشطت شعري. وعدت فشربت كأس نبيذ وجلست على فراشي وبيني وبينها مائدة خشبية صغيرة. كان الضوء بيننا ضعيفا والمائدة تخفي ساقها. لم يكن أمامي غير وجهها وشعرها الأشقر للناعم الذي جمعته خلف رأسها.

غادر هانز الغرفة فقلت: إنها مفاجأة جميلة اليوم أن لرك بغير بنطلون. قالت في حياء إنها تذكرت حديثي عن ساقها وهي ترتدي ملابسها. هبطت بعينها إلى ساقها وقالت إنها تشعر بعم الارتياح لأن الجميع ينظرون إليها بينما الأمر طبيعي في بلادها. قلت: للمشكلة ببساطة أن ساقك متناقصتان مستقيمتان بينما سيقان الروميات معوجة وقصيرة. قمت وتناولت إحدى الاسطوانات

الألمانية الغربية الراقصة ووضعتها على الجهاز. كان غلافها يتألف من صورة فوتوغرافية لفتاة في رداء قصير أخرجت نديها وأمسكت بحلمته بين أصابعها وهي تتطلع إلى الكاميرا. قلت لها إن ساقها يوحيان لي بفكرة واحدة هي تقبيلهما. قالت: ماذا؟ قلت: تقبيلهما. ضحكت في خجل. أريتها غلاف الاسطوانة قائلاً: هنا ساقان لكنهما ليستا في جمال ساقيك. رفعت يدها عن ركبتيها ومنتهى إلى الغلاف فتجلت ساقاها في كل روعتهما. وانعكس الضوء على الشعر الذهبي الخفيف المنتشر فوقهما. طلبت منها أن نرقص. رقصنا على مبعدة من بعضنا. أزاحت المصباح جانباً في خجل كي لا يقع الضوء على ساقها فضحكت وقلت إن شفيتها أيضاً تجذباني. قالت: إذن اكتفي بالنظر إليهما. خفضت نفسها لتصبح في طولي. قالت إن الموضوعة الآن أن يمشي للرجل مع امرأة أطول منه.

دخل هاتز ونحن نرقص قال: آه.. آه. قلت ضاحكا: إذن أخرج. قالت: لا، يكفي هذا. وجلست ضاحكة. أنهينا للزجاجة. قال لي بالإنجليزية إنه يخشى أن تأتي أئستاسيا. قلت: لا يهم.

أحضرت زجاجة فودكا وكوبا من مياه للفلفل المخلل. جلست إلى يسارها على الفرش وهاتز على يمينها. قالت: نعمل اختبار، ليخلي كل منكما رأسه من أي فكرة مسبقة، ويتخيل طريقاً ما يسير فيه، فيصاف وعاء، بماذا يشعر؟ وماذا يفعل بالوعاء؟ قال هاتز: وعاء أرفعه وأشرب منه ولواصل السير، ينزل مطر ولكني لا أعبا به، أشعر بالجمال. قالت: إنه طريق حياتك، وتقابل امرأة جميلة

تعجبك وتأخذها معك، تشرب ثم تمضي، فهمت؟ وأنت؟ قلت:  
ساقان رائعتان أصعد فوقهما بشفتي، ثم اقترب من القعة، كالقط  
عند طبق من اللبن، الرائحة جميلة والمذاق أجمل وأشعر بالروعة.  
انحنينا وركعنا على الأرض أمام ساقيهما نظري على جمالهما  
وهي هادئة لا تتبس. همس لي هاتز بالإنجليزية أن آخذ مفتاح  
الغرفة الخالية وأبيت بها.

انسحبت إلى الغرفة الأخرى. جلست على حافة للفرش لا  
أدري ماذا أفعل. لست هائجا ولكني ممرور. وجدت كتابا بالعربية  
عن مغامرات كزاقوفا. قرأت قليلا ثم رميته جانبا. مرت ساعة.  
تمددت ونمت. استيقظت في الليل عدة مرات.

في الصباح قال: رقصت معها وألصقت بطنها بي. لكنها  
كانت تقاوم دائما. جلست علي الأرض عند قدميها وقبلت ساقيهما  
وجذبت شعرهما، كانت توشك على الاستسلام وفجأة تقول إنها لا  
تريد وستكرهني لو واصلت، ومع ذلك لم تفكر في الانصراف.

## 93

صعد هاتز بزجاجة فوكا عند أخصامها وزميلتها الإيطالية  
إميليا. لحقت به فالتقيت زويا على السلم. سألتني باضطراب  
الموشك على البكاء: هل هو الآن مع أخصامها؟ تركتني وواصلت



الصعود. ثم نزلنا إلى حجرتنا وأكملنا الزجاجة. أحضرت أنستاسيا زجاجتين أخريين. رقصت مع إميليا وقالت إنها تصورت عارية في حجرتها. كانت نحيفة تحيط دوائر داكنة بعينيها. قالت إن هناك ميارت أكثر في الغرب لكن جرائم أكثر وبطالة وتضخم وأمية وكراهية ولا أحد آمن في الشارع.

لم نكث معنا طويلا. نامت أنستاسيا على الأرض مع هاتز ولقا فوق فراشي.

## 94

استوقفتني عبارة في رواية "البراكين فوقنا" للكاتب الإنجليزي نورمان لويس: "كانت تعاني توقا غير صحي لأن تكون محبوبة دائما. لم يكن ما تريده هو مجرد اللقاء الجنسي. ولم تكن لتتحمل التدهور الذي تتحدر إليه حتما كل حكايات للعشق".

ذهبت إلى المعهد قبل الظهر. لمحت في المدخل امرأة سمراء خضرة اللون. بق قلبي عندما أدركت أنها مصرية. فوق الثلاثين، مسئلة، ترتدي سترة وبنطلونا سوداوين وحول وسطها حزام تتكلى منه ميداليات معنوية. فوق عينيها وتحت الحاجبين مساحة من لكل الأخضر للون. اقتربت منها على مهل. سمعتها تقول لأحد

الطلاب: في مصر لا تحرك كثيرا فالسيارة أمام البيت. بدا عليها الارتياح لأنها نجحت في الإعلان عن امتلاكها لسيارة. ابتعدت على الفور.

## 95

لقامت دينكا الأوزبكية حفلا بعيد ميلادها ودعتنا. ونحن نستعد للصعود إليها جاءت زويا. مضى هافز حاملا زجاجة شمبانيا. فقالت إنها تريد أن تشرب فودكا. شغلنا الموسيقى. لاحظت وجودها فقلت: ما بينه وبين أنستاسيا لا يرقى أبدا إلى ما كان بينكما. وقفنا نرقص. قبلتها وامتصصت شفيتها. طلبت منها أن تخلع جوبتها فقالت: لا أستطيع، ساكون لك، لكن يجب أن تنتظر، أحب أن ينتظرنى الآخرون، لا أريد أن أخدعك إذا نمت معك. كان خدها ساخنا كأن درجة حرارتها مرتفعة. أرادت أن تلتصق بطنها بي وتحركها إلا أنني رفضت. لرتيت حذائي فقالت: الآن ستذهب لنرقص. عرضت عليها أن تأتي معي فرفضت.

صعدت حاملا زجاجة شمبانيا. كانت غرفة دينكا مزوقة بطابع شرقي. لعبة على شكل جمل ووسائد مزركشة ونفتر منكرات به صور مآذن ومعابد، صورتا لونيين وشلرل أرنالفور، ونمثال المقريوشكا الذي يحتوي على تماثيل أخرى لها متتالية للصفر. كانت دينكا محاطة بصديقاتها: أنستاسيا، هاليا، لاريسا،

وإميليا الإيطالية وأخرى قبيحة طويلة للغاية، ثم واحدة هائلة.  
تأملوا. ملاح شرقية وشفاء ممثلة وجسد خرافي في قميص ذهبي  
للون النضق بصدرها. رقصت مع دينكا ثم مع تاملرا. كانت تحرك  
جسدها وبالذات بطنها وردفيها وهي تطلق أصواتاً خافتة أجشة من  
فمها. كأنها تمارس الجنس. رقصت معها مرة أخرى وفي وسط  
الرقصة قالت لرقص مع هذه للفنّاءة، مشيرة إلى الطويلة. اتجهت  
إليها فقالت إنها لا تريد أن ترقص. جلست صامتة تأمل تأملرا  
تبادل فلليا الحديث وهي مستلقية على فراش. كان وجه فلليا يتخذ  
تعبيراً غريباً. مزيج من الألم والاشمئزاز. أحيانا تتكلم برقة وقد  
نثرت شعرها فوق رأسها. وكان هاتز في حضن أنستاسيا على  
الفراش المجاور. قامت تأملرا إليه ودعته إلى الرقص. الأغاني  
إنجليزية وأمريكية وهي تترنم طوال الوقت بكلماتها. قالت وهي  
تتطلع إلى هاتز: الآن أغنية "أنا منتظرة رجلي". طلبت من فلليا  
لرقص فرفضت في استعلاء. انضم إلينا شاب روسي وجلس على  
الفراش الآخر يتأمل مؤخراً إميليا في البنطلون الضيق. انصرفت  
فلليا ثم لفنّاءة الطويلة. قال هاتز إن لديه قطعة من حشيش  
كزلفستان واقترح أن ندخنها. اعتذرت دينكا ونزلنا مع أنستاسيا  
وتأملرا. أعدنا عدة سجائر دخانها. قالت أنستاسيا إنها متعبة  
وسنصعد لتنام. قالت تأملرا إنها ستبقى قليلاً ثم تلحق بها. جلسنا  
على الأرض. قالت تأملرا: أريد أن أطير بسرعة. أعطوني نبيذاً.  
أعطى عليها وتقبلت ثم تمددت على الفراش. عانت أنستاسيا بعد  
قليل وأخذتها.

أردت أن أعمل وهيات الصحف التي تتحدث عن منبحة ليلول الأسود التي دبرها ملك الأردن للفلسطينيين. طرق الباب ودخلت أنستاسيا. قالت إنها في حالة سيئة من اللحظة التي رأت فيها هاتز مع التشيكية في المعهد. قلت لها مهونا: إنه هكذا. قالت إنها تعرف لكنها لا تستطيع قبول نظرة عاقلة للموضوع لأنها تعشقه، لا أفهم ما تفعله بهذه الصحف. قلت: ولا أنا.

دعاني هاتز للصعود معه إلى غرفة أنستاسيا وإميليا لندخن بقية قطعة الحشيش. شعرت أنه يرغب في الانفراد بهما معا. لكنني رافقته. جلسنا على الأرض نسمع موسيقى وندخن. قال: البعض يقول إن هناك تسعين وضعا للجنس وآخرون يقولون إنها ستة فقط. سألته أنستاسيا: وما رأيك أنت؟ تدخلت إميليا قائلة: أما أنا فلا أتذكر. أحاط هاتز أنستاسيا بذراعه وضمها إليه. نظرت إلى إميليا وفكرت إنه من اللائق أن أفعل المثل. لكن البرودة التي شعرت بها في منطقة البروستاتا أفقدتني كل رغبة. تحجبت بالثعب وتركتهم. قابلت بلملجد في الكوريدور. رافقتني إلى غرفتي. أعددت شايانا. سألته عما سيفعل بعد أن يتخرج من المعهد. قال إنه لا يريد العودة

إلى الجزائر ليخدم في الجيش. سأله إذا كانت علاقته جادة بفتاته.  
قال: كنت مع إنجليزية وفرنسيتين ودانمركية وفنلندية وألمانية ولم  
لكن سعيدا مع أي واحدة منهن، ربما أبحث عن تكرار لأمي، أريد  
الحياة من غير نساء فعندئذ فقط أشعر بالنقاء. قلت: أما أنا فلا  
أستطيع أن أتصور الحياة من غيرهن، ولا أشعر بنقائي إلا مع  
إحدهن.

## 98

التقيت أستاذسيا الضخمة في مدخل الأبشجيتي. ناولتي ورقة  
كانت في يدها. وجدتتها إشارة تليفونية من معلمتي السابقة ناليجدا  
تخبرني بوجودها في موسكو. كانت تقيم في مدينة بعيدة مع  
زوجها. وكنا قد قضينا بعض الوقت معا عندما كانت تدرس لي  
اللغة. تركت رقم تليفون للفندق الذي تقيم به. تلفنت لها وادعيت  
لي أريد رؤيتها على الفور. قالت: الوقت متأخر وأنا أستعد للنوم  
فلي عمل شاق في الصباح، جئت مع مجموعة من زملائي  
لمؤتمر. سألتها عن الوقت الذي ستقضيه في موسكو. قالت: ثلاثة  
أيام. لتقنا على اللقاء في الغد. نسيت أن أطلب منها ارتداء الميني  
جوب والجورب الأحمر اللذين رأيتها فيهما آخر مرة.

استنمت جيدا في الصباح واستمتعت بقبولة قصيرة بعد  
الأكل. اشترت زجاجة كونيأك أرمني بتسعة روبلات. لطماننت

على وجود دولارات في جيبى على سبيل الاحتياط لو اضطررت إلى أخذها إلى مطعم ناسيونال. أخذت تاكسي حتى الفندق. سألتى السائق: من أين أنت؟ قلت له. قال: لماذا لا تستطيعون ضرب الإسرائيليين؟ أخذوا منكم الآن قطعة أرض جديدة. لم أعلق، قال مشيرا بيده: ساعدناكم ثم أعطيتمونا خازوقا كبيرا عندما طردت العائلات الخبراء الروس، من ست سنوات جمعنا كراسات لأطفال فيتنام فجاءنا منهم خطاب شكر. دفعت له روبلان.

أنزلتني أمام الفندق. طرقت باب غرفة ناديجدا. فتحت لي فاحتضنتها بقوة وقبلتها. كان لفمها نكهة الشخص الذي لم يأكل شيئا من ساعات. أبعثتها عني ونأملتها. كانت ترتدي فستانا مشجرا قصيرا بزرير من أمام فوق بنطلون، وما تزال نحيفة وشعر رأسها الأسود مقصوص عند الكتفين. ساعدتني على خلع المعطف والكوفية والسترة والشابكا. جلسنا متواجهين. فتحت زجاجة الكونياك فاعتذرت عن الشرب. قامت وأخرجت من الثلاجة الصغيرة زجاجتين ليمونادة وشريحتين من اللحم البارد والخبز والزبدة. فمت فقبلتها قائلا بافتعال إنني لا أصدق نفسي إنها هنا. استجابت لقبلاتي واصطدمت عويناتنا فخلعت نظارتها وتشبثت بي وهي تنفخ في عمق مغلقة عينيها. حركت لسانها في فمي بمهارة وعندما تجمع اللريق على شففتينا انفصلت عني وطلبت أن أعود إلى مقعدي.

سألتني بخبث عن صديقتي البرازيلية. قلت إنها سافرت إلى بلدها. سألتها عن زوجها فقالت على الفور: أنا أحبه وسعيدة معه لأنه يحبني ولا يتصور الحياة من غيري ويثق في جدا ولا يتصور أن أخونه. سألتها في سخرية: وكيف أنت ؟ هل أنت راضية عن حياتك؟ قالت: طبعاً، للعمل معقول وقد زادوا راتبتي وأعطونا مسكناً جديداً والأولاد عال، كل شيء علي ما يرام، ولنت؟ لم أجب ونهضت مرة أخرى وقبلتها. حال شعرها الذي أسدلته حول وجهها دون نجاح القبله لأنه دخل في فمي. طلبت مني العودة إلى مقعدي. قلت لماذا؟ أنا أريد أن أكون بجوارك، نحن لم نر بعض منذ مدة طويلة. قالت: رأييتي للعام الماضي. قلت: كان زوجك معك طوال الوقت. قالت: وأنت كانت معك صديقك.

جلست بجوارها وفي هذه المرة وضعت يدي على ساقيها وطلبت منها أن تخلع اللينطلون لكنها رفضت وقالت لا بد أن تعود إلى مقعدك. وقفت لتكثير الراديو فوقفت معها واحتضنتها. وضعت يدي على ثديها وبعد لحظة أبعدتني عنها في رفق.

قالت: لماذا أنت غير سعيد؟ قلت: لأنك لست معي. سألتني: كم عمرك ؟ قلت لها. قالت: مازلت أنا صغيرة. قلت: أنت الآن في الثلاثين؟ قالت: لا. قلت: 28 ؟ قالت: لا. هناك الباسبور. عمري 24. تذكرت أنها قالت نفس الشيء عندما كنا مع بعض قبل عام. سألتها: هل لك صديق؟ نظرت في عيني وابتسمت. قالت: لي واحد فقط لم يتغير حتى الآن. وأنت؟ قلت: لا أجد واحدة تعجبني فأنا لا

أحب الشقراوات والمدھنات. قالت: زوجي أيضا لا يتصور رائحة امرأة أخرى ولا يحب الشقراوات، اسمع، أمامي حتى بعد غد فقط. قلت لأفضبه كله معك. قالت: أوكي.

بق التليفون. سمعتها تستعرض عروض الباليه الموجودة: كسرة البندي ودون كيوخوتة وجيزيل وسيلرتاكوس، ثم تتق على الذهاب إلى المسرح في الغد. تصنعت الغضب. قالت: لم أكن أعرف لك تقصد المساء. بعد لحظة قامت فاحتضنتها. قالت: لا أستطيع، لا أريد، ثم إن الوقت متأخر، العاشرة والنصف ولا بد من ذهابك. قلت لها: أنا أحبك. بدأت تتصنع الحزن. فكرت أنها تلعب دور التي وقعت في مشكلة خطيرة. سألتها: هل عندك مانع جسدي؟ قالت لا. قلت: لكننا نمنا مع بعض من قبل.

تذكرت تلك المرة للتعة عندما خلعت ثيابها من تلقاء نفسها. كنت خجولا ومددت يدي لاحتضنها فظننت أنني أريد أن أخلع لها ثيابها فبادرت بخلع البلوفر البرتقالي. وقالت إنها ذكرت لزوجها أن عندها اجتماعا نسائيا وهي أول مرة تفعل ذلك، وعندما وقعت عارية قبلت فخنيها وكانت رائحتها نظيفة، ومستسلمة لكن بخير لاستجابة كأنها تتفرج على ما يحدث، وفوجئت بانها واسعة للغاية ربما بسبب الولادة. انفصلت عنها ونمت على ظهري وهي فوقى وكانت تتصرف بارتباك وعدم خبرة، وسمعتها تقول: الواحدة في حاجة إلى شيء من التريب، وبعدها قالت إنها يجب أن تتصرف حتى لا تتأخر، وكنت قد مللت من انتصابي الطويل فلارتدينا ملابسنا.



دفنت وجهها في صدري وقالت: أجل، لكن حياتي بعد ذلك مع زوجي أصبحت صعبة لفترة طويلة. قلت: حسنا، سأذهب. دخلت ميجارة ثم وقفت واتجهت إلى حيث علقت معطفي. خطورت ببطء وأنا أتابعها بركن عيني متوقعا أن تستوقفني فقد شعرت أنها تمثل. رأيتها منهارة. ثم قامت وأطفأت النور المجاور لفراشها وتناولت بطاقتي بريد فوضعهما في جيب معطفها وقالت: سأتي معك. قلت لماذا؟ قالت لأوصلك وأتمشى وأضع البطاقتين في صندوق للبريد. احتضنتها بقوة فاستجابت ولهت. فتحت أزرار الرداء العليا دون أن نقول. وعريت كتفها وقبلتهما ثم قبلت صدرها وفكرت فجأة في أنني حقيقة أرغب في الانصراف. واصلت نزع الرداء فقاومتي قائلة إنها لا تريد. تركتها وأكملت لارتداء معطفي. ارتدت معطفها بدورها. غادرنا الفندق ومشينا فوق للجديد في صمت. أشارت إلى محطة للمترو. توقفت أمام صندوق بريد ورمت البطاقتين. عند المحطة قلت لها: عودي الآن. سألت: ستتلغن غدا؟ قلت: لا أعرف، ربما. نزلت إلى رصيف القطارات وأنا أضحك ساخرا من نفسي.

في الصباح لم تكن عندي رغبة في مكالمتها لكنني تلفتت لها في التاسعة. قالت إنها تلفتت لي من نصف ساعة وإنها خشيت أن أنتحر. وقالت إنها حزنت جدا بعد خروجي بالأمس ولا تستطيع للعمل الآن. ثم قالت ألن أراك الليلة؟ قلت: صعب لأنني سأرافق صديقا إلى مكان ما، وبالمناسبة يوم السبت لن أستطيع المجيء في الصباح. فكرت أننا سنخرج معا في جولة تبضع وسيكون الأمر

مملا للغاية. قلت: سأتيك بعد الظهر، باي باي. ظلت صامتة فوضعت السماعة.

صعدت إلى الغرفة فوجدت فاليا المتكبرة مع هاتز. جلست أقرأ في عدد قديم من مجلة أمريكية. قالت إنها تريد أن تتعشى. أعد هاتز العشاء وفتحنا زجاجة فوكا. قالت إنها كانت تحب واحدا متزوجا ثم استدركت: ما زلت، وهو يحبني. احتضنتها قائلا: يا لوبلو تيبيا (أنا أحبك). مسحت بيدي على خدها الناعم للغاية. ولمس صدري صدرها البارز. حاولت تقبيلها فأبعدت وجهها ورفعت يدها إلى شفتي. كانت لينة رخصة ووجدت متعة في تقبيلها وامتصاص أطراف أصابعها. انصرف هاتز فجأة. سألتني: أين ذهب؟ قلت إنه صعد إلى صديقته. لمتعضت. حاولت تقبيلها من جديد فقالت إنها يجب أن تصعد الآن. طرقت زويا الباب بعد انصرافها. كانت تبدو ثملة. قالت إنها تشاجرت مع زوجها وانتقلت إلى الألبشجيتي. رفضت الجلوس وقالت: هل تذكر صديقتي نلتاشا؟ أومات بالإيجاب. قالت: إنها تعتبر علاقتي بهاتز سلوكا غير أخلاقي لأنني متزوجة، هل تعرف أن أليها سائق تاكسي يهودي؟ انصرفت.

تلفن لي وجدي. قال إن مقره الآن في هلسنكي وإنه يريد أن يراني. وإنه يريد أن يشتري سكينا وملعقة كبيرة. قلت: ألا توجد هذه الأشياء في هلسنكي؟ قال: لكنها بالعملة الغربية وهنا أرخص. كنت علي مهل ولم أتعفف عن البصل. ذهبت إلى وجدي في الفندق. قدم لي ثلاثة كيلوات نسائية من الورق تستخدم مرة واحدة ثم ترمي. قال: لعلها تفيد مع البنات. أضاف: لأن تعرفني بإحدى الطالبات؟ أخذت الكيلوات ووعده بأن أفعل. تركته وركبت المترو إلى فندق ناليجدا. وصلتها في الساعة إلا ربع. كانت تنتظر. جلسنا إلى جوار بعض. وضعت أمامي بقية الكونياك وخلعت نظارتها. قلت: آسف أنني تأخرت، متى ترحلين؟ قالت: في الثامنة. ملست علي شعرها. قالت: كنت وحدي طوال اليوم، أمس كنت أريد أن أراك. قلت: إنها غلطتك. قالت: أعرف. كان على شفتها بثرة. قبلت عنقها وبدأت أنزع بنطلونها. قالت: ليس هناك وقت. واصلت نزع البنطلون. قبلت فخذها ثم تحسستها ودعكت إصبعي ولأنا أقبل صدرها. قالت: أنت تؤلمني. لم تكن عندي رغبة جارفة ولكنني وضعت نفسي بين ساقيها فأعاقني وضعنا. قالت: لا بد من الذهاب. ارتدت البنطلون. حملت لها حقيبتينها ووقفت معها حتى ركبت مع زملائها. قالت: داسفداتيا. وأرسلت لي قبلة على أصابعها. عدت إلى الأبشجيتي وقابلت فاليا في المدخل. كانت ترتدي بلوزة تبرز ثدييها وجوبه طويلة (ماكسي) مشقوفة من

الوسط. أمسكت يدها فرفعتها إلى فمي في عظمة. دخلنا المقصف  
سويا. قلت ماذا مستشترين؟ قالت برتقالة. قلت عندنا، تعالى. صعدنا  
إلى الغرفة. لم يكن هقز موجودا. حاولت تقبيلها فأبعدت وجهها.  
قالت: لا تتعجل لا بد أن أناكد لولا، لم أشعر أمس أنك سررت  
لرؤيتي. قلت: لأنني اعتقدت أنك جننت لـ هقز. قالت إنها تريد أن  
تتصرف. قلت: ما رأيك في أن نخرج سويا غدا؟ قالت: لا مانع،  
تعال عندي. قلت: لا تعالى أنت في الساعة الرابعة.

## 100

خرجنا معا في الساعة الرابعة ومثينا فوق الجليد المتراكم.  
أشارت إلى تاكسي مار ثم قالت الأفضل أن نذهب إلى الموقف.  
وقفنا ننتظر. ربطت رأسها بإيشارب على الطريقة الروسية. تلاحم  
الناس على للتاكسي وأرلا مكير أن يأخذ دورنا فدفعته مخاطبة  
الواقفين: أليس بينكم رجل يمنع؟ ركبنا واشتبك السكير مع لد  
الواقفين وتبادلا للكلمات. سألتها: مطعم لو سينما؟ سأضطر بعد ذلك  
إلى المرور على أحد أصدقائي لعمل. قالت سينما ثم مطعم. ركبنا  
واتجهنا إلى وسط المدينة. عند دار للسينما أوقفنا التاكسي. قالت:  
اخرج وانظر إذا كان هناك مكان لنا لنواصل البحث بالتاكسي.  
رفضت وأصررت أن نغادر التاكسي سويا فمدت يدها لي

لأُساعدَها. لم نجد أماكن فذهبنا إلى مطعم السمك. وجدنا طابورا طويلا في الانتظار. قالت نذهب إلى فندق ناسيونال. قلت: لن نجد مكانا لأن اليوم هو الأحد ثم أني لا أحمل دولارات معي. ما رأيك في أن نشتري طعاما و نذهب إلى شقة صديقي؟ وافقت فولجنا حلونا. قالت إنها تريد شمبانيا وإنها شربتها عندنا لأول مرة وأعجبت بها. اشتريت دجاجة مطهوءة وزجاجة شمبانيا. وقفت في طابور فلكهة. سألتها: تقاح أو كمثرى؟ قالت: الاثنين. اشتريت نصف كيلو من كل منهما. لمحت خيارا فصفت بيدها. اشتريت نصف كيلو. كنا قرييين من منزل عبد الحكيم فاتجهنا إليه سيرا على الأقدام. تركتني أحمل الحقيبة والخبز وللتفاح والكمثرى والخيار وزجاجة للشمبانيا والدجاجة وهي تسير إلى جولري واضعة يديها في جيبها مستغرقة في عالمها الخاص. أمام منزل عبد الحكيم سقط مني رغيف الخبز. وقفت تتأمله حتى التقطته. وجئت جمعا من الرجال في مدخل المنزل يحسسون الفودكا. سعدنا إلى شقة عبد الحكيم. دققت الباب فلم يرد أحد. انتظرت قليلا ثم دققت الباب مرة أخرى بلا جدوى. أخيرا انصرفنا عائدين إلى الأُسْجُي.

طلب مني وجدي أن أطمئن على ابنة صديق لنا تدعى فائزة وتدرس في معهد البوليتكنيك. ذهبت إلى الأبشجيتي الذي نقيم به. وجبتا في حجرة مع فتاة عراقية. كانت فائزة نحيفة خجول ذات وجه أبيض مستدير وفي نحو العشرين من عمرها. أما زميلتها العراقية فكانت سمراء عريضة الكتفين ذات مظهر ذكوري واضح. ووجهت إلى نظرة عدائية.

سألت فائزة عن رئيس اتحاد الطلاب وهو مصري فقالت إنها تشاجرت معه لأنه يدعو إلى تحریم السينما والمسرح وإنه في حفل أنكرى طه حسين لتهمة بالإلحاد، كما هاجم السوفييت وزعم أنهم لا يساعدوننا.

تأملت الحجرة ولاحظت أن فراشين قد تم ضمهما إلى بعض. استمرت منها عن كيفية فضائها وقت الفراغ. تبرعت العراقية بالرد: ليس عندنا وقت للدراسة صعبة. قلت لـ فائزة: أليس لك صديق؟ احمر وجهها وقالت في صوت خافت: لا. قلت: ألا تذهبين للرقص؟ ربما أدعوك مرة. أحاطت العراقية كتيها بساعدها وكررت في تحد: لا وقت عندنا.

ونحن نغادر المعهد التقني نلينا. سكرتيرة للعميد المسئول عن الأجانب. متوسطة القامة، رشيقة، ذات جسم رخص. مليئة بالحياة. أراها دائما مندفعة في طرقات المعهد. وقتت نتكلم مع هتز في لنع. وجهت إليها بضع كلمات الإطراء فلم تعبا بي. قالت له إنها مضطرة إلى البقاء لساعة متأخرة. سألتها: هل آتي لأسئلك؟ قالت له في صوت مبجوح: تعال.

كان الجليد يغطي الأرض والهواء لاذع. أنزلت للشابكا فوق لنني وعقدتها تحت نقتي. خطوت في حذر خوفا من الانزلاق. لشربنا زجاجة فودكا ستاركا وزجاجة عصير خضرلوت وزاكوسكا (مخلل) وبضع حبات من الفجل الأحمر وكيسا من البطاطس المحمرة. قال: نأخذ تاكسي. قلت: سيكلف كثيرا. للمسافة بعيدة. لمح سيارة جيب شبه عسكرية وبجوارها شاب روسي دمث وخجول. خاطبه: ساشا، إلى أين؟ قال الشاب: إلى أين تريد أن لذهاب؟ قلنا له: محطة الكترول فودسكايا. قال اصعدا. انطلقت السيارة. همس لي هتز: إنه يعمل سائقا في المعهد وهو صديق نلينا وسيتزوجان في نهاية للعام. قلت للشاب: لعني رايتك فمرة فتحت حجرة نلينا ورايتها تميل فوق شاب جالس وتقبله. لم يعلق بشيء. قال لي هتز عندما نزلنا أمام محطة المترو: ما كان يجب أن نقول له ذلك فربما كانت نلينا تقبل شابا آخر.

بحثنا عن بيت الطلبة الذي يقيم به تادرس ونحن نسير  
خافضي الرؤوس منكسّين من البرد والتّج. كدت انزلق مرتين.  
وجدنا البيت أخيرا. رحب بنا بحرارة. كان ممثّلا متوسط القامة ذا  
وجه عريض، أسمر البشرة في الأربعين من عمره. يدرس  
للدكتوراه في العلوم الزراعية. دخلنا حجرة نظيفة مرتبة بفرد بها.  
دعكت أصابعي المتجمدة من البرد وقلت: نشرب فوكا. استخرج  
من الشباك جينة بيضاء ومسمكة وجبن رومي مصري. على الحائط  
صور جماهير روسية تحمل الراية الحمراء. وبجوارها ورقة عليها  
أبيات زجل مصري يتغنى بحب الوطن. تتلى من الحائط فوق  
سريره تمثال صغير للعزاء وعلقت عدة صور للمسيح والقديسين.  
ورأيت بجوار الفراش آلة عود. قال عندما رأنا نتطلع إلى الآلة في  
استغراب: أنا أحب للموسيقى من صغري، لكنني من أسرة محافظة  
بالصعيد وأراد لي أبي مستقبلا محترما فصرت مهندسا ثم معيدا في  
الجامعة والآن أعد للدكتوراه لكن الهواية استمرت. شربنا أول كأس  
فتناول الآلة. قلت: نسمع الأول أوبريت "شهرزاد" لـ سيد درويش  
التي دعانا لسماعها. بدا عليه الاستياء وقام وأدار شريط  
الترانزستور. دق الباب ودخلت فتاة روسية ممثلة عادية الملامح.  
اضطربت عندما رأتنا. خلعت معطفها واحتفظت بغطاء الرأس  
وجلست. قالت إنها ستسافر غدا. رحب بها في أدب واحترام. قال  
لي إنها زوجة زميل له وإنها تعد رسالة دكتوراه. بادلت هاتفي  
الحديث. كانت تتكلم بسرعة ثم تسرد. رفضت أن تشرب. قال لي



تدرس إنها التقت به في جمع ورأته حزينا في ركن فجاءت وجلست إلى جواره تخفف عنه ثم رقصت معه وطلبت منه أن ينزلا إلى حجرته وهناك تبادلا حديثا طويلا. وقفت الفتاة وأهدته ملعقتين خشبيتين ملونتين. وكتبت على ورقة اسم للقرية التي صنعتا فيها. اهتم بأن يريها أن لديه ملعقتين مثلهما. قالت: ستبقون طويلا ولا بد من ذهابي. لن تراني مرة أخرى إلا بعد شهرين. ربما عدت إليك الليلة في وقت متأخر. انصرفت. أمسك العود وعزف لحن "الحشاشين" لـ سيد درويش. طلبت منه "ساعة ما بشوفك جنبي". قال: عبد الوهاب سرق سيد درويش وأماته لكنه غنى "كليوبترا" و"الجنول". جاءت فتاة أخرى عادية الملامح شاحبة الوجه. جلست محتفظة بغطاء الرأس الذي يغطي أنفها إلى كتفها. قالت إنها جاءت اليوم من الهيئة الرئيسية للغاز حيث كانت تجمع مادة لرسالة الدكتوراه وإنها ستعود إلى ابنها في مدينة خاباروفسك. قال لها: أنت لست سعيدة، وأنت تعرفين لماذا. قالت انها اشترت شقة، دفعت 1500 روبلا وستدفع للباقي علي أقساط. قال لها: يجب أن تجدي رجلا. نظرت إليه في مرارة. فكرت أنها حاولت معه لكنه إما لم يفهم أو لا يريد لها وقد بثت من تكرار المحاولات. طلبت منه أن يغني أغنية إنجليزية وصححت له أخطاءه. ثم عزف "يا زهرة في خيالي" لـ فريد الأطرش. قالت إنها تحب هذه النغمة من صغرها. قال لها إنها التانجو العربي. انصرفت. أنهينا الزجاجة ونهينا للانصراف. قال: الآن سأعزف لكم أحب قطعة عندي.

عزف "الموجة وراء الموجة" لم كلثوم. قال: لا نستطيع أن نهرب من هذه الموسيقى، إنها في دمننا لا لجمالها وروعها فقط وإنما ارتباطها بنقائق كثيرة في طفولتنا ومراهقتنا. كان يتطلع إلى هانز وهو يعزف. ورأيت الأخير يضع أصابعه على شفتيه كأنما ليخفيهما. وكلما شعر تلامس أننا نهم بالقيام لستمهلنا لنسمع قطعة جديدة. اتفقنا معه أن يأتي عندنا الأسبوع القادم. قال كبار المطربين: تعالوا خنوني. صافحته بينما قبل هانز في فمه.

## 103

لراني شريف خطابا من عننان. كتب فيه إنه عين في وظيفة حكومية وأنه يتعرض لحرب عصابات يوميا في العمل. وقال: سأزوج قريب، قولوا لـ جاليا إنني لم أتلّق منها سوى رسالة واحدة وأعطوها عنواني.

سجلت مشترياتي على ورقة لاقتسام ثمنها مع هانز: 130 كيبكا بيض، 30 حليب، 364 فودكا 80 خبز وحلاوة طحينية، 80 خضراوات.

دار نقاش بيني وبين حيدر اللبناني حول كتاب "تحت المظلة" لـ نجيب محفوظ. كان شعره طويلا ينزل إلى كتفيه ويمضغ علكة،

ويرتدي بنطلونا ذا ثنية عريضة حسب الموضة، ومسترّة من الجلد  
لأزرق اللون، وحذاء يجمع بين اللونين الأحمر والأزرق بكعب  
سميك. قال إن محفوظ أراد أن يتهم الاتحاد السوفييتي بالرغبة في  
احتلال مصر. ذكر لي المقطع المعني فوجدت انه ينطبق أكثر على  
أمريكا. قلت: إنها أفكارك أنت. لم ينكر. قال إن مشروعه عند  
عونه إلى لبنان يعتمد على الاستعانة بأعضاء الحزب الشيوعي  
الذين سيعملون بلا مقابل! أعرب عن رغبته في تحويل دولارات  
إلى روبلات. قال إن السعر في السوق السوداء هو 3.40 روبلا  
للدولار ولو انتظرنا أسبوعا ربما يرتفع إلى 3.60.

صادفت ناديا في أحد ممرات المعهد. كانت تقف أمام نافذة  
وتأمل نفسها في اللزجاج. لاحظت أنها تبكي. وضعت يدي على  
كتفها متعائلا: ماذا حدث؟ مسح دموعها وقالت: اكتشفت أنني  
أحببت أحد مجرمي العصابات.

## 104

في هذه المرة استقبلتنا جاليا في غرفتها الصغيرة. وكان  
صوت التلفزيون يأتي من حجرة جارها في الشقة. مدت إلينا  
صديقتها لطرف أصابعها. لاحظت أن بطن جاليا منتفخة  
وتحرص على تغطيتها بشال ملون. هل هي حامل وهل عنان هو  
الأب؟ تجنبنا ذكر اسمه. ولم تضع له كوبا إضافيا على المائدة.

شعرت بعداء من الصديقة. رفضت أن تدخن سيجارتي الهندية  
مفضلة الروسية ذات الفلتر فائقة: سجانرنا. رائحتها قوية كأنها لم  
تستحم منذ أيام. تهersh رأسها وتدعك خلف أذنيها وتحت قفاها.  
جاليا أيضا تهersh رأسها. قدمت إلينا طبقا من عيش الغراب  
بالسميتانا (الكريمة) واللثوم مع نبيذ مصنوع في المنزل. سألتها هاتز  
عن أحوالها فقالت: أنا سعيدة، يجب أن نعيش، كل شيء يسير وفقا  
للخطة. أدلرت التليفزيون وتفرجنا على زيارة بريجنيف لـ كوبا.  
عند عودته كان جميع رجال الدولة والحزب في استقباله بالمطار.  
وتقدم منه بوجورني، الرئيس. صافحه والتفت إلى كاسيجين،  
رئيس الوزراء، فاحتضنه وإذا بهذا يرفع قبعته معريا رأسه للتلج  
المتساقط فأشار له بريجنيف أن يغطي رأسه.

عندما انصرفنا تركني هاتز ليذهب إلى تاملارا.

في الصباح رفعت رأسي من تحت الأغطية فرأيت أن فراش  
هاتز لم يمس. تصورت تاملارا ذات الشفتين الممتلئتين والجسد  
الملبني والأثوثة الصارخة ثم الأصوات المبحوحة التي تطلقها من  
فمها بين الحين والآخر. بق الباب فلم أستجب. فتح شخص الباب  
ونظر ثم انمحب في هدوء. أستمسكيا؟ التفت هاتز في المعهد. كان  
متعبا وهناك للتهاب شديد في شفته السفلى من أثر عضه ولا شك.  
قال إنه قضى الليلة في حانوت بربوسكا. سألته: كيف؟ قال إن  
تاملارا تسكن في شقة كبيرة ممتلئة بكافة أنواع السلع الأجنبية  
وتعمل موديل ولا شك أنها على علاقة بالمسوق العمرية.

ذهبت إلى العيادة لعمل رسم قلب. رقدت فوق الفراش عاري الصدر ضئيل الجسد. ثبتت الطبيبة لأربطة الجهاز. بعد الرسم قالت: ابتعد عن شرب الخمر. غادرت العيادة محني للرأس منكمشاً تحت الثلج المتساقط. تجمدت يداي داخل القفاز الجلدي. كنت قد سمعهم في العيادة يقولون إن درجة الحرارة 30 تحت للصفر. فكرت أن مطعم السمك للقريب لا يقدم غير النبيذ وأنا أريد فودكا لو بييرة. اخترقت أحد الشوارع الجانبية القديمة إلى بروسبيكت كاليفين. عبرت تحت الأرض إلى الناحية الأخرى من الطريق. توجهت إلى مطعم براغ الضخم. تجاوزته إلى ستالوفيا تعتمد الخدمة الذاتية. توقعت أن يكون هناك طابور فوق سلمها الخارجي. لم أجد أحداً. صعدت السلم. وجدت يافطة تعلن أنها مغلقة اليوم. هبطت. فكرت في المضي إلى نهاية الشارع حيث يوجد مطعم تحت الأرض يتقاضى روبلا عند الدخول. تراجعت عن الفكرة لأنني أهاب الأماكن الفاخرة. درت حول المبنى. البار الأرضي مغلق أيضاً وفي مدخله عدة أشخاص ويافطة بعدم وجود أماكن خالية. ولصقت المسير. تجمعات أمام المحلات المغلقة لفترة الغذاء في انتظار فتحها لشراء هدايا رأس السنة. إلى مطعم براغ. دفعت الباب الخارجي وأنا أتوقع أن يستوقفني البواب ذو الرداء للرسمي. انتهزت فرصة أنه مشغول بالحديث مع شخص فدفعت الباب الثاني. اطمأنت عندما وجدت روسا عاديين ينزعون معاطفهم عند الجاردروب (غرفة المعاطف). خلعت معطفي وتاملت نفسي في

المرأة الضخمة ذات الإطار الذهبي التي تصل إلى السقف: البلوفر  
الصوفي الأخضر الذي غسلته فاستطال، البنطلون الذي انتبخت  
لطرفه، شعر رأسي المحلوق، ياقة القميص التي اهترأت منذ أيام.  
اليهو واسع. صنعت سلما دائريا عريضا تغطيه أبسطة حمراء  
وتطل عليه مرأيا ضخمة. في الطابق الثاني قاعات واسعة. تقدمت  
إلى إحداها فاعترضني نادل متقدم في السن: إلى أين أيها الشاب؟  
قلت: أريد أن أكل. قال: ليس هنا. هنا يتجمع الناس لأسباب،  
لأعمال، اصعد إلى الطابق الرابع. واصلت للصعود. قاعة مستديرة  
مغطاة بسطح من الزجاج. أغلب الأماكن مشغولة. وقفت في  
المدخل. عديد من النوالد يجيئون ويروحون ويختفون دون أن  
يعبأوا بي. واحد يحمل مجموعة زجاجات من مياه تزلزان  
المعدنية. إلى جولري مائدة يحيط بها أجناب من أوروبا الشرقية  
في الغالب. يشربون في وقار وهم يتابعون مؤخرة فتاة روسية.  
جاء رئيس النوالد الذي يبدو كالمصارع. سألتني عما أريد. قلت  
للمدخل. جلست على مقعد، بالقرب مني مائدة مستديرة جلست إليها  
عجوز. دعوت الله ألا يطلب مني الجلوس معها. أحضر لها نادل  
أنيق زجاجة نبيذ وضعها على المائدة. قامت وجلست في مواجهة  
النادل ثلاث زجاجات ليמוnade ورتبها فوق المائدة. نادته: فاليها.  
أحضر لي لكواب. أحضر لها كوبين. ملائتهما بالنبيذ وأعانت  
ترتيب الزجاجات. طلبت منه إنشاء فواكه زجاجيا مزخرفا

فأحضره. وضعته على حافة المائدة فارغا. قالت: الآن سنبو  
المائدة ممتلئة. أحضر لها زاكوسكا. انضم لي أحد الروس.  
انصرف بعض الآكلين. جاعنا نادل وقال: يمكن أن تجلسوا بعد  
ساعة وربع. قال الروسي بخضوع: لكننا انتظرنا طويلا هنا. قال  
للنادل: لا شأن لي بمدة انتظاركم. بعد نصف ساعة سمح لنا  
بالدخول. جلسنا إلى جوار مائدة حولها ثلاثة رجال متأنقين بصورة  
غريبة لكنهم روس وأمامهم فودكا وكافيار وطماطم. بعد مدة جاء  
رئيس النوازل. كلما طلبت شيئا هز رأسه قائلا: لا يوجد. أشرت  
إلى المائدة المجاورة وقلت: الطماطم موجودة. قال: طلبوها في  
الصباح. أحضر لي شوربة سولياتكا وسلطة براغ ودجاجة مشوية  
بصوص من الثوم و150 جرام فودكا. راقت جنرالا جورجيا  
وامرأة جورجية سميئة عاطلة الجمال. عندما انتهيت من السلطة  
ملأ جاري كأسه طالبا أن نشرب سويا: زازدروفا (الصحة).  
عزمت عليه ببيعارة فسألني: من أين أنت؟ قلت: من مصر،  
وأنت؟ قال: أنا يهودي من أوكرانيا. قلت بعد لحظة: هل تعاني  
أي مشاكل؟ أشعر هنا بروح معادية لليهود. ظهر تعبير غريب على  
وجهه أقرب إلى الخوف. قال: لا. أنا عضو في الكومموسول  
ومهندس ومسافر لليلة. قلت: لماذا لا تقول أوكراني إذا كنت ولدت  
هناك؟ قال: للباسبور يقول إنني يهودي. قلت: سيأتي يوم لا تكون  
فيه أهمية لدين الشخص أو قوميته. لم يعلق. عندما انتهينا أسرع  
بنفع حسابيه ومضى دون حتى أن يقول لي داذداتيا.

قضت أنستاسيا الليلة في غرفتنا نائمة في حضن هاتز في الفراش المقابل. تعجبت كيف يسعهما الفراش الضيق. غادرت في المساء صباحا. واصل هو النوم. قمت في العاشرة بعد أن استمتعت بساعة من النوم المنقطع الظريف. أعدنا طعام الإفطار من خبز محمر في الزبد ومربى. احتسنا الشاي مع سيمفونية لـ هايدن. خرجنا إلى الطريق للمغطى بالجليد. هناك شمس مترددة خجولة. ليست هناك رياح باردة. لم أربط الشايكا تحت نفسي. تنكرت برودة شتاء القاهرة. استنشقت الهواء في متعة. قلت إنني أريد أن أسرع لأرى فيلم تريفو.

بدأ الفيلم في قاعة السينما بالطابق الثالث من المعهد. المدرسة اللغبية والمدرس المتعفن للقاسي والطفل يتلمس طريقه في مواجهة هذا كله، ويضطر إلى الكذب. في البيت ليس لدى أمه وقت له. تعود متأخرة مرهقة بعد أن يضع الأطباق على المائدة. يأتي الأب للفانل ويدور للشجار بالليل والطفل يسمع. وكان قد رآها تقبل رجلا في الشارع. يغادر المنزل هاربا. استعاندته وقررت أن تكون لطيفة معه فأعطته حماما ثم عندما أراد أن ينام في فراشه في الصالة بجوار الباب قالت: لا، في فراشنا. مضى إلى فراشها وخلع ملابسه واتدس فيه عاريا.

لمعت عيناى أكثر من مرة ورأيت أنستاسيا تبكي هي الأخرى. غادرنا القاعة سوية. أررتي صورة لـ كاميجين في



---

منذ الصفحة الأولى من صحيفة بمناسبة منحه وساما رفيعا.  
مست لي: إنهم ينعمون على بعضهم البعض.

## 107

سافر عبد الحكيم مع زوجته إلى موطنها لقضاء عطلة رأس  
سنة وترك مفتاح شقته معي. عرضت على زويا أن نذهب إلى  
الشفة. اعتذرت بانشغالها. ذهبت إلى هناك بمفردي. اشتريت  
زجاجة نبيذ جزائري رخيص ونصف كيلو تقاح وأربع بيضات  
للمصباح وزجاجة لبن وقطعة سمك وقطعتي لحم. أعددت عشائي  
ولنا لقادى الصرلصير وأغسل كل أداة استخدمها. جلست في  
المسالة. أكلت وشربت نصف زجاجة النبيذ ونمت في الحادية  
عشرة بعد أن أطفأت الأنوار وأغلقت الأبواب الدائليّة ووضعت  
السلسلة الحديدية في الباب الخارجي. استيقظت في الليل عطشانا.  
مضيت إلى الحمام والمطبخ في تردد. تركت للنور مضاء وعدت  
لفكر في أن الشقة معرضة للسرقة بسهولة. نمت. حلمت أن لصا  
في المسكن وأني أفضّل في القبض عليه. استيقظت ظهر اليوم  
التالي. استحمت وأفطرت وقرأت مقالا عن تضخم البروستاتا.  
لاحظت أن نقات قلبي مضطربة وتنفسي قصير. خرجت. اشتريت  
ليمونة ونقيق وحلاوة طحينية أرمنية وماروجنا وعدت إلى  
الأشجيتي. بعد ساعة ظهرت فيرا اليهودية على باب الغرفة.

كانت ساقاها عاريتين وجوبتها قصيرة، وشعرها مبعثرا في  
فوضى. أعادت اسطوانة كانت قد اقترضتها. سألت عن هاتز.  
سألته بدوري وعيني علي فخذيها العاريين: ألا تشعرين بالبرد؟  
قالت: بالعكس أشعر بحرارة.

## 108

تلقيت بطاقة بريدية من نلجيدا وزوجها. وضعتها على  
المكتب بجوار الصحف التي كنت أعمل بها. طرق الباب وفتحت  
لـ أنستاسيا. لمحت البطاقة البريدية فسألته: أهي من صاحبك  
التي كانت هنا منذ أيام؟ قلت: أجل، كيف عرفت؟ تجاهلت السؤال.  
سألت: أين هاتز؟ أجبت: لا أعرف. قالت: غير معقول، كيف  
ولنتما شديدا القرب هكذا. وضمت إصبعين إلى بعضهما.

جاء هاتز بعد انصرافها. ذكرت له ما قالت أنستاسيا. قال:  
أخبرتها أنني أريد إنهاء العلاقة فترجعتني أن أبقى معها حتى نهاية  
العام، فقلت لها نهاية للعام فقط ومن أول يوم في السنة الجديدة  
سأكون حرا. قلت: إنها إنسانة رقيقة. قال: لم تعد تثيرني.

فكرت أن أقدم هدية إلى نالدا بمناسبة أعياد الميلاد. هل يليق  
أن أعطيها للكيلوات الورقية أم أعطيها صابونة أجنبية وزجاجة  
عطر؟ فقلت لها للكيلوات. قالت: أنا لا أخذ هدايا كي لا أشعر أنني  
مبينة. قلت: لا يجب أن تشعرني بهذا معي. أخذت للكيلوات  
وصافحتي. كانت تبحث عن مفتاح الغرفة الذي نسته بداخلها.  
ذهب شاب بشوارب يبحث لها عن مفتاح. ظهر زائر مصري،  
يبدو من كبار موظفي الدولة في مصر، يقوده لطفي. تعارفنا.  
قرب منا طالبان: أحدهما مصري والآخر سوري. عرض الأخير  
أن يرافق الزائر ومشى إلى جواره. سمعت للمصري يقول لـ  
لطفي بصوت خافت: لا تدعه يأخذه منك، اشرح له أنت.

عدت إلى نالدا. أصبحت الطريق لشقراء خارجة من عندها.  
تابعنا نالدا بعينها وقالت لي: تعرف، هذه زميلة لنا يهودية تريد  
الهجرة إلى إسرائيل، قلنا لها كيف تتخلين عن البلد التي أطعمتك  
وعلمتك. رأيت للكيلوات ملقاة على المكتب دون غلافها. سألتني:  
كيف للنسرايفيا؟ قلت: سيئ. قالت: اذهب إلى الجنوب. قلت:  
بمفردي؟ قالت: خذ بلديا معك. سألتها: أين مستقنين ليلة  
الكريسماس؟ قالت: لا أعرف. قلت: تعالي عندها. دخل أحد الطلاب  
فلم ترد. كانت لا تكف عن الحركة. تقفز. تجلس. تجذب للبلوفر  
إلى أسفل. وفقت في لنافذة فتجد البنطلون بين ساقيها. مدت يدها  
وغطت منفرجها. أرستني حذاء أسود لامعا برقبة طويلة وكعب  
طوله 7 قراريط. سألتها: أين حصلت عليه؟ قالت: نا رينك.

سألتني: ما رأيك فيه؟ قلت: لا بأس به. لم يعجبها ردي وقالت: هل تعرف كم ثمنه؟ 220 روبل وبالأمس كان 200.

دخلت زميلتها. دار الحديث حول الحذاء. لمحت الكيلونات فأشارت إليها قائلة: لرفعي هذا الشيء من هنا. لم تعبأ ناديا بها. دخل أكثر من واحد وواحدة وأنا أتوقع في أي لحظة أن يرى أحدهم الكيلونات ويعلق عليها. لم تهتم هي ولم يعلق أحد. كنت أجلس قريبا منها فملت عليها وقلت: لماذا لا تخفين هذه للفضيحة بعيدا؟ قالت: بالنسبة لنا هذا شيء طبيعي. لم أفهم ماذا تعني.

نق جرس التليفون فرفعت ناديا السماعه. بكت فجأة. قالت: أمي مريضة بالقلب ويقولون بمسببي. بعد قليل قالت إنها كانت قد وعدت أمها بالزيارة لكنها تأخرت عند إحدى صديقاتها ونامت عندها. قالت بعد قليل إن أمها انهارت عندما أبلغتها انها ستطلق الشاب الذي تزوجته منذ أيام ولا تعرف لماذا فعلت هذا لأنها لا تحبه، وإنها كانت تعرف واحدا من أربعة أعوام وفي لحظة غضبت من شيء نافه فقررت الزواج بالآخر. قلت: كيف يمكنك النوم معه إذا كنت لا تحبينه؟ قالت أنا لا أنام معه، أنام في حجرة أخرى. أخذت ترتب محتويات درج المكتب. حكمت حكاية طويلة حول ضجة المنازل الحديثة وكيف يسمع للصوت من أعلى ومن أسفل. قلت لها: الآن عرفت لماذا لا تتامين مع زوجك. قالت: كيف؟ قلت: كى لا يسمع أحد صوتكما. قالت: إذا أعجبني شخص ما أنام معه ببساطة.

دخل نفس الشاب الذي أحضر لها المفتاح من بواب المعهد. خاطبته: ماما مريضة ونقلوها إلى المستشفى، لا بد من شراء ورد والذهب إليها. غادرت الغرفة وسمعه يقول: اللعنة. عادت وخاطبته: لماذا أنت صامت؟ ثم قامت وقالت لي: أعطني سيجارة من فضلك. أعطيتها ولدت أن أشعلها فقالت: لا، معي كبريتي. وقت مستعدا للانصراف فأشارت لي بعينها أن أبقى. غادرت لرفة وعادت بعد لحظة. قالت لزميلتها: سيتكلم أحد بعد قليل، فولي له لي ذهبت إلى أمي. التقت حقيبة يدها وكيسا ممتلئا من البلاستيك واستعدت للانصراف. استوقفتها: لم تقولي، هل مستقضي الكريسماس معنا؟ قالت: لا أعرف، غدا نتفق. سألت: ستأتين في الصباح؟ قالت: أجل.

## 110

في الصباح مضيت إلى المعهد. كان الجو دافئا. والتج توقف عن السقوط. مشيت بنشاط. وشعرت أن خفقان قلبي قد زال. وجنتها في غرفتها مع زميلتها وقالت لي إن أمها عادت إلى المنزل وكل شيء على ما يرام. جلست أنتظر أن نتحدث بمفردنا. لم تحرك زميلتها. غادرت ناهيا الغرفة وعادت تصفق في سعادة: منذهب الآن. تكلمت في التليفون. سألتها: هل ستأتين عندنا؟ قالت: ستكون جلستكم أنتم. قلت: سأنتظرك. قالت: ساكون في الأبنشيوتي

عند طلبة في الطابق الثاني وأستطيع أن أمر عليكم بعد منتصف الليل. قلت: ماذا بشأن الغد؟ لقد تعودت على رؤيتك كل يوم. قالت مفكرة: متى؟ أنت تعرف أن لدى زوجا وأما. قلت: بالنهار وسأتركك لزوجك بالليل. قالت: لا، سأكون عند أمي بين الساعة 11 و5، كلمني هناك. أعطيتي الرقم وقالت: لكن لا تقل لأحد من زملائك. قلت: بالطبع.

غادرت المعهد مع هاتز. رويت له حديثي مع نالينا. قلت إنني أفكر في حجز مكان في مطعم للغد. قال: لن تجد مكانا وليس هناك مطعم يقبل حجزا الآن. قلت: سأخذها إذن إلى شقة عبد الحكيم. قال: إنها من النوع الذي يستسلم من أول مرة وإنه شخصيا يفقد الاهتمام إذا لم يتم هذا. سألته: كيف عرفت؟ قال: كنت أذهب إلى منزلها كل صباح بعد أن تخرج أمها. اشترينا زجاجتي فودكا ووقفنا في طابور طويل من أجل البرتقال. تصورت نالينا أمامي في بكيني بساقبها البيضاوين وشعرها منسدل على وجهها. قال: الرجال نوعان: تالرس ذو الذكورة الصارخة وأنا وأنت حيث نسبة الأنوثة أعلى، المرأة العادية سلبية، تستمتع بمطاربتها ويحب للخلد والنشوة إلى جسمها عندما توشك على الاستسلام. قلت: أنا أحتاج إلى بعض الوقت مع للمرأة حتى آلفها قبل أن أستطيع النوم معها.

لم أقم جيدا. مضطرب اضطراب المراهق للذهاب إلى أول موعد مع فتاته. خلقت نقفي وأفطرت وارتييت أحسن ملابسني رضاءا جيدا. وصف لي هانز مكان البريوسكا، لأشتري كبة رمخ وبعض الأشياء. أخذت معي عدة سرتيفيكات، للرويلات الورقية التي تحمل محل الدولار. خرجت متاقلا. أخذت للباص إلى محطة المترو. غادرته في محطة كييفسكيا. ركبت الترولي لنزحم إلى بروسبكت ماركس وأخذت ترولي آخر. مشيت طويلا لبحث عن البريوسكا. الساعة الواحدة كلمت أمها في التليفون فقالت إنها لم تأت ولم تذكر أنها ستأتي. عبرت للشارع عدة مرات بحثا عن الحانوت بلا فائدة. الساعة ٣ تلفنت مرة أخرى. ردت أختها. قالت إنها تلفنت وستأتي بعد قليل. قررت أن أتحرك بسرعة. وقفت نصف ساعة في محل لحوم جاهزة لشراء روزبيف وعندما وصلت إلى البائع أعلن أن ما لديه قد نفذ. عدلت عن شراء بطة محمرة. واصلت البحث عن البريوسكا. وقفت أمام كشك تليفون أنتظر عجوزا بيضة تتحدث في بطة. عندما انتهت وقفت نتطلع إلى صائمة. أدركت أنها تنتظر مساعدتي لإخراجها من الكشك. فعلت بصعوبة وأوصلتها حتى الرصيف الآخر وعدت. تلفنت. قالت أمها إنها جاءت ثم خرجت مرة أخرى وستعود في الليل قرب التاسعة. عثرت على الحانوت. الملعك كثيرة ومتوفرة ومصفوفة جيدا ومغرية: الفراء الثمين والسمك الفنلندي والجبن الهولندي والفولكه العربية، حلويات اللوز، الطماطم والسمك المطب من بلغاريا

ودجاج هولندي ملفوف في سوليغان لامع وسجاير مارلبورو، فضلا عن المنتجات الروسية التي لا توجد في الحوانيت العادية. اشتريت كبد غنم، ليمونتين، خياراً مغلفة، سمك أحمر، جبنة دانمركية، فوكا فنلندية. عدت إلى الأبهشييتي. كان هانز في انتظارى. حمزنا للكبد وشربنا للفوكا. انضممت إلينا أنستاسيا محتجة: لماذا لم تدعوانى؟ كنت جالسة أنتظر. قال لها: غداً آخر يوم في علاقتنا. قالت: لا بهم. قالت: في مدينتى لا يوجد لحم ونضطر لشراؤه من السوق السوداء. قلت: لماذا تقبلون هذا؟ قالت: علمونا ألا نحتج، لو تكلمت سأدخل السجن. ذكرت أن زميلتها الإيطالية استأجرت مع للطالب الليوغوسلافى غرفة في فندق وأنها - أى أنستاسيا - تقيم الآن وحدها. ودعت هانز للصعود معها إلى غرفتها. قررت ألا أتصل به فلها.

## 112

في التاسعة صباحاً شعرت - هانز يدخل الغرفة مع أنستاسيا ويرتدي معطفه ثم انصرفا. قمت وأفطرت. أدت موسيقى روسيني ثم كارمن والبوليو. تناولت للعدد العديد من مجلة هلاى بوى. قصصت صور الفراعة وأصقتها في تكوينات جنسية فاضحة فوق زجاج الخزانة. قرأت مقالا عن أحجام العضو للذكري. وتحشت قارئة عن رأيها فقالت إن الحجم لا بهم طالما



يعرف الرجل ماذا يفعل بما عنده. عادت أنتستاسيا مع هانز بعد أن  
 نشيا في الثلج. حكيت لهما رأى القارئة. قالت إن هناك قولا  
 روميا بهذا المعنى. لاحظت صور الفراغة للمصقة فضحكت.  
 لمرت إلى إحداهما قائلا: رمسيس الثاني، تزوج 44 امرأة، وله  
 أكثر من مائة ولد وبنت. اقترحت علينا الذهاب إلى صديقة لها  
 عاشت قرا البخت للتبؤ بأحداث العام القادم، وكلها أشياء تدور  
 حول الرجال. قالت: كلمتها في الصباح ونكرت إنهم ثلاث بنات  
 مع رجل نائم. شعرت أنها لا تود الذهاب وبالفعل قررنا البقاء.  
 سعت هانز يقول لها: لا أريدك. قالت: لماذا؟ لم يبق لي إلا أن  
 أكون لمسيكنا (عاشقة للنساء). توافد للزائرون. هند وأمل مع  
 الشب اللاتفي. ثم ظهرت تامارا بساقيها الرائعتين وشفيتها  
 المستلثين. تبادلت القبلات مع هانز ورقصت معه. تجمعوا حول  
 صور الفراغة. فرغت زجاجات الشراب فبدأ للبحث عن خمر في  
 العرف. قالت هند إن الحوانيت مغلقة والحل الوحيد عند سائقي  
 الناكسي، فهم يحتفظون دائما بزجاجات فودكا يبيعونها في أمثال  
 هذه المناسبات. ارتديت معطفي ونزلت إلى الشارع بحثا عن سيارة  
 تنكسي. وصلت إلى سينما الحي فرأيت أن هناك فيلما بعد نصف  
 ساعة من المقايء الغربية. اشتريت بطاقة ودخلت. جلست بجوار  
 امرأة وحيدة. قربت ساقي من ساقها بالتدريج متلمسا رد فطها ثم  
 جعلت لأعك ساقها برجلي وتركنتي هي في البداية. ربما لم تنتبه  
 لولدت أن تعرف ماذا أريد. فعلا ماذا أريد؟ أبعثت ساقي.

ذهبت إلى المعهد بعد الظهر. تجنبت غرفة نالدا ثم صانفتها في غرفة أخرى تتسق شعرها. كانت في رداء لُزرق قصير كشف عن ساقَيْها الرائعتين. بدت متوهجة ومتوثبة بالحياة. قلت وهي تشير إلى مقعد بجانبها: تريدني؟ قلت: أنا لُريدك دائماً ولكن ليس الآن. ثم أضفت: أنت لُيقة جداً وجميلة، هل لديك حفلة اليوم؟ لم ترد وسألتني بدورها: كيف كان احتفالكم؟ أظن كانت لديكم ضجة هائلة في الأُبشجيتي. قلت: نورمالنا (عادي). هل الغرفة مفتوحة؟ سألت: تريد أن تتلفن؟ تعال. رافقتني إليها. كانت زميلتها تتحدث في التليفون. جلست نالدا ثم وقفت واقتربت مني قائلة: سكوشنا (ملول)؟ ثم طلبت من زميلتها أن تنهي حديثها. تلفت. دارت حول نفسها ثم قالت: نخرج من هنا. قلت: بنا. غادرنا الغرفة إلى الممر. في الردهة قال لها أحد المشبان الروس الخجولين: نالدا، أنت لليوم حقاً جميلة. فابتسمت وقالت له وهي تبتعد بسرعة: سباسبيا (شكراً). قالت لي: تعال لُريدك المعهد. هبطنا إلى الطابق الأرضي. التقينا عامل المخزن للعجوز يترنح من السكر. خاطبها قائلاً: هل أنا ضروري؟ أجابته ضاحكة: ليس لليوم يا ديم. قالت لي إنه دائماً ثمل، تقاعد منذ سنتين لكنه واصل العمل، لم تكن نحتاج إليه معظم الوقت، وبالصدفة احتجناه مرة ولم نجاهه، كان قد مل الانتظار وانصرف يسكر، عوقب بخصم من راتبه، بعد ذلك كان يأتي كل يوم ويسأل في مسكنة: هل أنا

ضروري؟ بلغنا نهاية كوريدور فتوقفت قائلة: هنا حجرة مظلمة  
لكنشفها. قلت: بمفردك؟ انطلقت ضحكاتها. عدنا إلى غرفتها. ماذا  
كانت تريد من اصطحابي إلى الغرفة المظلمة؟ تناولت كتاباً لـ  
بذلك وقالت: الجزء الثاني، قرأت الثالث من قبل، مرعب أن نقرأ  
من النهاية، كأن نقرأ قصة واحدة في شبابها وقبل ذلك كنت نقرأ  
مونها في شيخوختها. دق التليفون. تناولت السماعة ورحبت بأمرها.  
بدا عليها الضيق. أبعدت السماعة عن أذنها ثم أعادتها بعد لحظات  
قليلة: خراشوا، خراشوا. دق التليفون مرة أخرى. ردت عليه  
بسرعة. قائلة نعم، خراشوا، هل أنت في المنزل؟ ساكلمك. كنت  
أتمل ساقها طول الوقت ولاحظت أنها لا ترفع عينيها عنهما.

تركتها ووقفت مع العامل المسكران. شكى لي من أن ولديه  
لرافقين خوليجاسي (متشردان) لا يهتمان بالمدرسة وإنما  
بموسيقى الروك الأمريكية. غادرت المعهد. مشيت منكمشا حتى  
الأبشجيتي. وجدت غرفة لطفي مفتوحة. كان فؤاد الشركمي جالسا  
بجواره والدموع تسيل من عينيه. طلب مني أن أجلس بجواره.  
قلت له بقسوة: أنت سكران؟ جاء حميد وبشار. انفجر فؤاد في  
الأول: تقول لي إني غليظ؟ من هو أبوك؟، أنتم جميعا تحت قدمي  
وموشيه دالين أيضا، جاعني جواب أن أخي مات في الحرب. نقياً.  
تكلت خرقة بجوار الباب وأزلت آثار اللقيء. أراد أن يضربني  
عندما مزحت معه. خرجت مع لطفي إلى الكوريدور لننسخ. مرت  
بنا فتاة ممثلة الجسم ذات بياض شاحب. ابتسمت لنا. غمز لي

لطفني بعينه وقال هامسا في زهو: هل تعرف مارشا؟ نعمت معها  
وهي ممتعة.

## 114

لم أكد أنتهي من تنظيف الغرفة وترتيبها حتى طرق الباب.  
فتحت لأجد للقومندانة أمامي برفقة عدد من الرجال والسيدات  
المتقدمين في السن. تعرفت بينهم على رئيسة اللجنة الصحية. قالت  
القومندانة إنهم يمرون على الغرف للتأكد من نظافتها واستأذنت في  
الدخول. أفسحت لهم الطريق. وقفوا في منتصف الغرفة يديرون  
البصر في أرجائها. اقتربت القومندانة من الخزانة الخشبية وانحنيت  
تأمل في زهول الصور الفرعونية الملصقة. فتحت فيها لتقول شيئا  
فانحبس صوتها. قالت لي: لنزع هذه الصور حالا.

## 115

ارتدى هاتز ملابسه واستعد للخروج. دق باب الغرفة ففتحته  
لأجد زويا أمامي. كانت ولجمة وبطنها منتفخة خلف جوبة ملونة  
وبلوزة. حياها هاتز في برود واستأنن خارجا. خلعت معطفها

ولقطة رقبته فكشفت عن صدرية صوفية يبدو منها أعلى ثديها. جلست واجمة على حافة الفراش بجولري. سألتني: هل عندك ما شرب؟ فتحت لها زجاجة نبيذ. نظرت إلى بطنها وقلت: ماذا نطقت؟ قالت: كما يفعل كل النساء. أحطتها بماعدي فدفنت رأسها في صدري. وفي هذا الوضع كنت أرى ثديين ممثلثين بسبب الحمل فيما بينو. مدت يدي داخل صدريتها وقبضت على ثديها. دق الباب في هذه اللحظة وعاد هاتز باحثاً عن شيء. هبت ولقطة رتلوت لفاحتها ومعطفها وقالت: يجب أن أذهب الآن فأني نتظرني.

## 116

استدعاني العميد المسئول عن الأجانب. كان طويلاً مئناً البنية بنخل للبياض شعر رأسه ويشاع أنه من رجال المخابرات. رحب بي وأخذني إلى ركن غرفته فجلسنا حول مائدة صغيرة. قال وهو يتشم: ما هي قصة الصور؟ مما أسمعته أعتقد أنكم لا تحتاجون إليها. قلت: كانت محاولة لكسر جمود التماثيل ورؤيتها من منظور معاصر. قال: والصحف التي تقصها؟ قلت إنها جزء من بحثي عن التاريخ. تفرس في بعينين زرقاوين: أنتما الآن اثنتان في الغرفة. لنفعل قدم إلى وجهي وقلت: لا. نحن أربعة. قال: حميد وفريد

بقيمان في الخارج. قلت: أحيانا. سألتني عن الأوضاع في مصر. وانتهت للمقابلة. خرجت أفكر في مغزاها. هل هي رسالة لي بأنه يعرف كل شيء عني؟ وما هي مصادره؟ استعرضت كل من يترددون على الغرفة. يمكن أن يكون أي واحد أو واحدة. رويت تفاصيل المقابلة لـ هاتز مستفسرا عن رايه. لم يعلق.

## 117

سألتني ناليا: إلى أين نحن ذاهبان؟ أتمنى ألا يكون الأبشجيتي فأنا معروفة للطلاب. أجبت: اطمئني، شقة صديق. لم تختلج في وجهها عضلة واحدة. فكرت أنها لا تعلم عني الكثير. حتى اسمي لا تعرف كيف تنطقه. كانت ترندي قبعة صوفية وتلف عنقها بلفاحة من نفس النسيج واللون. تبعنتي داخل الشقة وجلسنا فوق أريكة في الصالة. كنت أعددت مائدة حافلة. لكنها لم تأكل شيئا واكتفت بقليل من الفوكا. ولم تهتم بعدم وجود موسيقى. لم تكف عن الثرثرة. سألتني عن هاتز وإذا كان يأتي إلى هذه الشقة. قلت: أحيانا. قالت: وحده؟ لم تنتظر الإجابة إنما حدثتني عن شخص أفغاني جميل أحبها ويبحث لها برمائل. سألتها: هل نمت معه؟ قالت: لم يكن هناك وقت. عدت أسأل: هل أحببته؟ قالت: كيف؟ إنه متزوج. ثم سألتني في تردد لو في لهجة من يفكر في شيء معين

ويريد أن تأتي لهجة مؤللة أبعد ما تكون عن هذا الشيء: كم تبقى لك من وقت في المعهد؟ وهل ستعود بعد ذلك مباشرة إلى وطنك؟ قلت: لا أعرف بعد. قالت: وهاتر؟ قلت: نفس الشيء.

لعلها غرقت في حلم بقطة. قالت إنها تزوجت لتتخلص من سيطرة أمها التي تريد لها دائما في المنزل في منتصف الليل، وإن زوجها من البلطيق. كررت أنها لا تحبه. قلت: ربما أراد الحصول على تصريح بالإقامة. قالت بلهجة من فكر في ذلك من قبل: لا لأن، إنه حقيقة لا يريد الإقامة في موسكو. قلت: إذن ربما كان بحبك. قالت: أعتقد ذلك. اتخذ جسدها وضع للمتلقى دون أي حركة إيجابية من جانبي. رفعت كأسها وفعلت المثل. شربت نراعا في نراعي وقبلتي قائلة: الآن كل شيء أصبح وفقا للقواعد. أدركت لي سألها الليلة. ومع ذلك احتفظت بحزري فربما تمنعت في آخر لحظة لأي سبب. ثم قلت لها إني أحب أن يكون شعرها منسابا حول رأسها. أردت أن أفك مشابك الشعر فساعدتني. وبعد ذلك لخصنتها بقوة. ألصقت بي فخذها تتلمس رد فعلي. لكن لم يكن منك. قلت بلغة متعثرة كأنما أحاول إقناع نفسي: أنا لأريدك جدا. لجبت على الفور: خراشمو. أردت أن أخلع لها حذاءها. لكنها رفضت وقالت: يا سلامها (أنا أفعل) أين التواليت؟ أطفأت الأنوار. علنت بعد فترة وخلعت ملابسها في خجل. لم ترد أن أنظر إليها ولم تسمح لي بالاقتراب منها إلا عندما رقدت وتغطت بملاءة. كانت رائحة عرقها غريبة وكانت هناك أيضا رائحة تأتي من

قميها. جوب لم يغسل منذ عدة أيام؟ كنت ثملا فتمكنت من تجاهل قضية الروائح. كان جسدها ناعما. الثديان على غير ما توقعت ممثلتان في شكل للكمثرى. شفتاها جافتان وعندما أقبلها نبألهما بلسانهما. أي لمسة لأننها تثير ضحكها. رأسها يتحرك دائما ولا بهدا. انحزيت فوقها وفتحت ساقها. ثنت ركبتيها قليلا لكنني فشلت في دخولها. أصابني الرعب. أين المكان؟ هل نسيت؟ أو لعلي لم أعرف أبدا. وهذا الامتلاء في منفرجها محير. دخلت لكن بشكل غير كامل. تطلعت إلى وجهها. رغم الظلام تبينت في عينيها شيئا من الذهول والخوف. فقدت انتصابي. واستلقيت إلى جوارها. وضعت يدي تحت ثديها ورفعته في كفي مستمتعا بنعومة المنحنى الذي يربطه بالصدر. أردت أن أقبل بطنها فرفضت. تظاهرت بأنني سأقبلها بين ساقها فابتعدت في حدة. وتركت لي ساقها بعد أن ضمتها في ثوتر وفي نفس الوقت جعلتها في زاوية تبرز جمالها والسبابهما ورفعت رأسها تتأملهما.

وضعت فخذي بين ساقها وشعرت بمخونتها وبللها فوق ركبتني. حركت ركبتني لكنها لم تستجب. هذه امرأة لا تضيق وقتها في الأعباء المراهقين. اعتذرت فوالها من جديد وتمليت أن تحتضني وتقبلني وتدللي وتقول إن كل شيء سيكون على ما يرام وأنني أعظم رجل في العالم. وفي ثالثة عدت ذلك الطفل الصغير فوق صدر الأم المريض، رغم أنني أكبرها بعشر سنوات على الأقل. لكن اللحظة ضاعت. وعدت أعالي من عجزتي. قالت في محاولة



لتعويل انتباهي إن زميلتها معجبة بي، وإن عمرها 46 سنة وتعيش  
منذ عشرين سنة في مسكن يوجد به زوجها السابق في حجرة  
وعيشته في حجرة أخرى، ولا أولاد لديها بسبب عملية إجهاض  
وتنح دائما لأن يحبها ثاب في السابعة والعشرين ويرغب في  
الزواج بها. سألتها عن زميلتها الأخرى. قالت: سقيتا؟ إنها لا نكتم  
شيئا، حتى أنها اعترفت لي بأنها نامت مع أخيها الأصغر منذ مدة.  
وقلت إنها تعرفت بجاليا صديقة عننان التي قالت لها إن تتصل  
بها لو احتاجت إلى ملابس وذات مرة طلب منها مساعد المدير لن  
يبحث له عن حذاء لعروسته فأحضرت جاليا ولحدا بمائتي روبل.  
جنبتها إليّ فقاومتني. فكرت أن ما تبديه من مقاومة هدفه  
لستأرتي. لكن هذا لم يتحقق. قلت: إني أخافك وهذا هو السبب. بدأ  
لحنك ركبني بقماش الأريكة يؤلمني. أما هي فلم تبد مللا أو  
ضيقا. وعندما أدركت أن للموقف لن يتغير قالت في هدوء: كم  
لساعة الآن؟ لا بد من ذهابي، أنت متعب لليوم. لم أعارضها.  
شربت كوبا من الماء وارتدينا ملابسنا. في للتاكسي سألتني: لماذا  
أنت مبتسمة؟ قلت: آسف لما حدث. للتصقت بي وأمسدت رأسها إلي  
كفّي. ونامت.

ذهبت إلي غرفتها في المعهد. كانت ترتدي رداء أحمر اللون مشقوقاً من أمام فوق ركبتيها. شعرت بعيني تتجهان إلى الشق فوضعت يدها خجلاً فوق فتحة للرداء. سألتها: ماذا مستغلين غدا؟ قالت لا أعرف. قلت: نتقابل. قالت: في مرة أخرى فسأمر علي أمي في الصباح ثم في الساعة الثانية أذهب لإحضار كلب وأخذه إلى المنزل. قلت: إذن في الخامسة قالت: أين؟ قلت: عند نفس المحطة. قالت بضيق: مرة أخرى سأركب الخط للدائري. دخلت زميلتها وهي تهتف: أوزة! يا للعجب وجدت أوزة، وقفت في الطابور ساعة ونصف من أجلها. سألتها ناديا بلهفة: أين؟ أجابت: من حانوت في الجوار، تأتين معي؟ سأمر عليه ربما أصادف شيئاً آخر، فاكهة مثلاً، نشترى كمية ونضعها في النافذة كي لا تتلف. قالت ناديا في استنكار: إذا كان الموز أو اليوسفي أو البيض للفنلندي أو الدجاج الهولندي متاحاً اليوم فلماذا لا يكون ذلك كل يوم؟ لماذا يلقون إلينا بالطعام قبل العيد فقط؟ وفي كميات ضئيلة بحيث يضطر الناس إلى الوقوف في طوابير بالساعات؟ ظهر هاتز عند باب الغرفة. نظر إلى ببرود. قالت ناديا إن زوجها الآن في المنزل مع عدد من زملائه وإنها لتفقت مع هاتز أن يرافقها حتى محطة الباص. غادرت المعهد وحدي ورأيت العامل للعجوز ديماء داخل حانوت الخمر يتلفت حوله. كان يضع إصبعين على حافة ياقة سترته إشارة إلى أنه يبحث عن شريكين في زجاجة فوكا.

انطلقت في الظهر إلى شقة عبد الحكيم فرتبها وحلقت نقي بغاية. وجدت رسالة مفتوحة فوق مائدة الصالة. تناولتها. كانت موجهة إلى عبد الحكيم من صديق له. ألقيت عليها نظرة. قرأت: 1- رجاء الاهتمام بإرسال خطاب علاج أختي وأفضل لو تتكرم بترجمته، وسأرسل لكم تقريراً طبياً بالحالة كلها ولعلمك فقد ظهرت بولدر ورم بالثدي الأيسر وبعد اكتشافه بنحو أسبوع أجريت عملية استئصال الورم وتحليله وتبين أنه سرطان فأجريت عملية استئصال للثدي الأيسر بأكمله والغدد الليمفاوية تحت الإبط ولم تكن ملتهبة. المطلوب دعوتها لاستكمال العلاج بمعهد للسرطان بـ موسكو مع أخيها وطبيب مرافق. 2- شراء اكسموار راديو ترانزستور ريجا مع محول كهربائي 21 فولت خاص به. 3- شراء جهازي تنليك للوجه (الواحد بـ 11 روبلاً) من حانوت الجوم. 4- إرسال دواء لمرضى بالقرحة يهمني أمره (أربع زجاجات).

أعدت الخطاب إلى مكانه. خرجت إلى محطة مترو كييفسكايا في الخامسة. وقفت أنتظرها في الباحة الخارجية. كنت بردانا وجوعانا ومتعبا وليست لدى أي رغبة. فكرت أن ألتعب ربما بصرف نظري عن التفكير في عجزى. تأخرت فتمنيت ألا تأتي. سأعود لأكل جيداً ولنام. صعدت الدرج إلى أرصفة القطارات المتجهة إلى الشرق. بحر من البشر يتحدثون لغات مختلفة في ملابس متنوعة الألوان والأزياء، تتبعث منهم عشرات الروائح.

وقفت بجوار أربعة من البحارة لفتحوا الأرض قرب منصة لبيع  
الشاي والليرة. اثنان منهم يلعبان الشطرنج. والآخران يتبادلان  
الشراب من زجاجة فوكا. قال أحدهما للثاني: لا تقلق، القطارات  
تأتي دائما في موعدها، ربما هي الشيء الوحيد للمنضبط في  
البلاد. مرت فتاة ترتدي معطفا خفيفا فوق سروال متعدد الألوان  
وتغطي شعرها المضفر بشال أصفر اللون. قدرت من ملامحها  
وطريقة تصفيفها لشعرها أنها طاجيكية. وكانت هناك عائلات  
لوزبيكية فوق جوانات تضم ممتلكاتها، وعجريات يبعن أدوات  
تجميل. كن بجويات منتخبة في ألوان زاهية وحلى ذهبية تتعارض  
مع وجوههم المنسخة. سألتني أحد الشاربين: من أين؟ قلت: عربي  
من مصر. سمعني أحد الأوزبيكيين فاتجه نحوي وتبعه زملاؤه.  
كانوا يرتدون الطواقي المزركشة والجلابيب فوق سرلويل ملونة  
وتبدو عليهم الحيرة والارتباك ويحمل أحدهم مصحفا عربيا في يده.  
خطوت في اتجاه النزول فتبعوني. توقفت فتوقفوا. استأنفت السير  
فاستأنفوه. هل اختاروني إماما لهم؟

هبطت إلى محطة المترو. في الخامسة والنصف قررت أن  
أنصرف. شحنت نفسي ضدها: فتاة مستهترّة حمقاء بلهاء. أخرجوا  
سكيرا من مبنى المحطة ووضعوه في عربة إسعاف. جاءت في  
السادسة إلا ربعا. قالت: متأسفة، لن أتاخر بعد ذلك.

كان شعرها مفكوكا حول رأسها. وكانت ترتدي معطفا جالديا  
فوق بلوزة سملوية وجونلة قصيرة بين الأخضر والأزرق. وحذاء

لامعا برقبة عالية حتى الركبتين. بدت طازجة كما لو كانت خارجة من الحمام. ذهبنا إلى الشقة. رفضت أن تأكل وشربت قليلا جدا. قالت حدثني. ملت عليها لأقبلها. أبعدت وجهها. حاولت مرة أخرى. أعطيتني شفتيها. انتصبت. لتصقت بها كي تشعر بذلك ونطمئن! بعد لحظة صمت طلبت منها في حرج أن ترقد. غادرت الغرفة وأحضرت مرتبة ووسادة بسطتهما فوق الأرض. عند عودتي وجنتها قد أطفأت النور ووقفت أمام للنافذة وقد خلعت رداءها وبقت في قميص داخلي. بسطت للمرتبة فوق الأرض. خلعت ملابسها ووقفت إلى جوارها. وضعت يدي على ظهرها وفدنتها إلى المرتبة. استلقت عليها وفوجئت بالحيوية تدب في جسدي. اعتكلت فوقها. حاولت لكني لم أتمكن من تحديد المكان. فقدت حيويتي. قلت لها بنبرة اتهام: لماذا طردتيني؟ أنت مأكرة. قالت: لست مأكرة، أنت ساذج. قالت بعد لحظة: أنت تعتقد أنني سيئة. قبلتها في حرارة مفاجئة وتحركت تحتي. عضضت شفتيها. قلت إنني أريد أن أضربها بسبب تأخرها. كانت أبحث عن ذلك الشيء الذي يمكن أن يشعلها ويشعلني بالتبعية. لكن استجابتها كانت طبيعية دون توتر أو رفض ودون حماس. عضضت شفتها عدة مرات. استعدت حيويتي. أردت أن أهتف بالروسية: هورا. رفعت المخذة من تحت رأسها لأن فتحتها كانت إلى الخلف قليلا على غير العادة. زحفت داخلها وهي تتأوه تأوهات صغيرة غير حارة. أو ربما متكلفة. كانت عيناها مفتوحتين على سعتهما وربما تتألم قليلا

لأنني لم أكن أتحرك حركة المدرب وبشيء من فجاجة الغشيم. وعندما شعرت بي انطلق إلى وجهها أغمضت عينيها متظاهرة بالنشوة. كلما ازدبت ثقة تضاعفت حيويتي. بدأت أتحرك في بطن وهي تستجيب دون أن تبدر منها أي حركة أو فعل. كانت ضيقة للغاية. خبرة محدودة؟ لم تجرب الحمل؟ شعرت بالنشوة للدائرية التي أحاطت بي ولوشكت أن أنتهي فتوقفت عن الحركة. حاولت عدة مرات. وأردت أن أعرف مدى استجابتها: هل تتأخر لم تنتهي بسرعة. قلت لها: أريد أن نأتي سويا. لكنني لم أتمكن نفسي فدفنت رأسي في عنقها وتحركت وهي تستجيب دون ارتعاشة ما. قبلت ساعدي. دفعتني بعد قليل خارجها. وقامت إلى التواليت. عادت لترقد من جديد. سألتني في حذر عن نفسي. سألتها عن مدى استجابتها. قالت: بسيطة وسريعة. قالت: أشعر بالراحة. قلت: لا اعتقد. قالت: لماذا؟ قلت: لأنك لم تأت. قالت: هكذا نظن؟ بعد نصف ساعة فوجئت بنفسني أستعيد حيويتي. طلبت منها أن تحرك عضلتها لكنها لم تفهم. انتهيت فجأة. لم يكن أدائي جيدا. ربما لأنني لا أعرف بعد ماذا يثيرها. وربما كان تعثر اللغة هو السبب. أو كنت أبحث عن شيء لا وجود له.

تطلعت من خلف زجاج النافذة إلى الجليد المترام. قلت لـ هاتز: أنتكر فيلم فيليني عندما صعد للرجل المجنون إلى أعلى شجرة وصاح: أريد امرأة؟ أهو أنا هذا المجنون. انتجهت إلى فراشي وأنا أرند: تعالي لي يا أمي. رقدت وجذبت الأغطية فوقى قائلًا: تعبت، لا يمكنك أن تتصور أنى تعبت إلى هذا الحد.

رأيت باب غرفة لطفي مفتوحا وهو جالس في ملابس أنيقة يقرأ كتابا عن فلسفة الجمال. وجهت إليه التحية فدعاني للدخول. جلسنا نثرثر. سمعت وقع أقدام سريعة في للكوريدور فنهض واقفا وهو يقول: مارشا. لكن الأقدام تجاوزت باب الغرفة وتبيننا أنها لفاتة أخرى. عاد إلى مكانه فوق للفراش وقال إنه أنهى للموضوع معها تماما وإن زوجته ستأتي من مصر بعد ستة أيام. جاء حميد وشريف. استمعنا إلى راديو صوت أمريكا بعد أن أغلقنا الباب جيدا. استطعنا أن ننتبين بعض ما قاله رغم التشويش. قال إن حكاه بكن يرون أن بيتهوفن مع شوبرت وموتسارت بعزفون نغمة على "صندوق للنقود الرأسمالي القديم". وعلق للراديو بأنهم لفزعجوا من الاستقبال للحماسي الذي لاقته ثلاث لوركسترات غربية في العام

للماضي فشنوا هجوما على الموسيقيين المنحرفين. وقالت إحدى صحفهم إن بيتهوفن كان رأسماليا ألمانيا بينما ترجع كآبة شوبرت إلى اضطهاده من قبل حكام النمسا الإقطاعيين، وإنه لو كان ماركسيا جيدا لأكمل الميمفونية الناقصة. أما موتسارت فلا يستحق أى اعتبار لأنه لم يكتب شيئا يمكن مقارنته بـ "الفتاة ذات الشعر الأبيض" وهو باليه ثوري صيني. ضحكت عندما تذكرت أنني قرأت في صحيفة مصرية كيف يحرم داعية إسلامي مشهور الاستماع إلى بيتهوفن.

## 122

ذهبت مع لطفي إلى عبد الحكيم. وكان لديه بعض الطلبة المصريين. ذكر أن هيكल ألمح في مقال له إلى أن الإسرائيليين لن ينسحبوا خطوة واحدة بعد الآن. قال لطفي إن السادات يبيع البلد للأمريكان، وإن الطلبة المصريين في جامعة موسكو علقوا جريدة حائط رسموا فيها السادات محتضنا ميمي شكيب المتهم الرئيسي في قضية شبكة الدعارة، وكتبوا تحته: "الانفتاح على أمريكا". وذكر آخر لا أعرفه أن الصحف المصرية تنشر تسجيلات تليفونية للفتانات المتهمات في القضية. وإن واحدة شهيرة قالت للمتهم الأولى: "عجوز عجوز، ابعثيه وأنا أوقفه بسهولة". وفي التحقيق



قالت لوكيل النيابة: جاي تشطر على، متروح تشوف لمك وأختك.  
انتقل الحديث إلي أوضاع للصحافة في مصر فقال عبد الحكيم إن  
علي أمين، بعد تعيينه مكان هيكل في جريدة الأهرام، كتب يطالب  
بتعويض الفنانة اللاتي اعتقلن في شبكة الدعارة عما لحق بهن من  
إساءة. وصرح في التلفزيون إنه سيبس جريدة الأهرام لولا  
ملابس داخلية ثم الخارجية بعد ذلك. وقال شحاتة إن المصريين في  
كلية الفلسفة اجتمعوا في ندوة لمناقشة مقال توفيق للحكيم عن عودة  
الوعي، لكنهم فضلوا أن يلعبوا لعبة الأطفال المعروفة باسم  
"عروستي". وعلق بقوله إن جميعهم تجاوزوا السن التي يسيطر  
عليها الفضول والتوهج وكل ما يطمحون إليه الآن هو ضمان  
مستقبلهم أي الاستقرار وشراء سيارة وثلاجة ومعرفة من أين تؤكل  
الكثف. وضرب زكي مثلا بما يشغل كبار الموظفين المصريين  
بحكاية مبعوثي هيئة للتصنيع المصرية الذين جاءوا موسكو  
للتدريب. ففي مطار القاهرة وزعت عليهم أكياس من صابون  
الغسيل والطحينة ليسلموها إلى مندوبي الهيئة في موسكو للذين  
سيناجرون فيها.

جلست أعمل في المساء. وجاء بلماجد فأعددت له شايًا ثم  
 نمتسسيا وحيدر. وبعد انصرافهم جاءت مارشا تسأل عن هاتز.  
 دعوتها للدخول وقدمت لها الشاي. كانت متأقة قليلا في ستره  
 وريدية فوق بنطلون أحمر اللون يذكر بملابس المحكوم عليهم  
 بالإعدام. جلست إلى طاولتي واستأنفت العمل. تأملتني برهة ثم  
 قالت إنها كانت من قبل مغرمة بقص الموضوعات المختلفة من  
 الصحف. وإنها تقص من الصحف الفرنسية للتعليقات على الأفلام  
 الجديدة. وعندها الآن مكتبة ثمينة من الكروت فهي تعرف مثلا  
 متى كان أول فيلم لـ مارلون براندو. قالت إنها تريد أن تسمع  
 باخ. وضعت الاسطوانة. طلبت مني أن أواصل العمل. حانت مني  
 نظرة إليها فوجدتها تضع ساقا فوق الأخرى كاشفة عن ركبتيها  
 الممتلئة. سألتها لماذا تتجنب النظر مباشرة إلى عيني للشخص الذي  
 تتحدث معه وتنظر بدلا من ذلك إلى كتفه. قالت: هذا يسهل على  
 مهمة الكلام. وجاءت هند تسأل عن هاتز فقلمت لها الشاي. قالت  
 إنها تريد حكمة تعلقها في مدرسة للبنات، فقلت: "السكوت من  
 ذهب". انصرفا سويا. جاء لطفي متأقا قائلا انه يريد أن يشرب  
 الشاي وأدركت انه يبحث عن مارشا. فقلت له إنها كانت هنا منذ  
 قليل. قال لي الأمر انتهى بالنسبة إليه.

بسطة الصحيفة المصرية أمامي ولمحت في ركن منها فقرة دينية تروي جانباً من مسيرة الرسول. كان التعب والإعياء قد نالا منه فدخل غارا برفقة أبي بكر الصديق ونام مسنداً رأسه إلى فخذ الصديق. لدغت أفعى الأخير لكن مكان رسول الله منه منعه من أن يتحمل. فلما استند به الأكم تحدث دموعه فسقط منها شيء على وجه الرسول فاستيقظ. قال له ما لك يا أبا بكر؟ فأطلعه على ما حدث. فتناول رسول الله قدمه وتفل عليها من ريقه المبارك الذي هو بلمس شاف فبرأت بإذن الله تعالى.

وجدت في هذه القصة موضوعاً للتفكير. فهي أولاً قد تكون إما حقيقة أو مختلفة لمواجهة الإيمان للشائع بالمعجزات المسيحية. وإذا كانت الأولى فربما كان شفاء أبو بكر يستند إلى ما يتمتع به الرسول من قدرات خارقة وربما كان السبب هو إيمان أبي بكر بهذه القدرات. ففوة الإيمان تصنع المعجزات. تذكرت ويليام الإنجليزي الذي أصيبت أمه بالسرطان وشفيها تدريبات اليوجا.

كنت أعرف سامي ناشد من الجامعة. وجرى اعتقاله أيام عيد  
 الناصر بتهمة الشيوعية. وبعد حرب ٧٦ استقر في بيروت. والآن  
 جاعني منه تليفون أنه في موسكو بدعوة من لجنة التضامن  
 الآسيوي الأفريقي. ولين؟ في الحجر الصحي. غادرت الأبشجيتي  
 بعد أن أخذت العنوان من الحارسة. بدا اليوم صافياً. ولانمت  
 للثلاثين سنتمتراً من الجليد الجديد تحت أشعة الشمس. ولزحمت  
 قطارات المترو بهواة الانزلاق على الجليد المغادرين للمدينة.  
 وملأت للشوارع بعاملات كنس للجليد، وشبكات للنساء بالبرنقال،  
 وجيوب الرجال بزجاجات الفودكا، وأزرعهم بأشجار عيد الميلاد.  
 ركبت المترو إلى خارج موسكو. بعد استفسارات عدة وصلت إلى  
 أرض فسيحة تغطيها الأشجار. وجنته في قفص واسع محاط  
 بالسلك كأقفاص حدائق الحيوان. كان يرتدى بزة أنيقة تحت معطف  
 من الشامواه. استغرقت في الضحك وشاركني هو بعد لحظات.  
 وضع لي أنه استعد للزيارة بملابس جديدة فاخرة تحويه الأمل في  
 غزوات نسائية. قال لي إنه بمجرد وصوله أبلغ السلطات السوفيتية  
 عن إصابته بإسهال شديد فاحتجزوه في الحجر الصحي، وأنه  
 سيبقى به حتى موعد عودته بعد عشرة أيام. تحدثنا عن الحياة في  
 كل من بيروت وموسكو. قلت لو أجريت انتخابات حقيقية هنا  
 لخسر الحزب الشيوعي. صدمه كلامي. قال إن صحيفة لبنانية  
 يسارية زعمت أن كيمسجر نصح السلاطات بعد تعثر المحادثات مع

إسرائيل بتحريك الموقف على الحدود ومعنى هذا أن عبور القناة  
نال الضوء الأخضر من الولايات المتحدة. وأكدت الصحيفة أن  
تخفيض إنتاج البترول أخرج أمريكا من متاعبها الاقتصادية لأنه  
رفع الأسعار وزود للبنوك الأمريكية بمليارات الدولارات التي  
قامت بتكوينها. وعدته بتكرار الزيارة وتركته متعلقاً بسلك القفص.  
ركبت المترو ووقفت أمام عجوز ضاحك الوجه يحمل في يده  
زجاجة فوكا مفتوحة. ابتسم لشابين ورفع للزجاجة إلى شفثيه وهو  
يردد ما بدا بيناً من الشعر: أشعر بالضجر وأريد أن أسكر. عغفه  
شاب متحلق أحمر الوجه قائلاً: ممنوع للزجاجة في المترو. خلا  
مقعد أمامي فجلست شارداً. خاطبتني سيدة خمسينية واقفة: أيها  
الشباب، ألم يعلموك في المدرسة أن تحترم السيدات وتترك لهن  
أمكنة للجلوس؟ نهضت معترفاً بأنني لم أنتبه. جلست السيدة وهي  
تتطلع حولها لترى أثر المشهد في الجالسين. وتماثلت بتأمل محطة  
بنيت جدرانها من الجرانيت الأحمر وزينت بالزجاج الملون  
ونريبات الكريستال.

آخر يوم في السنة. الالهيجيتي هادئة تماما طوال اليوم. جلست في حجرتي أستمع إلى "النيل نجاشي" لـ محمد عبد الوهاب. ثم بدأنا نستعد للسهرة. وضعنا 3 زجاجات شمبانيا في النافذة مع زجاجة فيرموت بولندي و3 زجاجات فودكا. وأعدنا لطباق الخبار واللحم البارد وسك للرنجة للمقدد. قبل منتصف الليل بساعة تصاعدت الضجة من غرفة خليفة. جاءت أنستاسيا في بنطلون من المخمل الأسود وبلوزة من المخمل الأخضر. وضع لها ترندي مشدا على بطنها لتخفي سميتها. وكانت قد صفت شعرها خصيصا ووضعت مكياجاً ثقيلًا. وانبعث منها عطر فرنسي. أحضرت لكل منا زجاجة كونيأك صغيرة ملفوفة بشريط أحمر تتلى منه عروسة خشبية صغيرة. قدمنا لها ٤ علب مارلبورو وسوارا معدنيا وشكولاتة غريبة. تبادلنا القبلات. قالت إن الطالبات غارقات الآن في خلط الدقيق بالملح انتظارا لمنتصف الليل عندما يلقين بأحذيتهم من النوافذ وفي الصباح يهرعن في لهفة إلى الخارج وتقبل كل منهن أول رجل تصادفه إلى جوار الحذاء ويصبح حبيبها. نظرت إلى هاتز وأضافت: لم أفعل مثلهن لأن رجلي هنا. أحاطته بنراعيها فقبلها. خرجت وعادت بجهاز راديو وشجرة صغيرة رائعة وضعناها على المائدة فوق قطعة من القطن. أطفأنا النور فيما عدا مصباح المكتب.

صعدت لغرفة سفيتلانا لأدعوها فعرفت أنها سافرت إلى براغ. عدت إلى غرفتي. تركنا بابها مفتوحا ووقفنا نحن الثلاثة

وقتنا زجاجة شمبانيا وانتظرنا انتهاء كلمة بريجنيف من الراديو.  
كان يتكلم ببطء ويتعثر كأنما يجد صعوبة في النطق. ثم شربنا  
نخب العام الجديد. وبدأت الضجة. ظهر شاب كازاخي يحمل  
زجاجة شمبانيا وكوبا وأصر أن نشرب معه ثم انطلق يرقب أبواب  
لتراف ليسفي أصحابها. وبدورنا أخذنا نجذب كل من يمر ليشرب  
منا. مرت لينا ومدت يدها لأقبلها فتجاهلتها وجنبتها إلى محاولا  
تقبل فيها. أشاحت بوجهها وسألني: لفتقتني؟ قلت: طبعاً. دخلت  
فأشعلت الضوء وتطلعت إلى المائدة. مدت يدها والتقطت في لهفة  
شريحة خيار وقطعة سمك وسيجارة مارلبورو وانصرفت. بدأ  
السكران في تحطيم الزجاجات في نهاية الكوريدور. ورقصوا على  
طريقة القوزاق صارخين كالينكا كالينكا مايا. جاءت هند وكوليا  
ووقا لحظة حائرين ثم انصرفا. جاء حميد وشريف وصديقتاهما  
ثم بشلر وهيلين. قدمت لهم الشمبانيا ورقصت هند في حضن  
حميد. جاء حيدر ثم فتاته المنغولية تبحث عنه. تبعهما ميخا  
سكرانا. احتضن هاتز وقبله في فمه. جذبنا أحد للجزائريين الذي  
كان وحيداً حزينا. ظهرت أثار الأميوية في جوبة قصيرة ومعها  
شاب تشيكي فجنبتاهما إلى الداخل. رقصت معها ودلو حديث حول  
هاتز الذي كان في حضن أنستاسيا. قالت إنه أجمل شاب في  
المعهد. صممت لحظة ثم قالت: أنا ما زلت عزراء. تصور! لأنني  
أنتظر الحب، هناك ألف رجل لو أردت، أنت تعرف أمساء بنت  
ملي شرفية. قالت إنها قضت ليلة مع هاتز وخرجت من عنده

محتفظة بعذريتها. قلت لها: إذا كنت تريدني أحصلي عليه لأنه سيترك أنستاسيا غدا. قالت إنها تؤمن بأن الرجل هو الذي يجب أن يأخذ الفتاة. قلت إنه ليس كذلك ويمكن لأي فتاة أن تسحبه. قالت أعرف أنه دوراك (أبله). غادرت أنستاسيا الغرفة فرقصت أثار مع هاتز ثم وقفا خلف الخزانة. أعطيتهما ظهري ووقفت عند الباب. رأيت أنستاسيا قادمة. حلت بينها وبين الدخول وسألتها إذا كانت رأت ناديا. قبلتني في خدي وقالت بالإنجليزية التي تتحدثها عندما تسكر إنها تعرف أنني وحيد وتود لو ساعدتني ولكن ليس بيدها حيلة. دخلنا الغرفة فرأت هاتز وأثار خلف الخزانة. جلست ثم طلبت مني بعد قليل إن أساعدها في التخلص من أثار. طلبت أثار للرقص. فأخذت أنستاسيا هاتز وخرجتا. قلت لـ أثار: ما هي الأخبار؟ قالت: حدثني عن شفتي وصدري وطلب مني أن أستلقي على الفراش، ليس هذا ما أريده. قلت: أنت مخطئة. قالت: أعرف. ثم ذهبت قائلة إنها ستعود. وقفنا ننتظرها أنا والتشيكي السكران ثم انصرف وبقيت بمفردي. جاءت مارشا وتطلعت بحثا عن لطفي فيما يبدو ثم انصرفت. جلست وحيدا في الغرفة أمام المائدة وللشجرة في مواجهة الباب. عاودتني آلام البروستاتا ثم قررت أن أشرب قهوة بالـ ماروجنا. أخذت الإبريق إلى المطبخ ووجدت أثار برفقة ولد جميل من لاتفيا. كان يتحدث عن فترة تجنيده وذهابه إلى حملة تشيكوسلوفاكيا والأوامر بمنع إطلاق النار بينما الألمان والبولنديون كانوا يطلقون بمنتهى السهولة. وكيف مات



روس كثيرون. وكيف جلست النسوة في الشارع في مواجهة دبابة  
روسية كانت تقترب في سرعة وعندما فوجئ قائدها بالنسوة  
انحرف يمينا فسقط في النهر برجاله وأسرعت النسوة إلى حافة  
النهر وجلسن يبكين حزنا على ما أصاب الروس. تركتهما وعدت  
إلى الغرفة. استلقت أثار على الفراش فتعري فخذاها. جاءت زويا  
تتفحصها بطنها وبرفقتها زوجها. امتنعت عن الشراب ثم انصرفا بعد  
قليل. وبدأ الجميع في الانصراف. خرجنا إلى الشارع البارد. كونت  
نساء الحي حلقات رقص جماعية بصحبة الأكورديون. وكان  
بعضهن في ملابس كرنفالية ورددن بصحبة الأكورديون أغاني  
شعبية تشبه العديد وتكرر حول أحجام العضو الذكري وعجز  
للرجل أو غيابها. وصاحت احداهن وهي تترنح من السكر: أريد  
رجلا حارا. عدنا إلى الدار وكانت أصوات الصخب تتصاعد من  
كل طابق. جلسنا أنا وحמיד وشريف نثرثر. سألتني عن كيفية  
الاحتفال برأس السنة في مصر. دخل هلقز مخمورا فواصلنا  
الحديث. ثار وقال انه سيخرج لأنه يشعر أنه غريب ولا أحد يريد  
الحديث معه، للجميع يتحدثون بالعربية. وأضاف باكيا: أنا وحيد،  
وحيد. جمع بعض أغراضه وحملها ثم رمى مفتاح الغرفة على  
الأرض وخرج وصفق الباب وراءه. استولى علينا الوجوم.  
انصرف شريف وبقي حميد. عرضت عليه أن يبيت عندنا. بعد  
حوالي الساعة دقت ضربات قوية الباب فنهضت وفتحتة. فوجئت  
بـ هلقز يتهاوى ويرتمي على للعبة وهو يغمغم شيئا بالألمانية.

كان حافي القدمين بقميص ممزق والدماء تلوث وجهه. سحبناه إلى الداخل ومددناه على السرير وأخذنا نمسح الدم عنه. اكتشفت إنه عار من سرواله الداخلي. وجسده كله مغطى بكدمات زرقاء. بسط حميد الغطاء فوقه فقبض هاتز على ساعده. قبله حميد في جبهته فجنبه هاتز إلى أسفل. ابتعد حميد بسرعة. استغرق هاتز في النوم. خرجت إلى الكوريدور وأشعلت سيجارة. انضم إلى حميد. قال بلهجته الشامية: هل تعرف ماذا فعل العرص عندما قربت وجهي منه؟ مد لسانه وحاول أن يدخله في فمي. هز رأسه متقززا. مشينا إلى نهاية الكوريدور. تناهت إلى مسامعنا ضجة خلفنا. عدنا إلى الغرفة بسرعة. كان بابها مفتوحا وبضعة أشياء ملقاة إلى جانبه. ووقف ثلاثة من الطلبة للموفيت أقوياء البنية يصرخون بغضب شديد. أحدهم رئيس لجنة الطلبة. وكان الثاني ذا ملامح آسيوية. بينما كان الثالث قوزلقي الملامح. ورأيت هاتز مقرصا عاريا في الركن. صاح الطالب الآسيوي: عرب منحلين مثله وإلا لماذا يصاحبونه ويؤونه عندهم. تدخل رئيس مجلس الطلبة على الفور وقال بلهجة رادعة: اخرس، لا تقل ذلك. التفت إلينا وأضاف: ضبطوا ميخا ركبا فوقه. تعاونوا في منحه إلى الكوريدور ثم رفضوه بأقدامهم نحو السلم ونفعوه فتكحرج إلى أسفل. هبطوا خلفه. وقبل الفجر أعالوه ملفوفا في بطانية رمادية. وكان عاريا تماما. ألقيوه فوق فراشه وخرجوا. التفت إلينا أحدهم وقال: إذا كان هذا الأمر مألوفا في بلادكم فإن الدستور السوفيتي يعاقب عليه بالسجن

---

خمس سنوات. وضعت بطانية أخرى فوق هقز. كانت عيناه مفتوحتين وحولهما كنمات زرقاء داكنة. قلت لـ حميد: ألا يجب أن نستدعي الإسعاف أو ننقله إلى مستشفى؟ جاعنا صوت واهن من هقز: لا أريد، لا أريد. غادر حميد الغرفة لينام في أخرى. خلعت ملابسني واستلقيت على فراشي. لم أتمكن من النوم. تسلك ضوء الفجر من النافذة. قمت وارتديت ملابسني والمعطف والشابكا والكوفية وللقفاز. غادرت الأبشجيتي. كان الثلج يتساقط بسرعة وكثافة. وغطى كل شيء -حتى الأشجار- باللون الأبيض. وتراكم فوق معطفي وقبعتي وحاجبي. بدأت أطرافي تتجمد فاستكرت عائدا إلى الأبشجيتي.

مصر الجديدة ديسمبر 2010

## للمؤلف

- تلك الراححة
- نجمة أغسطس
- للجنة
- بيروت بيروت
- ذات
- شرف
- وردة
- أمريكيتلي
- يوميات الواحات
- العمامة والقبعة
- للقاتون الفرنسي
- اللغو (ترجمة)
- الحملار (ترجمة)
- التجربة الأنثوية (ترجمة)



الأعمال الكاملة

[t.me/kotbhm](https://t.me/kotbhm)